كتاب

«مثبت العقل والدين»

في الرد على سفهاء المبشرين

للعبد النادم

على إباقه . الآسف على دناءة اخلاقه . المستجير بخاتم النبيين

الجنيهي المسكين محمد

اذا ما ازدهي المفتون عجباً بنفسه … وأركبه الشيطان مهرا من الجهل
تعالى على أهل المعالي سفاهة … وزاحم أهل الفضل بغيا بلا فضل
ولو أنه ألفي من الخزي مأمناً … لنادى أنا المبعوث من أكرم الرسل
ولكنما الدعوى بدون دليلها … وبرهانها كالرمل في مسقط السيل
ومن لم يكن للخزّ أهلا تمزقت … ملابسه في النوم أو عثرة الرجل
كذلك دعوى من عهدنا فساده … وقد زعم الاصلاح ترجع بالويل

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

«يباع بمكتب ملتزمه»

حضرة الشيخ أحمد علي المليجي الكتبي قريباً من الجامع الازهر بمصر

ولوالدي وذويّ وعبادك المؤمنين في ظل عفوك الممدود مقرا ومقيلا وألحق اللهم بمحمد في الصلاة عليه وآل بيته الكرام واكرمنا بكرامة صحبتهم في موقف الحشر وفي دار السلام وأعني علي ما كلفتني فبمعونة عنايتك يكون كمال التمكن والاستعداد ومن فيض فضلك العميم تنال مواهب الإمداد ومراتب الإسعاد ولقد آن أن أقول بقلب آسف ودمع واكف

يا مدمعي لا تدع في مقلتي رمقاً ... كيلا أرى وجه غدار وخوّان
إذ الصديق الذي كنا نؤمله ... أضحى عدوّاً وأمسى شر جيراني

ان سافح عبراتي لا عن طوارق أحزان وتردد زفراتي ليس الا من كيد الاصدقاء وأذى الجيران إذ الجار الذي تؤمل وفائه وترتجيه ويفاجئك بما لم يأتك به أعدى عدو سفيه الموت أهون من مد البصر الى كريه رؤيته الذميمة وان مواصلته للقادرين على مقاطعته لشر خصلة وأشنع جريمة

لحى الله جاراً لا يريك سوى الاذى ... ولست تراه ان صفا الوقت باسما
ولكنه للموت يبدي شماتة ... وان عشت محزوناً يعيش منعما

فمالي أرى أقواماً يصافون جار السوء الذى لا هم له الا فساد أحوالهم بخيبة آمالهم ومآلهم ولقد غدا داعياً لهم الى ما لا يدعوا اليه الا كل شيطان مريد لعنه الله وجعل على سمعه وبصره غشاوة ان الشيطان كان للانسان عدوًّا مبيناً

اعجباً لأمة كانت كشجرة من النور أغصانها التقوى وورقها السكينة والوقار زهرها العلم والعمل وثمارها الفضل ومكارم الاخلاق وقد أصبحت حليفة الجفاف ضعيفة العطب يدعي سفهائها الفضل زورا ويتباهى فلاسفتها بالعلم والمعرفة زورا قد شانوا العلم بترك العمل وهجروا الدين وواصلوا الأمل فأظلمت بحبة دنيا أسرارهم وانكسفت بظلمة الافتتان أنوارهم واقمهم الزيغ فولدوا الزندقة

بسم الله الرحمن الرحيم

أستفتح أبواب الفتح الصمداني بحمد من له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا واسترشدك اللهم يا من ضربت فوق خزانة أسرار ألوهيتك أطناب علم الرسالة المفرد مستقيلا من ثقل الأوزار وربقة الإصرار كيلا تزل بي القدم وأطرد ولئن عاقتني العوائق لأنادي قائدا ركب الاكابر الاخيار عبدك المرسل وحبيبك الأكمل مهبط الاسرار ومظهر الانوار

يا غوث غوث الورى ياوجه وجهته ... يا هالة الحمد يا ذا المجد ياسندي
يا سيد الرسل يا خير الانام ويا ... بدر التمام تداركني وخذ بيدي

اللهم يا من حول سرادقات عز عزته دارت ألوية المحامد صل وسلم وبارك على أخضع ساجد وأرفع حامد سيدنا ومولانا محمد وجميع اخوانه من النبيين والمرسلين صلاة وسلاماً دائمين متلازمين لتقوى بهما شوكة الاسلام والمسلمين وارزقني اللهم يا مولانا رضاء بما ترضاه وصبراً على الطاعات جميلاً واجعل لي

اخلاقهم فكأنه أجير يعمل لاغتنام ما ستؤجر به ليس الا وكأنهما استؤجر الا لأن يبين معاني الالفاظ لا للحث على العمل بها

أو صوفيا هدم ما بقي من معالم تلك الطريق بحوافر جرئته على ربه بدعوى ما لم يكن له أهلا ولا أزال أقول أو حتى يفيق السكران أو

ولو ان أودارت على كل ناقص لما تركت في الناس شابا ولا كهلا

فكان هذا كله سببا لضياع الدين وجعله عرضة لسهام كل غوى لعين

ولقد أدهشتنا طوارق المحن التي مزقت سراويل التألف والارتباط وهددتنا مطارق الإحن بأن لا سبيل الا الى التساقط والانحطاط واسلمتنا الحوادث الى الجار الذى سالمناه فأصبح ناقضا بعوامل الفتن أساس الدين القويم وأمسى محاولا تحول قلوبنا الى مسالمة الشيطان الرجيم ولقد قام فيما بيننا ينادي بذلك لا خجلا ولا مذعورا لما علمه منا من سفه الاخلاق وضعف اليقين ومعانقة الملاهي وتعاطي المسكرات التى أضرت بالعقول والانكباب على الدنيا وان كانت غير حاصلة ولما لمع في آفاق القلوب من بوارق الغرور والافتتان الذي انزرت لصوت صواعقه مصونات الآداب فهاجت هوازع العناصر الشيطانية وأهاجت في أفئدة القوم الداء الذى لا تبرأ منه الكلاب

وماحال الأمة الآن الا كحال بهيمة الانعام تكد لتأكل حتى اذا أجهدها النصب تنام وقد نام أهل الدين الذين هم أنصاره في حجور الزندقة والزيغ وفضل بعضهم دنياه على دينه وطالما ناداهم الدين بلسان حاله قائلا يا قوماني أنا قوام مجدكم وقوائم عزكم وشرفكم ومتى عدمتموني عدمتم الشرف وان فقدتموني فقدتم المجد والسعادة فقوموا لنصرتي وآنسوا وحشتي وجاء يكزهم بواكزاته الوعظية ويزعجهم من مراقد غفلاتهم بزعجاته القرآنية فما وجد من القوم الانومًا

واحتنكهم الجدل فخنوا الى المشدقة فصرفوا أفئدتهم وأبصارهم الى الدنيا وأهملوا الدين ومالوا لعصبة الكفر وكرهوا المسلمين وما زالوا يتخذوا دينهم هزوا ولعباً حتى تلاعب به المتلاعبون وتنافس في اضلالهم واغوائهم من السفهاء المتنافسون ولقد انتشر سفهاء الامم لطي أعلام دينهم القويم في ديارهم انتشار الوباء وصاروا كالعدوا الملازمة للداء كل ذلك وأهله نيـام في مضاجع غفلاتهم ساهون في نشوات سكراتهم يسالمون هؤلاء المسيئين مسالمة الصديق الحميم ويتخذونهم أولياء يلقون اليهم بالمودة وقد نهاهم الله عن ذلك أما علموا أنهم أقوام قاموا على قدم وساق لهذا القصد السيء فخلعوا العذار وما راعوا حرمـة الجوار ألا لعنة الله على الظالمين فوأسفا على امة قل اتقياؤها وتكاثرت سفهاؤها فلا ترى منهم إلا شاباً جامحاً خلف مائسة يستعطف عواطف قـدها المياس او مخمورا يعبث في مهاد نشوته حيث لا شعور بضياع عقله وماله او لاهياً تعلق قلبه بما تماوج من ارداف الراقصات او مغرماً بمطالعة روايات بينها وبين ما كانت تلقيه الكواخي من الخرافات على مسامعه ايام الطفولية مناسبة او مشتغلا بما احترف به من الحرف عن مناسك دينه التي هي سبيل السعادة الابدية

او شيخاً اسيح طامح الفكر والنظر طوع جامحات شوارد افكار ارباب الصحف المدامرة في اودية الزيغ مشتغلا بها عن مايؤول اليه امره بعد انقضاء ما بقي من ايامه القلائل ولا تراه الا هازياً بكلمات لا تضحك الا سفهاء العقول غافلا عن الموت وما بعده وقد كان جديرا بالبكاء على نفسه لما فرط وافرط في أمسه وقد قارب حلول منيته

او عالماً اشتغل بتعليم العلم لشبان استكملوا في أخلاقهم كل النقائص التي يدعوا اليها الشباب أرباب الرعونات من العوام غير مكترث بما يراه من سفاسفه

زدياد حتى جعل الله عالي الامـة سافلها تأديباً للغافلين وما هي الا اشراط الساعة التي أخبرنا بها الصادق الامين

دعوني أسيل الدمع لا دمع فاقة ... ولا خشية جاءت بزجفها الذكرى
ولكنما كبدي تزايد حرها ... فبلّ سحاب الحزن يمطرها قطرا
وأزكت دموع العين نيران وجدها ... وإني بتجديد البكاء اذا أحرى
على أمة عهدي بها خير أمـة ... على كل من سام العلى ارتفعت قدرا
وإني أراها اليوم في حان لهوها ... تزيت بأهل الزيغ فامتلأت شرا
فأما هداها فادلهمّ ضيـائه ... وليل التعامي ما علمنا له فجرا
وأما هواها فهو سلطان حالها ... اذا ما عصت جهرا تدين له سرّا

ألا هل لفساد هذه الاخلاق صلاح ياذوي الاصلاح وما أدراك ماذوا الاصلاح ثم ما أدراك ماذوا الاصلاح انهم الا أكيار تحشوها الشياطين أهواء لتثير بها نيران الفتون في افئدة الغافلين فيتطاير شررها فلا يعلق بقلب الا هلك كما تراه الآن في حال طلبة العلم المتفلسفين وأهل الصحف المنتشرة

فهل من صيحة توقظ من سكان المقابر من يرد للانسانية حقوقها الضائعة هل من صاعقة كصاعقة عاد وثمود تتناول كل شارد لا يرجى عوده الى مناهج الاعتدال هل من سيف كذي الفقار يقوّم اعوجاج من أماله الغرور والطيش عن السنة النبوية هل من أكلة تقرض كل لسان أطال الكلام فيما لا يعنيه هل من مهلكة تزلزل الارض بكل ذي وقاحة يدعي بما ليس فيه هل من غاشية عذاب تغشي من قام يلهي القوم عن الاشتغال بالشعائر الدينية هل من ريح عاتية تنزع من بين الأمة أهل البدع والشبهات نزعاً قوياً هل من داء عضال ينتاب هاجري المناسك الدينية من كل دين تلاعب به سفهاء فلاسفته (ولو يؤاخذ الله الناس

ثقل نومهم وخرجت مع ما خرج من بطونهم مما تناولوه من غير حلّ مروءاتهم
وهممهم فانزوى عنهم في خبايا الزوايا وتركهم عرضة لسهام البلايا
فأصبح الناس حائرين في ظلمة وحشة الهمجية وقد دارت بينهم كؤوس
الحرص والطمع فأدارت بين الاصدقاء دور المشاحنة والنفاق وأوقعت بين
الشقيقين وتبدلت المحبة بغضاً والمسالمة مصادمة وتناسَ الناس مناسك الدين
فاسترسلت حواسهم وراء ألسنة سفاهتهم الى حيث شاء الهوى اذ لا رابطة اخاء
أو ولاء تقيد شوارد هاتيك الافكار ولا سلطة تقاة أو حياء تطهر من خبث
الإصرار العقائد والأسرار ولا صولة زاجر ترد من امتطاء الغرور والطيش
الى التبصر في مآبه ولا شهامة مؤدب تلزم السفيه الاحمق خطة التجمل بمحاسن
آدابه ولقد صدأت عوامل الهمم فلا مقيل في هذا الزمن لعاثر وما علمنا لفساد
الاخلاق لكثرة الفساق أولاً من آخر

كأن لم يكن في الناس نفس كريمة   ولا في رؤوس القوم رأس همام
فلا راكعاً الا على صدر قينة   ولا ساجداً الا لأست غلام

اللهم ارحمنا يامولانا من أوحال هذا الزمن بهداية بذيه أو باعتزال أهله
والخلوة بك يامن ليس لنا سواك الهٌ نرتجيه فان القوم اخترعوا دينهم الآن
اختراعاً وما عبدوا الا هوًى متبعاً أوشحاً كما ورد في الخبر مطاعاً
فتعساً لزمان زأرت فيه النعاج زئير الاساد وقام في مجامع القوم خطيباً
أبوا زياد فثارت لهايبه الأسد كما تخور نطيحة البقر وتزيا بواص بزي ابي بكر
وعمر وانزوى اتقياء العلماء في زوايا الضعف والانكسار وشطت في مرابض
الاسد الفحول من الاشرار واقد حاولت حاطبة المزابل الان الاقتران بابناء
الملوك وتشوف لإيوان كسرى كل غبي وصعلوك وما زالت الكروب في

مكارم الاخلاق الذي أشار اليه النبي صلى الله عليــه وسلم بقوله (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) هل من سادة فضلاء يقعدون لسفهاء الخطباء من أهل الزيغ كل مرصد حتى لا تنطلق بدسائس الزيغ ألسنتهم ولا تميــل إلا إلى طريق الاستقامة الدينية أفئدتهم فلا يتكلمون الا بما يصلح بين العباد وبين رب العالمين ولا ينبسون في وعظهم الا هدى النبيين والمرسلين

عسى وطئة تأتي على حين غفلة من الله تغتال الغوي ومن أغوى
وترجع أقواماً وهم خــير أمة إلى منهج الايمان والبر والتقوى
فكم من أناس حاربوا الله بالهوى فردّهمو للرشد بالبأس والبــلوى
وكم من غويّ جاء يغوي بزيغه فألجأه البطش الشديد الى الشكوى

تالله لقد طالت ألسنة القوم بما لا طائل تحته وكثرت الأقاويل وتزاحمت الاباطيل وادعى الفاسق الولاية وزعم الزنديق الهديَ إلى طرق الهداية وجاء صبيان البقالة يغتصبون وظائف الأنبياء اغتصاباً وأقبــل أهل جهنم يبشرون جهلاء الأمم بالجنة تبشيرا وإنها لمحرمة عليهم حتى يلج الجمل في سم الخياط وانهم ليائسون منها كما يئس الكفار من أصحاب القبور

سمعت سفيهاً ممن زعموا أنهم هم المصلحون يقول الناس رجلان صاحب عقل لا دين له وصاحب دين لا عقل له فجعل الدين والعقل ضدان لا يجتمعان فقلت له وكيف كانت الرسل (فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)

تالله إن نجم الوقار في محافل الأسافل لآفل وان مرقعات الوقاحة الآن لأجمل حلية تحلى بها كل لئيم مغرور ولقد انتصرت الدنيا بالعصبة الخاسرة من أبنائها على الآخرة انتصار الفاجرة السفيهة ذات الأخدان على المصونة ذات العصمة الطاهرة حليفة الاحتشام والأدب وانعكست القضية في جميع الاحوال

بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)

مهلا يا رب فما أنا بمستعجل وطئتك بعبادك الضعفاء المتمردين ولكني أخوفهم تخويفا

لعل عاطفة منهم ترنو بمقلتها نحوي فتنقذني من مؤلم الألم
فان قلبي وقد عم الفساد غدا طوع الحنان أسير الهم والهمم

هل من رجال أتقياء يناضلون عن الدين اكبر نضال هل من وعاظ بررة يتجلون بالنصائح الدينية مجامع اللاهين لإصلاح ما أفسده الزائغون الذين اقتدى الناس بهم في التهاون بالفرائض الدينية واقد التصق هذا الشر المهلك بقلوب كثير من شبان طلبة العلم التصاقاً لا ينقذهم من أوحاله الا انقلاب الاحوال الحالية وغلبة الحق على الباطل وغيرة الغيور جل شأنه على دينه الذي وعد نبيه بنصرته الى يوم القيامة (وما ذلك على الله بعزيز وكان ذلك على الله يسيراً

هل من امام عادل يأمر أهل العلم بالاشتغال بالدين علماً وعملا وينهاهم عن ما هم فيه من التعشق بالدنيا ومواصلة الفنون الرياضية وهجر العلوم الدينية طمعاً في تحصيل ماسبقهم اليه أغنياء اليهود وكثير من الموسسات فان الدنيا لاتفتن الا أعداء الله ورسوله هل من باع طويل تمده المروءة والتقوى لرفع أعلام الشريعة الغراء فوق رءوس هذه الامة التي ضل سعيها بعد ما كانت خير أمة أخرجت للناس هل من كلمة مجمع عليها من قوم عقلاء يؤمنون بالله واليوم الآخر لايخافون في الله لومة لائم تلزم القوم بالبحث عن أسباب الفساد العام الذي أحيي الرذائل وزهقت له روح الفضائل حتى إذا علموا أنه لا سبب في ذلك إلا إهمال الآداب الدينية ردوا الناس عن إطلاق غيهم إلى سجن

مكارم الاخلاق الذي أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) هل من سادة فضلاء يقعدون لسفهاء الخطباء من أهل الزيغ كل مرصد حتى لا تنطلق بدسائس الزيغ ألسنتهم ولا تميل إلا إلى طريق الاستقامة الدينية أفئدتهم فلا يتكلمون الا بما يصلح بين العباد وبين رب العالمين ولا يتبعون في وعظهم الا هدى النبيين والمرسلين

عسى وطئة تأتي على حين غفلة　　من الله تغتال الغوي ومن أغوى
وترجع أقواماً وهم خير أمة　　إلى منهج الايمان والبر والتقوى
فكم من أناس حاربوا الله بالهوى　　فردهمو للرشد بالبأس والبلوى
وكم من غويّ جاء يغوي بزيغه　　فألجأه البطش الشديد الى الشكوى

تالله لقد طالت ألسنة القوم بما لا طائل تحته وكثرت الأقاويل وتزاحمت الاباطيل وادعى الفاسق الولاية وزعم الزنديق الهديَ إلى طرق الهداية وجاء صبيان البقالة ينتصبون وظائف الأنبياء اغتصاباً وأقبل أهل جهنم يبشرون جهلاء الأمم بالجنة تبشيرا وإنها لمحرمة عليهم حتى يلج الجمل في سم الخياط وانهم ليائسون منها كما يئس الكفار من أصحاب القبور

سمعت سفيهاً ممن زعموا أنهم هم المصلحون يقول الناس رجلان صاحب عقل لا دين له وصاحب دين لا عقل له فجعل الدين والعقل ضدان لا يجتمعان فقلت له وكيف كانت الرسل (فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)

تالله إن نجم الوقار في محافل الأسافل لآفل وان مرقعات الوقاحة الآن لأجمل حلية تحلى بها كل لئيم مغرور ولقد انتصرت الدنيا بالعصبة الخاسرة من أبنائها على الآخرة انتصار الفاجرة السفيهة ذات الأخدان على المصونة ذات العصمة الطاهرة حلية الإحتشام والأدب وانعكست القضية في جميع الاحوال

بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)

مهلا يا رب فما أنا بستعجل وطئتك بعبادك الضعفاء المتمردين ولكني أخوفهم تخويفاً

لعل عاطفة منهم ترنو بمقلتها نحوي فتنقذني من مؤلم الألم

فان قلبي وقد عم الفساد غدا طوع الحنان أسير الهم والهمم

هل من رجال أتقياء يناضلون عن الدين اكبر نضال هل من وعاظ بررة يتخللون بالنصائح الدينية مجامع اللاهين لإصلاح ما أفسده الزائغون الذين اقتدى الناس بهم في التهاون بالفرائض الدينية واقد التصق هذا الشر المهلك بقلوب كثير من شبان طلبة العلم التصاقاً لا ينقذهم من أوحاله الا انقلاب الاحوال الحالية وغلبة الحق على الباطل وغيرة الغيور جل شأنه على دينه الذي وعد نبيه بنصرته الى يوم القيامة (وما ذلك على الله بعزيز وكان ذلك على الله يسيراً

هل من امام عادل يأمر أهل العلم بالاشتغال بالدين علماً وعملا وينهاهم عن ما هم فيه من التعشق بالدنيا ومواصلة الفنون الرياضية و[illegible] الدينية علماً في تحصيل ما سبقهم اليه أغنياء اليهود وكثير من الومساد [illegible] الذ[illegible] لاتفتن الا أعداء الله ورسوله هل من باع طويل تمده المرو[illegible] [illegible]ى لرفع أعلام الشريعة الغراء فوق رءوس هذه الامة التي ضل سعيها [illegible] ما كانت خير أمة أخرجت للناس هل من كلمة تجمع عليها من قوم عق[illegible] [illegible]ون بالله واليوم الآخر لايخافون في الله لومة لائم تازم القوم بالبحث ع[illegible] [illegible]ب الفساد العام الذي أحيي الرذائل وزهقت له روح الفضائل حتى إذا [illegible] ه لاسبب في ذلك إلا إهمال الآداب الدينية ردوا الناس عن إطلاق [illegible] إلى سجن

الي" من سهام هاتيك المقاصد فقال ما بالكم يامعاشر المسلمين ما زلتم في غياهب الغفلة وغيابة جب" الجهالة مع مانراه من استنارة قلوب الأمم في هذا الزمن الذي قشع فيه سحاب الهمجية والتوحش وانتشر فيه ضياء شموس المعارف في آفاق الحضارة والتمدن وقد أصبح الناس حتى العوام كل يوم على علم جديد لازدهاء الفنون الرياضية بأزهار رياضها اليانعة وثمراتها دانية الأقطاف حالية المذاق سهلة التعاطي شهية التناول وقد تمتع الناس الآن برغد العيش بعد مرارة الكد والعناء الشديد الذي كنا نعد أهله من أصحاب القبور

فقلت ياهذا من أنت وما حرفتك وإلى أي دين تنتمي فقال أما الدين فما هو الا الذي تأبطته جوانح التمدن في أنحاء أوربا وما أظنك تجهله وأما الحرفة فهي التبشير باسم المسيح الذي من آمن به دخل ملكوت الرب وأما الإسم فلا حاجة لك به الآن حتى تتعمد و يباركك المسيح

فقلت ياهذا إنا قوم آمنا برسول جاءنا بدين قيم لا نبتغي عنه حولا فلا تشغل قلبك بطلب المحال وإياك ومناوشة الأسد في مرابضها وإن كانت متناومة أو متغافلة

فللاسد وثبات اذا ما تسارعت إلى البطش لاتبقي من البأس مأمنا

ثم هممت بالخروج واذا بآخر خرج من مكان خلف ذلك المتكلم ينادي مكانك ايها المسلم وقد التحف بجبة سوداء وعلى رأسه طيلسان أسود وقد وقف بإزاء صاحبه ثم قال انكم يامعشر المسلمين لتزعمون فيما يقول بعضكم ان نبيكم كان ذا مزاح ولكن لا يمزح الا حقا فكيف يكون المزاح الحق فعلمت أن القوم متعصبون ومستهزؤن ولا يليق بهم إلا اتباع ما أمر الله سبحانه وتعالى به في قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

وما بقي يا أهل المروءة الا ان يقال

زمان أضاع الدين والعقل إنه لأدهى زمان تشتكيه الأفاضل
ووقت به حتى أتاك مبشرا وبواص متْ عنه فداك الأسافل

بينما أنا ذات ليلة أجول في مجال السائرين باحدى الطرق الواسعة لتوسعة ما تحرج من صدري لطوارق هموم أخروية وإذا أنا في مقابلة باب يلجه المتفرجون وقد دعاني اليه داع يدعو المارين بطلاقة وجه وبشاشة استقبال ثم قابلني بما لا يعهد إلا بين الأصدقاء والمحبين

كفاقدة الابناء غاب وحيدها وجاءت به الأيام بعد بعيد
فقامت على شوق تحاول ضمه ويخجل إذ ليس الفتى بوليد

فعلمت انها ابتسامة ذئبية تكون كلما تمكن الذئب من فريسته ولكنني أجبته الى ما دعاني اليه

وإذا هي حفلة حوت شرذمة أشرار ما بين تلميذ متفرنج وطالب علم متفلسف وقليل من العوام الذين لا يعرفون من الدين إلا الشهادة وكثير من المسيحيين فجلست حيث جلس الناس منتظرا مايتروح به القلب من نوادر أخبار أو حوادث أخبار وإذا برئيس تلك الحفلة يتغامز مع من معه عليّ ويشير براقص حواجبه اليّ فانقت غاض البصر محتم الحواس أحاول تحوّل نظره عني وانقلاب قلبه عما تفرسته فيه من سوء القصد وخبث الطوية حتى ناداني يا جنبيهي

كأني له من قبل أصدق صاحب وما كنت ممن يقتني مثله خلا
وتالله ما واجهته قبل ساعتي ولم أر المفتون وجها ولا نعلا
ولكنّ إخوان الضلال إذا رأوا غريبا أروه من ضلالتهم عدلا

فشخصت اليه ببصري شخوص المتنبه لشديد إيقاظ متجها الى ما يوجهه

آذيته في رسـله ... وأذاك ياهذا استطال
كذبته يا ذا الوقا ... حة والسماجة في المقال
بعث الرسول بشرعة ... محبوبة ذات اعتدال
فأتى وقاوم قومه ... بالحق حتى الحق صال
وبه القرون تطاولت ... وسناه ماح للضلال
فأتيت في شر القرو ... ن تسوم أصحاب الخبال
وأبيت الا أن تكو ... ن منازعاً وأخا جدال
فاصبر قليلا يا فتى ... فالشمس قاربت الزوال
شمس الحياة تصفرت ... لغروبها والظل مال
والليل ليـل المرجفـات سيدلهم إذا استطال
ولدى الممات ترى الضيا ... ء لظلمة الضنك استحال
والله يمهل ليس يهـمل من عصاه يا مَوَال
ومحارب المولى اذا ... طلب الإقالة لا يقال
الا إذا اتخذ المتا ... ب وقاية ثم استقال
فاشهد شهادتنا التي ... في القول أفضل ما يقال
واستعطف القلب الرحـيم وعالج الداء العضال
ان اعتقادك يا فتى ... أضحى أضر من السعال
أصبحت تقذف بلغماً ... والقذف أورثك الوبال
فارجع وإلا فاستعد ... لما أعدّ من النكال
هي صيحة تغدوا لها ... من فوق أعناق الرجال
هي غمضة هي خطوة ... ويكون مضجعك الرمال

فقلت وهل تبيح لي أن أسمعك مزاحاً حقاً حيث لا غضب ولا مؤاخذة فقال أنت في حلٍّ من كل ما تأتي به الا ما يمس شرف المسيح وأمه فواجهته قائلا

لما رأيتك مقبلاً في زيِّ ربات الحجال
حاولت ذيالك كي أرى أمن النساء أم الرجال
فشممت أستاً حولها شعر تفتل كالحبال

يريد انه لا يستنجي بالماء ولا يتقي مكان الغائط لعدم وجوب الطهارة البدنية عليه

في طيه خبث تجمع قد تزول ولا يزال
فعلمت أنك يا فتى لم تنج من خبث النعال
لكن ثيابك زينت إذ كنت ذا سعة ومال
أوأنت جئت مبشرا تحتال كي تهدي البغال
قد ضل سعيك يافتى وأضعت عمرك في ضلال
البغل أصعب صاحب وسوى البغال عليك غال
أوقعت نفسك في الردى وطلبت يا هذا المحال
إذ رمت فتنة أمة لثباتها تهن الجبال
إنا لنسخر منكمو إذ تركنون إلى الهبال
هل تدرك الشمس الخنافس أم تصول بلا عوال
بشر بنيك بأنهم من شر شرك في وبال
أعقبتهم مالا يطا ق من الردى ومن النكال
حاربت مولاك الذي شرع المحرّم والحلال

وتبصروا وتدبروا ‏ ‏ ‏ ‏ وتجنبوا هذا المجال
فأسرُّ حال المرء ان ‏ ‏ ‏ ‏ يمسِ ويصبح في اشتغال
بالنفس يعرف عيبها ‏ ‏ ‏ ‏ ويسومها سوم العيال
فيردها عن غيها ‏ ‏ ‏ ‏ وغرورها والإرتجال
في القول والدعوى وفي ‏ ‏ ‏ ‏ شؤم التكبر والتمال
فالربُّ يرسل من يشا ‏ ‏ ‏ ‏ ء بما يشاء كذلك قال
يختص هذا بالجما ‏ ‏ ‏ ‏ ل وذاك يفزعه الجلال
فلو ارتضا كم صفوة ‏ ‏ ‏ ‏ لهداكمو للامتثال
لكنه لم يأتكم ‏ ‏ ‏ ‏ الا بآمال طوال
فلربكم فاسترجعوا ‏ ‏ ‏ ‏ وذروا ضروب الإعتزال
فعداوة الرسل الكرام ‏ ‏ ‏ ‏ وبغضهم باب الوبال
بالحق جئناكم فلا ‏ ‏ ‏ ‏ تستنزلوا حجب الملال
واليك ألقيت الجوا ‏ ‏ ‏ ‏ ب وجاء من جنس السؤال
فاقبل أو أدبر يا فتى ‏ ‏ ‏ ‏ الحق يصرع ذا الجدال

فما لبث ذلك الرجل الذي كان يتغامزُ عليَّ أن قام على قدميه يرضُّ الارضَ رضاً قائلا لقد كنا نظنك ذا عقل وافرٍ وفكرٍ متيقظ واذا بك الأبله البسيط والاحمق العجول لاننا لم نتعرض لشيءٍ مما تبرأنا عنه الآن وما أسمعناك منها تقولته علينا قليلا من القول ولا كثيراً وما أرسل واحد منا في هذه الحفلة بنت شفة توحي اليك ما حاولت تحولنا عنه واننا نعتقد ان رسولكم رسول بين الرُّسل حتى يقال اننا نفرق بينهم وما جئنا نجادلك في رسولك ولكننا نصف لك حالك السيء الذي يسر العدو ويحزن الحبيب شفقة عليك

وهناك تعلم ما جرى | وهناك تدري ما المآل
اليوم مال « ممتن » | وهناك تلقى الحل مال
فاقبل نصيحة عارف | بالحال ينصح والمقال
ان الشرائع كلها | في القصد واحدة المثال
تدعو العبيد لربهم | واليه ترشد كل ضال
كي يسلموا كي يعلموا | أن الشريك له محال
وبذا تتابع رسله | وتعاقبوا بالإمتثال
وهمو العبيد وانما | خلعت لهم خلع الجمال
والكل اخوان وما | صرموا حبال الإتصال
ما شأنكم في بعضهم | هل بينهم وقع القتال
هل من خلاف بينهم | في السير أو في الإعتدال
هل منهمو في سيره | من حاد عن طرق الكمال
لا والذي جعل الهوى | يهوى بأرباب الجدال
ما منهمو الا الكريم | أو الكليم لذي الجلال
ثم الخليل أو الجليل المرتقى أوج المعال
فبأي حال تبغضو | ن ذوي الكمال من الرجال
أو تجحدون شريعة | غرّ أما فيها اختلال
ان الجميع لتهتدى | ان جنبوها أي حال
لكن بكم طيش العمى | داوع الهوى للغي مال
ان الجهالة والهوى | قد أسلماكم للنكال
فتنصلوا من جهلكم | وتأملوا صدق المقال

الإشارة ما يغني عن العبارة وقد تداولت الالسن حالكم وتناولت الآذان مقالكم ولقد فوقت الآن سهاماً علمنا مرماها وفاجأتنا بداية أدركنا منتهاها وأرجوا الله أن يحق الحق بكلماته ولو كره المبطلون

يا هذا إن الكلمات التي زينت بها حالك وحسنت بزخرفتها مقالك ما هي الا الخرافات التي انطلقت بها ألسنة كثير من أرباب الصحف المنتشرة وانك لتطنب فيها إطناب الخبير الخبير من حيث لا تدري من أيِّ وادٍ أتيت ولا بأي مرشد من الغواة اهتديت إن هي الا قذورات تقذفها أمواج السانة من لجج الافكار التي تماوج سيلها في أودية الغرور وفيافي الضلال من قوم لا تبصر لهم في عواقب الامور ولا شعور عندهم بما تتقلب به في الكون عوامل القدر المقدور فلا تخدعنك ياهذا خدع المنافقين ولا تغرنك تمويهات المضلين الذين انطلقت بالزيغ ألسنتهم وتقيدت في سجن الشهوات أفئدتهم وأمدهم بجنود الجدل والزندقة سلطان الافتتان وتسلطت عليهم نفوسهم ودنياهم والشيطان

يا هذا إذا شئت ان تتكلم فزن كلامك بميزان العقل وكِلْهُ بمكيال التمييز كي تكون الرَّجلَ الذي لا يعوَّل في فصل الخطاب الا عليه ولا ينشد فاقدُ الحكمة ضالته الا لديه ولائت ممن تردُّه عن الرشاد زخارف الأقوال وتلهيه عن متابعة الحق وتوقعه في مهالك الزيغ والزندقة مشاغبات الاطفال فإن الزمن قد ملك زمام أمره للفتيان وقلَّ ان ترى في الحيوانات الآن أخسَّ من نوع الانسان فحدد بصرك أيها السارب في ظلمات التنبه فان حاد البصر قل أن يزيغ الا اذا تحكم القضاء المبرم وخذ حذرك فشديد الاحتراس لا يعثر الا اذا لهى أو تبرَّم ولا تستقبل بوجه القبول مشدقة سفهاء الخطباء

إذ الظآن على شاطئ البحر مغبون والضال بين اهل الرشاد مفتون ولقد ملأت الجرائد اقطار الارض نوراً وكانت غصون الادراك في رياض المعارف زهوراً وبذلك نقلت الامم من مزابل قذورات الجهل المنتنة الى شرافات الاطلاع والمعرفة حتى أصبحت القلوب بعد موتها في حياة طيبة ويقظة دائمة وأمست نساء هذا الزمن اكمل حالا من رجال القرون الماضية وانتم يا معشر المسلمين مازلتم في غفلتكم تائهين وفي مهاد الجهل نائمين فالى اين الهيام وحتى متى ثقل وطئة هذا المنام

فقلت ياهذا أرح نفسك قليلا وحدد بصرك للتأمل طويلا واستعمل فكراً كافكار أولي الالباب واذا تكلمت فلا تكن من الذين لا يخشون على الهفوات العتاب ولا تأت مواقع الحروب داهشاً مأخوذاً واياك ومخالطة العقلاء على عته فتغدوا منبوذاً وتمسك في كلامك بما فيه السداد ولا تسلك في نصحك الا سبل الرشاد واتبع يا هذا نصائح العقلاء في اعمالك ولا تمدنّ الى مجالب الويل والضرر عيون آمالك واياك ان ترم جيرانك بالاقاويل رجماً بالغيب ولا تتبع معايب الناس فتكون أنت صاحب العيب ولا تطع من يغريك بأخيك في الجنسية وأسكن في قلبك لجميع المخلوقات محبة كلية فلربما كانت نجاتك على يد من تزدريه وكان السبب في وخامة مصرعك محبة الذي ترتجيه يا هذا ما جريمة المسلمين لديك وما جريمة نبيهم الذي تكاد ان تميز لذكره من الغيظ هل وقع محمد صلى الله عليه وسلم في عرض عيسى عليه السلام حالما كان ينادي داعياً الى الله أم أغرى أمته به ليبغضونه كلا والله ان محمدا وأمته يحبون المسيح أشد حباً منكم ويعتقدونه على حال اكمل مما تعتقدونه أنتم وانك وان كنت ما تكلمت بكلام يرشدنا الى خبايا ما اضمرتموه الآن ولكن ربما كان في

احدى الأمم المتدينة أو بعض أفرادها في معانقة الآداب الذوقية مدارك أحد الفضلاء المتقدمين وما أريد بالآداب الذوقية الا التعليمات التي جاء بها عيسى ابن مريم والذى قبله والذى بعده من الاخلاق التي بمعانقتها يخزى شيطان الملاهي وينقطع دابر الفساد والافساد والمفسدين ويوجد في الأمم خيار متبعون الوا أنوار وأسرار ربانية يهتدى بهم الضال لشعائر دينه ويقتدي بأعمالهم وأحوالهم المتدين في ثبات يقينه (لا) والله ما في الأمم الآن الا اقوام تقدموهم الى تناول الجيفة التي ليس لها طلاب الا الكلاب كما صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله الدنيا جيفة وطلابها كلاب ذلك بأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم حتى وردوا بها موارد التهلكة من حيث لا يشعرون

يا هـذا هل غصت مجامع الوعظ بمن تبكيهم المواعظ وتبصرهم نصائح الحكم بأحوالهم ومآلهم ويزعجهم الموت وما بعده فلا يمضي عليهم الليل الا وهم باكون ساهدون كما كان السلف الصالح وكما كان يبكي عيسى واخوانه من النبيين والمرسلين

يا هذا هل امتلأت المعابد بأفاضل العباد والزهاد الذين يكون أنين المذنبين منهم أفضل من زجل المسبحين تالله لا ترى اليوم الا ناصحا مملولا مهجورا ومنصوحا مفتونا بنفسه مغرورا ولا ترى الا مصليا يمتن بصلاته التي اتخذها هزوا ولعبا وزاهدا ما خرجت محبة الدنيا من صميم قلبه

يا هذا هل اجتمعت شرذمة من الناس قليلة كانت أو كثيرة على اقامة شعائر الدين وانامة فتنة المعاصي التي جعلت الشيوخ في أعين الشبان أصغر من الاطفال وأحقر من الذباب وأخس من الكلاب تالله لقد تركت الشهوات الناس الآن كالبهائم لا يتناصحون ولا يتلاومون بل فيها يتنافسون واليها

الآن ولا تستمع لمناظرة الادباء من أبناء هذا الزمان اذ الخطيب الذي يلهي عن الآخرة ما هو الا ناقل بهتان وزور والاديب المتلاهي بدنياه مأزور غير مأجور والناس الآن ثعالبُ محتالة وذئابٌ ضاريةٌ قتالة

اذا أنت فتشت الديار رأيتها — على كم مراحيض بها تتزخرف
وإن أنت مارست الرجال وجدتهم — جميعاً لشيطان الغرور تعرّفوا
ألم ترَ أبناء الزمان تزينت — ظواهرهم كالزهر للشم يقطف
ولكن لهم في زيغهم وفتونهم — قلوب كظلماء الدياجي تخوف

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) يجري المقادير الوقتية على وفق الارادة الازلية وجاء بالسابقــة تتبعها اللاحقة وصير الاستعدادات منافذ لمرادات الارادات لا يقع في ملكه الا ما يريد وهو الذي يضل ويهدي من يشاء من العبيد

يا هذا ما الذي حملك على مجارات أهل الفتن في مقترحاتهم وما الذي الجئك الى الاعجاب بما تراه من سيئات مخترعاتهم وأي عمل وقع عندك من أعمالهم مواقع الاستحسان وما هي العلوم والمعارف التي يتباهى بها بين باقي الازمنة هذا الزمان هل انتشرت الآن علوم لم يسمح بها من قبل فيض فيضان الملكوت أم ظهر في هذا القرن أنبياء ممن يصلح بهم الله فساد أخلاق الأمم كما كانت سنة الله في خلقه اذا أراد بهم خيراً وان ادّعيت ذلك فمن ذا الذي هو من هــذا القبيل فاني لا أرى الا رجالا امتلأت قلوبهم أهواءً ونفوسهم شهوات وأعراضاً وعقولهم شبهات وبدعاً وأسرارهم ظلمات ألزمتهم الغرور والاعجاب وأجلستهم على بساط الدعوى حتى امتلأت صدورهم حقدا ورؤسهم عظمة وكبرا ولا يكون من هذا حاله الا من المفسدين . يا هذا هل وصلت

وما الناس الآن الا كما ترى زيهم زيّ الفضلاء وقولهم قول الاتقياء ونصحهم نصح العقلاء ولكن القلوب بما امتلأت به من الرذائل في شغل شغيل وحالٍ وبيل وقد امتلأ الكل غرورًا وتأبطوا شرورًا وصار الفضل بينهم كأن لم يكن شيئًا مذكورا

فنهم من أضر حاله بدينه ودنياه وهؤلاء هم أكثر الناس عددًا وأضعفهم رشدًا وأبعدهم عن الدين سعيًا وأمدًا أولئك الذين أضاعوا المال والمآل وصاروا من الرذائل على أقبح عمل وأسوإ حال وأولئك الذين فسقوا وأولئك هم المجرمون

ومنهم من أجهد نفسه عناءً وكدًّا في طلب دنياه ولم يساعده القدر على تحصيل شيء منها غير القوت المقدَّر لقوام حياته الدنيوية الذي ربما تحصلت كلاب المجزرة على خير منه بلا كدٍّ ولا نصب وهو مع ذلك لاهٍ عن آخرته مفتونًا بقواه البدنية التي ما حفظها الله عليه الا ليستعمله في ما أراده منه من تكميل النظام التكويني فكان كالبغل الذي يعمل ولا علم عنده بما عمل وهؤلاء هم الذين مثلهم في إدراك مزايا الحياة كمثل الصبيان يتعرضون لهاطل الغيث عند ترادفه حفاة عراة لا شعور لهم بما له من المضار المهلكة لدى تحكم البرد ولا علم عندهم بما فيه من المنافع فكان حالهم كحال القائل

كفى حزنًا أن لا حياة هنيئة ولا عمل يرضى به الله صالح

ومنهم من صافته دنياه وسالمته أيامًا بالاقبال والمخادعة فألهته ملاذها التي أضر بقلبه وبدنه طول تعاطيها وكثرة تناولها فحالت بينه وبين التذكار والاعتبار وأغفلت قلبه وأغمضت عن التبصر بصره وبصيرته فما فطن الا ورسول الموت يزعجه وملك الموت نصب عينيه كلما حول وجهه الى جهة واجهه منها بحال مفزعة وسكرات موجعة تشغله عن من حضره من الاحباب وتنسيه الاهل والمال

يتسارعون وبها يتباهون ويتفاخرون وإنّ هذا لهو البلاء العظيم

يا هذا هل انتزع الغش والخيانة من بين المتعاملين أم الآن يأمن الجار جاره أو الصديق صديقه أو الأخ أخاه أو الأب إبنه على قضاء مصلحة من مصالحه ذوات البال تحتاج إلى بذل قليل من الجهد وحفظ الامانة لا والله إلا أن يكون له عليها جعل أو يختلس منها ما لا يعلمه صاحب تلك المصلحة ثم يقاسي منه مرارة الإمتنان عليها زمناً طويلاً

ياهذا هل تجمل الشبان وفواضلُ النساء بملابس الحياء والخجل أم تأزر الاغنياء بآزر الصيانة والعفاف أم تستر الشيوخ بأردية السكينة والوقار أم تجنب القوم الذين زعموا انهم هموا العقلاء مجالس الغيبة والنميمة أم تحاشت من الجلوس في مواطن اللهو أرباب الرتب والمناصب أم اليوم يرى الحق سبحانه وتعالى آثار نعمة الإيمان على عبيده الا ان كانوا من أقل القليل الذين أشار اليهم بقوله (وقليل من عبادي الشكور)

يا هذا أرأيت الفساق في الاسواق يتسترون فيما ابتلوا به من ارتكاب الكبائر عن أعين الناظرين حفظاً لحقوق الانسانية وأدباً مع الحدود الشرعية لا والله بل تجاهر القوم بعصيانهم وبارزوا الله بمخالفتهم وصارُوا اعواناً للشياطين على أنفسهم فأوردوها النار (وبئس الورد المورود)

يا هذا هل تفطن القوم لما دهمهم من نكد العيش الذي لم يشعر به الا قليل منهم وانتزاع البركة من اياديهم وأنفسهم وثمراتهم وفقد التقوى من قلوبهم وقلة الخوف والحياء وتراكم الحوادث والفتن فعلموا ان لذلك أسباباً في نفوسهم فهجروها وانقطعوا عن مواصلتها وزجروا سفهاءهم عن ورودهم مواردها وهل ترى في أي ملةٍ من جمع حاله وعمله بين الدنيا والآخرة أظن ذلك لم يكن

بغير أبيه حينما كان صغيرًا فحملته بلهف الفاقة ووله الاشتياق الى بيوت بعولتهن فمزقه الممزقون يمينًا وشمالا حتى ذهب أدراج الرياح وبقيت حسرة الفوت وهم الحساب وخوف العذاب في انتظار يقظة ذلك النائم في ذلك القبر ليعلق الكل بأذياله الى حيث يذهب ولا مأوى له الا جهنم وبئس القرار

ومنهم المشتغلون بنشر العيوب وذكر الحروب وحث الامم على المزاحمة في حب الدنيا واستخدام الروح والبدن في جمعها حتى أشغلوا القلوب عن كل عمل مطلوب ونسوا الله فأنساهم أنفسهم وأولئك هم الخاسرون

ومنهم العلماء الذين دخلوا تحت قوله تعالى (الذين فرحوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون)

ومنهم من هم كذوات القرون الناطحة أولئك هم الذين تحتم عليهم الشقا وحقت عليهم كلمة العذاب فأوتوا قوة الجدل والمناقشة وحرموا مزايا التصديق فأساؤوا الظن بالله فناداهم الحق تبارك وتعالى وهم لا يسمعون بقوله (وذالكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوي لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وهؤلاء هم القوم الذين ساعدوكم على معادات الانبياء وأذى الاتقياء وهدم قواعد الدين والخوض في أعراض الصالحين وقبحوا للعامة الاعمال الدينية التي حسنها لهم السلف الصالح حفظاً لدينهم وتثبيتاً لإيمانهم فما زال سفهاء هذه الطائفة التي تزعم الإصلاح يضلون العامة بتمويهاتهم الفلسفية حتى أفسدوا عقائدهم وأعانوكم عليهم بإخراج الايمان من قلوبهم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

وان منهم لطائفتكم التي لا تخجل ولا توجل ولا مثل لها الا باغيات المومسات اللاتي يعلقن بأثواب الزناة في الطرق غير متحاشين ولا مميزين الصالح

والاصحاب فكان حال دنياه معه كحال محتال آخذ في ملاعبة ذي مال قام لحراسته فما زال يداعبه ويلهيه عنه حتى اختطفه المختطفون وتركه محتاجاً لما لا يجده وما أبقى له الا حسرة الندم وكربة الغم المديد

ومنهم من أتته الدنيا طائعة مختارة وعاجلته بها الاقدار قبل ان يخلق فما خرج من بطن أمه الا وسعة الرزق في انتظاره والمال الكثير في خزائنه يودُّ مدَّ يده اليه وما ورثها الا عمن أجهد نفسه في جمعها وتركها له بحذافيرها ثم انصرف مدبراً فلما ترعرع شباب ذلك الطفل أحدق به طائفة من أهل المجون وشرذمة من سفهاء الاشرار الذين لا خلاق لهم فأفسدوا حاله وبددوا ماله في زمن قريب وعاش بقية حياته آسفاً محزوناً فلا دنيا أحرز ولا من المهلكات تحرز ثم شاب على ما شب عليه من سفاسف الاخلاق ورذائل الغرور والافتتان وسقط من أعين الخلق والخالق وما كان لذلك من سبب الا فقد النصحاء ومخالطة السفهاء وهجر مناسك الدين والله لا يحب المفسدين وهؤلاء كثير ماهم في هذا الزمن الذي هو ميدان الفواحش والمنكرات ومظهر عجائب الحوادث وخبايا المستغربات

ومنهم من وافته دنياه على فاقة فاحتضنها احتضان الثكلى ولدها الذي وافاها بعد فقد أخيه وكلما زادته إقبالا أراها حباً وإجلالا وناداها بلسان الحرص والطمع هل من مزيد ولما أعياه حفظ ما استمالت به قلبه من المال غرسه في ربوة الربا ليربوا حتى اذا باض ثم أفرخ وكثر النتاج أراد أن يتعرف ذلك المال لصاحبه الذي كان مشغوفاً بحبه فوجده تحت مواطئ النعال حيث تكون الموتى فهمَّ أن يحزن عليه أو يذهب حيث ذهب فبصرت به زوجته التي احتضنها غيره وابنته التي طالما رقص في عرسها وأمه التي تزوجت

إلا بكل فضيلة وكرامة ومكارم أخلاق وثناء جميل

فهل يكون خال من جاء يعيب هذا الكامل بعد موته بألف وثلاثمائة عام الا كخال المجنون الذي لو أوتي ما خرج من دبره لتناوله مسرعاً به الى فمه

وهل يتجارى سفيه على هذا العمل القبيح ويتجاهر ببغض هذا النبي الكريم والخوض في عرضه واعابة دينه الا في زمن فقد العقلاء وأمات الفضلاء وفسدت أخلاق بنيه وارتفع فيه السافل والسفيه

يا هذا انما مثل القوم الذين انتصبوا الآن لإطفاء أنوار الدين المحمدي مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومع عيسى عليه السلام كمثل امرأة شوهاء لا قيمة لها بين النساء ولا منزلة لها في قلب زوجها التي تدعي أنها في عصمته وهي بائنة منه بينونة كبرى من حيث لا تشعر ولها أخت قد تزوجت برجل من اكمل الرجال حالا وأشرفهم قدراً فجاءت تلك الشوها توقع بين أختها وبين زوجها الكامل وقد حملها الحقد والحسد على اعابة أختها كلما ذكرتها بما ليس فيهـا من العيوب وألجأتها خسافة العقل الى الخوض في عرض بعل أختها الفاضل الكريم وجاءت تفضل من زعمت أنه زوجها عنه وإنهما لأخوان كريمان ثم ظنت بذلك العمل أنها تكون مقربة عند زوجها محبوبة له وأنها تكون مقبولة عند جيرانها وما زادها ذلك العمل الا مقتاً وسقوطاً من أعين السامعين هذا كله ومطلقها يستشيط غيظاً ويود أن لو تمكن من احراقها وأما زوج أختها فانه في شغل شغيل عنها بما هو فيه من الكرامة وعلو المقام وارتفاع الدرجات فلا يزال الحقد والحسد بتلك المفتونة حتى تميز من الغيظ كما تكون عاقبة المبغضين أهل الحقد والحسد هذا هو مثلهم مع أمة النبي الكريم وأما نسبتهم الى الدين الذي يدعون اليه الناس فما هي الا كنسبة ذات السفه والحماقة وقباحة العمل

من الطالح حيث لا إحساس لهن بفساد حالهن ومقت الخلق والخالق لهن ومن يضلل الله فلن تجد له وليا ولا نصيرًا

يا هذا ما الذي أعجبك من حالك وحال أهل زمنك الذين فقدوا المروءة ومكارم الاخلاق وأضاعوا حقوق الانسانية وشابهوا الانعام في عدم التدين بدين يخرجهم من طور البهيمية الذي به صاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا يأتمرون بمعروف هجروه بل صار شعارهم الخروج عن حدود الآداب والتجاهر بما يغضب رب الأرباب ووصلت بهم البذاءة والسفه وشدة الطيش الى الخوض في أعراض النبيين وجحود نعمة رب العالمين

يا هذا أمن المروءة والادب ومكارم الاخلاق أن تنطلق ألسن السفهاء منكم بالخوض في عرض نبي كريم أسس قواعد العدل وقوم قوائم الفضل وأخرج أمة عظمى من الظلمات الى النور وجاء بشرع شريف يلجأ الى انصافه المظلوم و يرضى بحكمه الحق الغالب والمغلوب من الخصوم

يا هذا لو أن رجلا فاجرًا فاسقًا ارتكب جميع الموبقات ثم تاب قبل موته وحسنت توبته حتى رضيت عنه عشيرته أيحل لقوم الوقوع في عرضه بعد موته وهل يغتابه ويذكر مساويه الا كل فاسق ناقص العقل والمروءة ليس له بين الرجال منزلة ولا قيمة له ولا اعتبار

فكيف اذًا يكون حال من يخوض في عرض من أجمعت الامم على طهارته وفضله واعترف له أعدائه بأنه أوسع الناس عقلا وأشرفهم فعلا وأصدقهم قولا وان لم يؤمنوا برسالته وأما من آمنوا به فانهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى ما جعله الا عروس مملكته وطراز ملكه وخزانة أسراره ومطلع أنواره وما تواترت عنه الاخبار الثابتة الصحيحة الصادقة المصدقة بالسند المتصل عن خيار القرون

الخناس من الجنــة والناس اللهم أنقذنا من أوحال التوحيد بقوة ثبات يقين التحقيق بمعنى لا اله الا الله وألحقنا بعبادك الصالحين بالتمسك بالعروة الوثقى من مفعول مدلول قولك محمد رسول الله الهي لا تفتنا كما فتنت شبان هذا الزمن بعلمهم الذى أوقعهم في مهواة الجهل بك و بشريعته وتباعد بهم عن مراضي الآداب الموصلة اليك واختطف افئدتهم عن معرفة عظمتك وأورثهم قولا مفتنا وحالا كرائحة الرمم منتنا الهي لا توقفني مواقف النميمة بينك وبين عبادك المذنبين فما في قلبي لهم الا حنان المشفقين وغيرة الاصدقاء الناصحين اللهم ارزقنا رافة بأحوالهم وبغضا للقبيح من أعمالهم وخفف اللهم عنهم وطئة الشيطان الذى أجلب عليهم بخيله ورجله وشاركهم في الاموال والاولاد اللهم هب لي صحبة أوليائك و باعد بيني و بين أعدائك وخلص اللهم نفسي من ربقة الانتقاد والاعتراض ومل بها يا مولاى الى أحسن الغايات واكمل الاغراض ولا تشغلني عن مشاهدة تكوينك لكل كائن بما أشغلت به الغافلين من عبادك السفهاء من شواغل الغرور والافتتان حتي أراك في حضرات الشهود والعيان واطلاق الوجود والعرفان على ما أنت عليه فعالا لما تريد وأرى المعلومات معدومات كما كانت غير موجودات فانه لا موجود إلا بوجودك انك على كل شيء قدير

يا هذا أما آن لحسك المشترك أن يصحح غلطات تخيلاتك فيما تخيلته من أحوال أقرانك ومعاصريك التي لو تأملتها بعين الناقد البصير وكنت ممن اجتباهم الله لوليت منهم فرارًا كفرار موسى من آل فرعون

تالله لقد جاست الفتن منهم خلال القــلوب وتمكن سلطان التباغض والتحاسد من أفئدتهم المظلمة حتى تقطعت من بينهم علائق الأخاء والمودة وصار الود مداهنة والتودد مصانعة ومعاملة وقد مزقت عوامل الشح والطمع

والمنظر لمطلقها الاديب العاقل الذى يأبى معاشرتها و يبغض رؤيتها لما هي عليه من الجنون وسوء الخلق وتأبى الا أن تكون قوادة له تجلب أمثالها لصحبته وهو يكره ذلك لعلمه أن الطيور على أشباهها تقع ألا هل لهذه الفاجرة الغبية المفتونة في الحماقة وطيش العقل من نظير هكذا هي نسبة هؤلاء الضلال لدينهم الذى لو اتبعوه لاشتغلوا باصلاح أنفسهم وأهل ملتهم عن افساد أحوال المدنيين من الامم الأُخر

فلو كنت بصيرًا لتأملت العواقب وعلمت الأمر على ماهو عليه وتحققت أن زمانك هذا شر زمان وقرنك أصعب القرون وأن بنيه في ضلال مبين فكم في كل أمة من الأمم حتى في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هم آل بيت ممقوت عند الله غرّهم الغنا وأخذ بمجامع قلوبهم الطيش فظنوا أن الدين هو الحضارة والتمدن وعملوا على ذلك حتى صاروا لا يحسنون النطق بالشهادتين بعد ان كانوا مسلمين وكان منهم العالم والفقيه (وما كان الله ليضل قومًا بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فضلوا على علم وافتتنوا بعد الفاقة بما أمدهم الله به استدراجًا ليكونوا آية للناس وفتنة والله على كل شيء قدير

اللهم يا مولانا اني عبد من عبيدك الضعفاء جئتك سائلا متوسلا بأقرب المقربين اليك و بأمكن أهل المكانة والتمكين لديك ان لا تطفئ بريح الفتن ودخان البدع أنوار أسرارنا بعد ما أوقدت فيها مصباح الهداية والتوفيق وان لاتظلم قلوبنا بظلمات الشبهات العقلية التي أضللت بها كثيرًا من عبادك المفتونين اللهم لا تعجل علينا بغضبك المهلك ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا فتجعل نفوسنا مطايا الشياطين والعوبة الزائغين كما فعلت بمن افتتنوا بغرورهم فاستطالوا في بث شرورهم اللهم هب لنا نورًا نمشي به في الناس ولا تسلط علينا الوسواس

يا هذا أفي ما ادعيناه منا ألقيناه على مسامعك ما يحتاج الى اقامة دليل تالله ما بعد النظر عيان ولا فوق التجارب عرفان فأي شأن من شؤون القوم أنت به معجب وأي صوت تكون به اذا مدحتهم المغني المطرب فورب السماء والارض لا صوت في ما تدعيه أخفى من صوتك ولا عجب أعجب من إعجابك بأهل قرنك الذي هو شر القرون ولا يرضى عنهم الا كل غبي مفتون فاسترشد يا هذا طريق النجاة ان أحببت الرشاد ولا تتبع سبيل الذين سعوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد

فتبرم ذلك الرجل مللا ولو ان صادعة الحق صدعت قلبه لحاول جدلا ولكن الصدق أفحمه فسكت باهتاً ثم بعد قليل قال ياجنبيهي انا لنرى فيما ذكرته شواهد الصدق وقوة الحق ولكنا لانصادقك على دعواك ان الصحف المنتشرة هي التي أفسدت أحوال كثير من الناس وأضرت بأمر دينهم فما هي الوجهة لك في هذا النظر المخطئ

فقلت ياهذا ان الضال عن ضاربه في الخلاء لمعتوه ومن لم يعرف أباه بوصف لقيط وسموه وها أنت الضال الذى ما اهتدى اضاربه واللقيط الذى آوى الى من وجده عند التيقظ بجانبه لانك ومن اعتنقوا تلك الصحف ماعلمتم لكم ديناً الا الحضارة والتمدن وما كنا قبل تلك الصحف نعرف للنجاة طريقاً الا طريق النبوة التي هي المنهج القويم الذى حوى جميع الآداب الكمالية ولقد هجرتم هذا الدين كما يهجر الولد العاق أباه فكنتم لقتلاء هـذا الزمن وما هجر الناس الاديان ومناسكها الا لما صدع أفئدتهم من صدمات تمويهات تلك الصحف التي طالما هجت أئمة الدين وقبحت جميع أعمال المسلمين وحسنت لهم الانكباب على الدنيا حتى يساووا بقية الامم في الانهماك في تحصيلها كانهم

شمل الألفة الدينية والوطنية وخالط الغش الماء والتراب وخلع الناس ملابس السكينة والوقار وتدرعوا بدروع الوقاحة ورموا زاجر الحياء والخوف بمقذوفات الكبائر المهلكة ومدّوا أبصاراً تتبعها البصائر المفتونة الى زخارف دنياهم والى مارق وراق من مناظر الفواني والمتاع القليل وصرف الله أفئدتهم وأبصارهم عن كل ما يستحق النظر من بدائع صنع الله في الآفاق وفي أنفسهم حتى جحدوا الخلاق وأنكروا الرزاق وزاحموا الحق في التدبير وكفروا بالقدر والمقادير

وطالما أنذرهم الله سبحانه وتعالى بكثير مما أنذر به سفهاء الامم التي أهلكها بطغيانها فما زادهم الا مقتاً وفتوناً وما اكترثوا بما ترادف عليهم من المخوفات الجوية والحوادث الغيبية والعاهات السماوية والاصابات الوبائية والامراض البدنية والأسقام القلبية والقواطع الغضبية التي حالت بينهم وبين التبصر في حالهم ومآلهم فما تفطنوا الى ان الله تبارك وتعالى اذا أراد بعبد سوءاً أوكله الى نفسه وشيطانه وحبب اليه الفسوق والعصيان وأشغله بالملاهي حتى لا يكون له يوم القيامة من الشفعاء حبيب واذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيون نفسه وألهمه متابعة الاتقياء والانقياد للنصحاء وجعل صحبته للدنيا صحبـــة الضيف الراحل الذي لا يبغي من مضيفه الا مايسد الرمق ويقيه ألم الحر والبرد مدة اقامته وفتح سمعه وبصره لما يسمعه ويبصره أولوا الالباب عن ربهم من عالم الملك والملكوت وتعرف اليه في كل شيء حتى يراه عند كل شيء وصرف قلبه عن كل شيء الا عن مراقبة نفسه في جميع أعمالها وأحوالها فيجعل قالبه لدينه ودنياه وأما قلبه فلربه رغبة ورهبة وقرباً ومحبة فيتناول دنياه بنية صالحة خيرية ويصرفها كذلك فتكون هي الآخرة التي هي خير وأبقى أولئك هم أولوا الالباب وأولئك الذين سعدوا وأولئك هم المتقون

دعوناهم ويتكبدوا مشاق الاسفار وأهوال الاخطار كما تكبدنا سيما وهم أهل الوطن ونحن الغرباء وهم المحبوبون ونحن العواذل والرقبا فهل يكون إقدامنا وإحجامهم وجرأتنا وجبنهم وقوتنا على العمل وضعف عزائمهم الا لما نحن عليه من الاستقامة وما في دينكم من الاعوجاج

فقلت يا هذا انا سنؤجل الكلام الآن على الاديان الى أجل قريب حتى نبين لك الاسباب التي لاجلها لم تجاريكم علماء الامة في جرأتكم التي لا يتجارى عليها الا من لا عقل له ولا زاجر فنقول

انما أحوال أفراد الامة المحمدية تختلف باختلاف درجاتهم في الكمالات الدينية فأما عامتهم فكالعامة من باقي الامم لا ديدن لهم الا تصـديق أولي الفضل منهم ومتابعتهم في صدق الاعتقاد وقوة الايمان بالله ورسله وفي آداء ما فرضه الله عليهم على قدر الطاقة ومعرفة القلوب وهؤلاء هم الذين أفسدت الصحف أخلاق كثير منهم لانهم أحدثوا في قلوبهم ريباً مما كانوا عليه وما أرشدوهم الى طريق غيره فوقعت خزعبلاتكم عندهم موقعاً أوقفهم في مواقف الحيرة فهم لا يهتدون الا اذا أرشدهم المرشدون ولكنهم أقرب الى دينهم القويم من أن يميلون معكم الى ما أنتم عليه من الضلال المبين

وأما الخاصة فهم منقسمون الى قسمين خواص وخواص الخواص ولا حكم لمن أزاغ الله قلوبهم من العلماء فصاروا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فانهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

فالخواص هم أتقياء العلماء الذين انتصبوا لحفظ القواعد الدينية والروابط الشرعية من أحكام العبادات والمعاملات بتعليمها للطالبين وبيانها للمسترشدين وهؤلاء لهم مقام معلوم ومقر معهود يأتيهم الطالب ويقصدهم الراغب وقد

يريدون ان لافقر ولا تفاوت وهــذا محال اذ كل أمة من الامم لاتخلوا من الفقراء والاغنياء ولكل أمة عمل لايشابه عمل الاخرى ولو تساوت الامم في الاعمال والصناعات وجميع الحرف والاحوال لاستغنى البعض عن البعض ووقفت حركة التدبير وبطل النظام ولكن اكثر الجهلاء لا يعقلون فويل لمرشد لا يرشد الا الى ما يذهب بالرشاد ومصلح يفسد بتمويهاته أحوال كثير من العباد.

ياهذا تالله ما كان ارشــاد تلك الصحف للقلوب التي ضعف ايمانها الا كالغذاء المسموم فقد أهاج مغص الزيغ وحرك حمي الغرور والافتتان حتى أصبحت قلوب العامة في قلق شديد واضطراب زائد وشك مريب لا يقر لها في مواطن الثبات قرار ولا يلويها عن مسارب الاعوجاج جميل اصطبار لعجزها عن حمل أثقال الكمالات الدينية لتضاعف المرض عليها من ضربات تلك الصحف فصارت تمج النصائح كما يمج المحتضر ما كان يشتهي تعاطيه قبل مرضه وما اكتسبوا من مطالعة تلك الصحف الا تحسين الاقوال وقبح الاحوال فكان الكل كما قال الله تبارك وتعالى (ومنهم يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)

كغصن تراه في النضاره يانعاً وأثماره في الشكل أبهى وابهج
ولكنها تجني فيفضي مذاقها الى مابه الروح العزيزة تخرج

فقال ياجنيبيهي اذا كان الامر كما تقول وقد وصل الفساد النهاية وانكم لاتزعمون أن أمتكم خير الامم كما جاء ذلك في كتابكم من قوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فما هي الدواعي التي تقاصرت لها همم علمائكم عن القيام بواجب الرشاد والارشاد ونصرة الدين الذي تدعي أنه اكمل الاديان حتي كانوا يطوفون البلاد كما طفنا ويدعون الناس كما

وتضلون بما أنتم عليه من الضلال المبين هائمين لا خجلين ولا مذعورين

كذئب رأى أن لا أسود تروعه   فقام بغاب الأسد يعوى و يرقص
ولو أن ليثاً روّع الذئب ما عوى   وكان بباب الجحر خوفاً يبصبص
ألا قل لأقوام تمادت شرورهم   سيأتي القضا بالمرجفات تربصوا

فقال الرجل يا جنبيهي لقد أوقفتمونا مواقف الحيرة في أمركم يا أمة محمد اذ تزعمون أنكم خير الأمم ولكن أعمالكم أعمال الاشرار فإنا نرى الصحف قد امتلأت بمعائب من ادّعيتم أنهم هم الفضلاء منكم أما سمعت من فصحائكم إعابة الأئمة المجتهدين والخوض في أعراض الاتقيا الزاهدين ومامن قوم سلكوا منهج السلف الصالح منكم الا عابهم فصحائكم المصلحون وأهل الرشاد المرشدون ولقد أوسعوا الكل سباً وانقلب منهم القول لعناً بعد ما كان عتباً حتى زعموا أن الاتقياء من أسلافكم هم الذين دنسوا الدين وقهقروا عصبة المسلمين وما عدّوهم الا من شر الاشرار اذاً فأين ياجنبيهي يكون الخيار

فقلت ياهذا لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّاً من المجرمين) وما كان أعداء كل نبي من كل أمة الا فلاسفتها أولئك قوم ينكرون القدر ويجحدون وجود الملائكة ويستقبحون الاعمال الصالحة التي أمر الله بها عباده ويعتقدون أن الانسان قائم بنفسه قيم عليها يسيرها كيف يشاء ويجلب لها ما يشاء الى غير ذلك من الاعتقادات التي لا تقر عليها الرسالات ولا تقبلها الديانات وإنه لمن المعلوم أنه لا يروج كساد بضاعة من كان الزيغ تجارتهم والمروق من الدين حرفتهم والتعالي على الله دأبهم ومنازعته في ملكه كسبهم الا بتقبيح أعمال المتقين وسب أولياء الله الصالحين ولولا أن حلم الله يقتضي الإمهال وحكمته تستوجب المكر والاستدراج لتتميم ما يقتضيه النظام الا بداعي

كانوا قبل هذا الزمن ينهون الظالم ويردون المظالم حتى تغلبت عليهم طائفة الفساد والإفساد أرباب الاسانة والمكر السيء فقبحوا للامة أعمالهم وعابوا للأئمة أحوالهم بدعوى أنهم لا يدعون الا الى دين مهجور وعمل غير مشكور لزعمهم أن الاشتغال بالدين لا فائدة فيه ولا نتيجة له وساعدهم على ذلك التقبيح مقت الله لأشرار هذا الزمن الذين لا دين لهم فقويت شوكة الضلال وكثرت الضلال وما وجد العلماء سبيلا لسلوك مناهج السلف الصالح الذين كانوا يلقون النصائح ويزجرون أهل القبائح ورحم الله ابن عطاء الله السكندري حيث قال ما ترك من الجهل شيئًا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه

وأما خواص الخواص فهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم الذين ورثوه في الحال والمقال والأعمال وهؤلاء قوم كما قال ابن عطاالله منهم من اصطفاهم الله لخدمته ومنهم من اختصهم بمحبته قال الله تبارك وتعالي (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) والكل واقفون عند حد قول النبي صلى الله عليه وسلم في بقيـــة حديث شريف فاذا رأيت شحًا مطاوعًا وهوى متبعًا فعليك بخويصة نفسك وليسعك بيتك فتراهم منكمشين في زوايا الخمول يسألون الله السلامة مما ابتلى به عباده وقد اتبعوا قوله صلى الله عليه وسلم لا تمنحوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم

وما تركت الصحف المنتشرة في زمنك هذا مجالا لمرشد ولا معتقداً الناصح بل تركت القوم في مسارب الغرور والافتتان يدعون العلم ويمقتون العمل فلو جئت جاهلا لتنصحه لقال لك أنا أعلم بما علمته منك فلذلك اتشمر القوم الآن بقول القائل كن عبد الإراده واتبع ما أراده

وأما أنتم فقـــد أحاطت بكم خطاياكم وغلبتكم أهوائكم فقمتم تعبثون

الامة هي الطريق التي سادت بها العرب وارتفعت بها أعلام الأمة الاسلامية وهل في آداب الصوفية مايخالف آداب القرآن الذي تنزه عن الاعوجاج وهل تمرد متمردٌ او تفرعن متفرعنٌ الا بمتابعة هواه وهل الهوى شيء سوى العقل الذي زعمتموه وهل من العقل أن تدعي أن التوكل على الله لاخير فيه وليس التوكل الا ملاك الايمان وهل من العقل أن تنكر تصرف القدر في مقدوراته التي أنت منها مع احساسك من نفسك أنت ومن له أدنى شعور منكم بانكم وباقي المعلومات الكونية لا بد لكم من موجد وما علمنا بمن نادي في دوائر هذه المملكة العظمى في السموات والارض قائلا (إنني أنا الله لا اله الا أنا) الا هذا الاله الذي قال (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) وما ترك دعواه عاطلة ولكن قواها بالبراهين القاطعه بكثير من مصنوعاته البديعة وأفعاله التي لا يقدر عليها الا هو فهل اذا انكرت الصانع مع وجود صنعته التي لم يدعى اختراعها غيره تكون ذا عقل (كلاّ) ولكنك تكون ممقوتا لدى العقلاء اذ القضية العقلية تفيد أن كل موجود حادث لابد له من موجد قديم وقد أثبتوا حدوث العالم لاستحالة تعدد القدماء اذا فأنت بين أمرين اما ان تنكر الصانع فتخالف العقلاء واما أن تعترف بوجوده فتكون ملزماً عقلا وشرعاً بالايمان بأنه هو المقدر لكل مقدور بارادة وحكمة وعلم وأنه هو المنفرد بالايجاد والتكوين وان كل عمل يوجده أي عامل مخلوق له بحال لا تعلمها أنت ولا قومك وربما كاشف الله بهــا بعض اصفيائه كما قال (لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رســول) وإنه هو القائل (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وما في الوجود شيء يخرج عن هاتين الدائرتين أعني دائرة الخلق والامر اذ لو كان في الموجودات ما يجوز أن يكون كائنا

من اضلال قوم على يد آخرين وتشاجر الموجودات التي منشئها الحركة وتأجيل العقاب الى أجل معلوم لخسف الله بهم ولا تجعل أمثل هؤلاء الضلال برهان دعواك ولا تهتدي باخوان العمي الى اعتدال مسراك فان الله لا يهدي القوم الظالمين

فما لبث ذلك الرجل أن نادى شاباً من شهداء ذلك المشهد أزرق العينين غليظ العنق واسع الجبهة أشقر اللون ابح الصوت قائلا لماذا لم تقنع صاحبكم هذا ولم تدحض حجته بما أوتيت من العلم

فقام ذلك الشاب قائلا ان الفلاسفة هم العقلاء المبصرون وانهم لهم الأساتذة العارفون ولا عمل لهم الا بالعقل ولا سبق لهم الا بالفضل وهم الذين يقيسون كل شيء بمقياس التدبير ويتبعون حكم العقل لا أحكام المقادير إذ العقل هو أقوم دليل مرشد يهتدي به الانسان الى معالم السعادة ومن فقد عقله فقد فقد الخير كله فلا تعتب قوماً قاموا لاصلاح البلاد وارشاد العباد وما جاؤا الا بما فيه كل رشاد وسداد ولولا أنهم أنقذوا الناس من أوحال التوكل الذي أرقد الناس في مضاجع الكسل وتجاذبوهم من أيدي الايمان بالقدر لهلك الكل كما هلك أسلافهم من قبل وشتان بين أئمة أخرجوا الناس من ذل العبودية وغفلة الذكر وسجن الطاعة التي تدعون أن سعادة الانسان لا تكون الا بها وزحزحوهم عن مراكز التقليد الى اطلاق الحرية واستيفاء حقوق الانسانية وراء العقل وبين قوم سجنوا أفكارهم بأحكام الشريعة وآداب التصوف وقلوا لهم اشتغلوا بالعبادة والله خير الرازقين ذو القوة المتين كلا ان الاتقياء في جهل مهلك وضلال مبين ثم جلس يتبرم و يتلفت تلفت الوقح الذي يدافع عوامل الخزي والخجل عن وجهه

فقلت يا هذا أو ليست طريقة القوم الذين زعمت أنهم سجنوا بها افكار

من الاعمال التي مدارها التوجهات القلبية فلو ان كل عامل تخير لنفسه عملاً لكان إله نفسه وفسدت السموات والارض ولما سخرت الحيوانات للانسان ولما سخر البعض منهم للبعض تسخيراً قهرياً في صورة التراضي ولذلك ترى الطفل عقب الولادة بأقل من الزمن القليل ينبعث لتناول الثدى و يشتهي التغذى وما كان اذ ذاك عالماً بشيء من المعلومات ولا يدرى لغذائه الذى اشتهاه نوعاً ولا مقرّاً بل هو مفقود الاختيار والتدبير وهكذا حال الانسان في جميع أطواره لو تعقل لعلم أنه لا يفارقه الإلهام والتيسير طرفة عين ولكن الظالمين في ضلال بعيد

وأما القدرة على التناول فكل ذى ذوق سليم يعلم علم اليقين أن الإعارة لا توجب التملك الاشياء المعارة ودعوى نزع المملوك من مالكه لبعد مدة الإعارة محض لؤم وصولة تعدى وليست قوتك التي تدرك بها ضرورياتك وشهواتك الا عارية أعارها لك الحق ليقضي منك مراده الذى لا تنفك عن التسخير لقضائه طرفة عين كما سخرت البغال لاعمالها والشمس لتأثيراتها التي خلقت لاجلها وجميع المؤثرات الكونية ولو أن القوى موهوبة لك هبة ذاتية كما تدعي لما كانت تزول بزوال أسبابها وتنقطع بانقطاع أمدادها العنصرية اذ لو اعترضك عارض من العوارض التي تذهب بالقوى لذهبت كما يذهب الضوء عند ما ينطفي السراج بعارض من العوارض

اذاً فلا قدرة لك لا موهوبة ولا مكسوبة ولكنك محمول معان على ما أريد بك مسخر لما أريد منك طوع تصرف القدرة الماسكة لقواك بل وللسموات والارض أن تزولا وإن الذى يمسكهما هو الحافظ لحياتك بما أودع فيك من السر ألا ترى أن أمعاك لولا السر الذى يمسك عليها قوة التحمل لما يلقي فيها من

بغير تكوينه وتعلق ارادته بترجيح وجوده لمـا صحت له الألوهية على ذلك الكائن كائناً ما كان ولكان السبب الذي وجد ذلك الكائن عنده هو إلهه وبذلك تتعدد الالهة وقد أوضحنا البيان في هذا المقام في كتابنا المسمى بنشر الاسرار البشرية بضرب مثال الولد مع أبيه فراجعه علك أن تهتدي الى معالم الحق فتهرب من شيطانك الذي أخذ بخنقك الى مصارع الشرك فان الشيطان للانسان عدوّ مبين

ثم إن في تناولك الطعام لعبرة وتذكرة لأولي الألباب لأن كل عاقل يعلم علم اليقين أنه لا يتناول طعامه الا اذا توفرت فيه أشياء كثيرة منها الإشتها ومنها الباعث على التناول ومنها القدرة على تعاطيه فأما الاشتها فليس من عمل المشتهي بل هي حالة اضطرارية تحمل الحيوان بحالة جبرية على التهيأ لتناول ما هو محتاج اليه حتى أنك ترى بعض الحيوانات اذا رأى الغذأ يجري لعابه وتعتري آلات مضغه حالات جبرية لا يمكنه ردعهـا بحال من الاحوال ولا قدرة لحيوان على أن لا يشتهي وليست قدرته على عصيان الشهوة هي قدرته على عدم الإشتها ولا قدرته على إضعافهـا تعد قدرة على أن لا يشتهي كما هو مشاهد ومعلوم

وأما الباعث على التناول بمعنى العزم والنية المحركة للتناول لأن يتناول فما هو الا من عمل القلب الذي لو تملكه صاحبه لما أهانه العشق مثلا ولا تمكن منه الغضب حتى أخرجه عن حوزة التأني وتخير الصواب في عمله فليست القلوب مملوكة الا لمالك واحد ألا وهو الإله الذي يدير حركة هـذا الملك الواسع على أتم نظام بتقليب قلوب العمال من ملوك ورعايا وكل صانع محترف وعامل وأجير مسخر وضارب ومضروب ودافع ومدفوع إلى ما لا يتناهى

وقوم النار وقوم الشمس والقمر ولما أقر قوم فرعون على دعوى الالوهية ولما ادّعاها قوم لعيسى قهرًا عنه الى غير ذلك مما لا ينطبق وقوعه على العقل الذي هو بمعنى الفكر فان قلت أنهم لاعقول لهم بمعنى أنهم ليسوا باصحاب فكر نقول ان فيهم من هو أوفر منك حظًا وأشرف أعمالا وأسمى بين الناس درجة وأعلم منك بصالح مصالحه الدنيوية وما كانوا ليهتدوا الى معالم الحق الا أن يشاء الله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وان قلت انهم أصحاب عقول قلنا لك لمَ لمْ يهتدوا الى حال واحد متفق عليه

يا هذا لقد قررنا في كتاب نشر الاسرار البشرية أن العقل الذي يكون به الرشاد والارشاد والهدي والهداية الى طريق الحق القويم ما هو الا النور الذي أشار الله اليه بقوله (ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور) فلو تأملت في عقلك الذي تدعيه بعين المميز النبيه الذي يريد أن يتخير طريق سلامة يتبعها لما وجدت انقيادك الا لهواك انت ومن سبقك من أهل هذه الطائفة المفتونة وما ذلك الهوى الا الذي نهى عنه الحكيم العليم أنبياءه وأولياءه وأمرهم بأن لا يتبعوه وانها لمجرد ظنون ولقد عرف حالهم الحق بقوله (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وإنه لتعريف لحال كل من حاد عن سبيل الرسالة ألا ترى ان ابن سينا وهو رئيس هذه الطائفة لما نظر الى الفلك قال له ويلك من خبيث أقمت على حدوثك سبعين برهانًا ومع ذلك فيك علامة القدم فلو أن الله سبحانه وتعالى أرشده بنور من عنده لاهتدى الى الحق ببرهان واحد ولكن الظنون احتوشته فهوت به في مهواة لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى كما بيناه في نشر الاسرار

يا هذا انما حالك في فلسفتك أنت وأمثالك الذين منكم كحال فرس

الغذا فيصير منتنا قذرًا لفسدت في أيام قلائل ألا ترى الميت تتساقط أركانه وتذوب أعضاؤه في أقل من الاسبوع لمفارقة ذلك السر له فتبارك الله أحسن الخالقين الذى خلقك فسواك فعدلك فأصبحت له خصيماً مبيناً

فتأمل يا هذا بعين الناقد البصير واترك الشيطان يهزى بوساوسه وتجاذب نفسك من جنود الغرور والطيش التي تجاذبك لتعلم علم اليقين أن القدر الذى أنكرته هو سلطان المؤثرات ومدبرة الإيجاد في جميع الوجود وميزان الحظوظ والقسم وصولجان الحكمة والتدبير لا تخرج ذرة في الوجود عن دائرة تصرفه ولا يعلم سره الا صاحب القدرة العلية والإرادة الصمدانية الذى لا يعزبُ عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما وتبصر يا هذا لتحقق حقيقة الامر على ما هي عليه فترى كيوان الذى كان ابن سينا يستلهمه في مهماته ويلتجأ اليه في تصرفاته ما هو الا نجم من تلك الكواكب التي جعلها الله في دائرة الافلاك كترس من تروس آلة دورة الى الآن وقريباً ما تتضح الاحوال وتشتد بالمنكرين الأهوال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)

يا هذا أتدرى إذا العلوم والمعارف مكان العقل منك وهل أنت المتصرف بقوة على المخ متسلطة له فيكون مؤثرا غيبيا لا ندرى ما هو وتكون تحت قهره أم هو المتصرف بقوة مشددة على الخلايا وتكون صاحب السيطرة عليه فيكون أضعف منك لعلك أنك لا تعلم شيئاً من ذلك ولكنك تدعيه متابعة لمن يدعونه ويقولون أنه الفكر

ألا ترى أن الانسان لو كان مالك عقله أوكان له عقل يدبره في دائرة عوالمه الجسمية ويصلح أحواله لما عبد قوم الأوثان وقوم الفيلة وقوم البقر

الفرائض المفروضة والنوافل المرغوبة واتخذت لك أستاذاً يرشدك غير الشيطان الذي صير العوام أصفى منك قلباً وأثبت منك عقيدة وأصح منك إيماناً وأصدق منك يقيناً وتركك هائماً في ملاهي الفنون الرياضية معلقاً بين سماء التكبر وارض الجهالة تحاول انكار قدرة مولاك تارة بنسبة التأثيرات التي أنت ضعيف عن مقاومتها بالجحود الى أفلاك وكواكب هي مثلك في العجز عن أن تقوم بنفسها ولو أنها كانت ذات قوة على قيامها بنفسها لتحول أحدها يوماً ما عن مكانه من منزله التي جعلها الله محل سباحته أو أرسل رسولاً من عنده يبث قوانينه بين من هم صنعته وتارة بنسبة الاعمال الى نفسك وجعلت ربك الذى خلقك فسواك ورباك بنعمه لم يكن شيئاً مذكوراً وما وجدت من نفسك الامارة زاجراً ولا اتقيت بطش من أمر نبيه بقوله (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وان الله لكاتب ما تقولون ومحصي ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم أنشدته قائلا

أيها الآبق الشرود تعالى ... لربك سبحانه وتعالى
أيها العبد ان شردت سنيناً ... ودهمك الغرور جهلاً وضلالا
وشاقت السماك ما زلت عبداً ... وعن الملك لا تطيق انفصالا
ويلك قل لي اذا دهتك الدواهي ... وأراد القدير منك النكالا
هل بواريك في البرايا موار ... أم ترى للهروب منه سبيلا
يا مديم الشقاق هل من نصير ... يوم الله إن أحل الوبالا
أيها المؤذن الحروب تروّى ... شأنك الضعف لا تطيق النزالا
ألق عنك السلاح واطرحه سلما ... واعط من قد برى القسي النبالا
فلسان السفيه أمضى سلاح ... في تعدي الحدود قيلا وقالا

شموس أخذ يعدو براكبه الى حيث لا يدري الراكب الى أين يذهب أو كحمار قطع قيوده ومزّق هائماً في مراتع الذئب فرأى فيها من الاعشاب ما يشتهي وصار الذئب قائده اليها مسروراً به مبقياً له الى وقت الحاجة لاهياً عنه بسواه حتى اذا جاء أوان افتراسه ما أغنى عنه ما تمتع به من الهلاك شيئاً وما ذئبكم الا الشيطان وما القيود التي مزقتموها كل ممزق الا الآداب الشرعية التي دأب عليها المخلصون أهل النجاة والفوز إتباعاً للمرسلين

ولما كان كل اثيم لا يستطيع أن يجحد كرامة لكريم وفضلا لذي فضل إلا اذا كان لا يخجل من رؤيته وما من كريم اكرم من الله وما من ذي فضل واسع ورحمة عامة الا هو وما من موجود غاب عن مدارك الابصار غيره فلذلك جعله المفتونون منكم موضع جحودهم وتكذيبهم ومسرح أفكارهم الضالة ومراتع جهلهم فكان ما كان منهم من انكار القدر والكفر بما جاء به القرآن من اثبات الملائكة والجن وما خضتم الا في أعراض عباد الله الصالحين الذين عبدوه واعترفوا له بالألوهية وآمنوا برسله واتبعوهم متابعة لا عوج فيها وسلكوا ورائهم طريق النجاة فنجوا واتبعتم أهوائكم فهلكتم وجئتم ناجحين خلفهم على بعد حيث لا ترونهم في ظلمة جهالتكم كما تنبح الكلاب في القرى من توهمت قدومه ليلا ألا لعنة الله على الظالمين ثم قلت

يا هذا ماذا عليك وما الذي يضر بحالك لو أنك جعلت الشرع الشريف قيّماً على عقلك الضال المعتوه وتناولت أوامر مولاك ومناهيه بقبول بلا جدل ولا مناقشة واتبعتها متابعة المهتدي سليم القلب الذي يحسن ظنه بأسلافه ويعلم أنهم ما تناولوا أنباء الرسالة الا من المحدثين الصادقين الذين هم خيار الامة وأتقياؤها وما هم الا ثقاة عدول وما ذا عليك لو قمت لمولاك بالواجب عليك من

فلماذا ادعيت أنك ربٌّ	ويح ربٍ اذا سقيناه بالا
شاغلات قلبك الظواهر حتى	صرت بالغيب لا تطيق اشتغالا
أفتنسى شهود غيبك جهلا	ثم يكتال من نسي المكيالَ
خاب من خانه الطهور لهذا	صنع القوم للشرود عقالا
قرروا الذكر والسهاد وصمتا	عند جوع وخلوةً واعتزالا
فأبى الآبق الشرود سماعا	للمربي الذي بما قلت قالا
خل عنك الشرود وارجع فاني	ما أظن الشرود الا وبالا
غير حيِّ الكرام حاولت مرعىً	حيثما الذئب في المراتع جالا
فأتاك الامين من كل فجٍّ	ببنيه فآنسوك احتفالا
علموك الغرور حتى غدونا	نسمع الاعتزال منك ارتجالا
تدعي العقل يا غبيُّ غرورا	وأرى العقل منكمو يتعالى
انما العقل يا مجادل نورٌ	يمنع العبد أن يروم الضلال
أي عقل لقائل ان نفسي	هي ربي بلغت عنها الكمال
أنت زرع وأنبتوك نباتا	والكريم الحليم رب ووالا
وستحكي الهشيم عنا قليل	بعد ما كنت تفتك الأفيال
يا سميري وحق أمك قل لي	مذ أباحت لمن رماك الوصال
هل تحس الا قنوطا اذ ذاك منه	من مكان رماك منه وبال
ثم لما رماك منه مهينا	في وقاع أطال فيه النزال
هل أحسا أبوك الفحل هذا	سبحت ربا مدبرا فعالا
ثم لما أعتدلت خلقا سويا	وسرى السر في قواك انفعالا
أبفكر طلبت أنت التغذي	أم على الام ما طلبت اتكالا

ولهذا الإله بطش شديد ان أتى أمره أزال الجبالا
فاترك الدمع يجرح الخد خوفاً واقتل النفس ان غدت تتعالى
واتخذها مع العدوّ عدوّاً وتفطن لما أعدّا احتيالا
فهما قاتلاك ان لم تحاذر طالما أهلكا سواك اغتيالا
راح نصحي أخا الشقا وتبصر قد ضربنا بما سيأتي المثالَ
ان كلباً بليله ذو نباح طلعة الفجر تُبدِ منه الملالا
روّح الفكر والفؤاد وخلي عنك هماً حملته واحتيالا
لا تدبر مع المهيمن أمراً وذر الامر للإله اتكالا
انما مرجع الامور الى من يُنشي الخلق والسحاب الثقالا
ويدير التي تدور علينا زينتها كواكب تتلالا
قدرة القادر الحكيم بلطف أحدثتنا وتحدث الاعمال
ليس يخلو بدونها أي نامٍ وهي حالا تغير الاحوال
فتراها تُسير الجوّ صحواً وسريعاً ترى الغمام استحالا
واذا ما النبات يحتاج سقياً تنزل الغيث ماطرا هطالا
فتراه يزداد حسناً فقل لي هل سمعتم من النبات سؤالا
ثم يوليه كل آنٍ نموّا فالقُ الحبِّ والنواة تعالى
ليت شعري أكنت الا نباتاً ذا احتياج لمنة تتوالى
معك الله يا أُخيّ دواماً اذ تدير الشؤون حالا فحالا
بك ربي يفيق قلبي ويصحو فامنح القلب قوة واعتدالا
وافتح الباب باب سرك عليّ أبصر السر بالهدى يتلالا
آلة يا فتى خلقت لميل حيث لم تدر ما به القلب مالا

لكن السر في الخطاب لقوم أسعدتهم فأسرعوا اقبالا
وتراها اذا الدياجي ادلهمت ان أحبت تقول عبدي تعالى
فيقوموا وقد أطارت كراهم وأرتهم من الجمـال جلالا
يستجيرون من عذاب التنائي فتريهم من الحنو احتفالا
وتناجي الذي تناجيه سرًّا فيرى الكون كله يتلالا
وتنادى أخا الدلال تأدب واخش هجري وخل عنك الدلالا
فتراه وقـد أهاجت هواه تجر عيناه مدمعاً هطالا
ذرأت للجحيم منكم كثيراً في الكتاب الحكيم مولاك قال
فاذا ما شممت يا غرُّ جبراً وظننت الإله للجور مال
فامدد الحبل للسموات واقطع فهي للخنق ناولتك حبالا
أي جبريري بفعل مليك نقصُ تدبيره العليِّ استحالا
كل فرد لشأنه مستعدٌّ حسبما قد قضى النظام اعتدالا
ذا نقيٌّ ومسلم وسعيد ثم هـذا في غيه يتغالى
ثم منهم مبجل في علاه وحقـير دعونه زبالا
كل تلك الامور تدبير ربٍّ أوسع الصنع والوجود كمالا
رتب الملك واستراح فراغاً مت بغيظ فقد خسرت المآلا
عودتني الرضا مع الصبر طوعاً وعلى الكره أورثتك الجدالا
هذه أرضه وهذى سماه جهز العير ان أردت ارتحالا
صاحب الملك كيفما شاء امضى فتحول لمن تحب انتقالا
لي عبد جعلته لي خديماً وعبيد يسوس عندي البغالا
هل لواش اذاً يقول لماذا أم لثانيها يريني الملالا

لا وحق الإله ما كنت تدري — لاتخاذ الغذا هناك احتيالاً
وكذاك الحنونة الام حارت — كيف منها التغذي استحال
يا نديمي بحق أمك سلها — حينما الدرّ بالتقطار سال
هل لديهـا من الإسالة علم — أم بفضل وحكمة تتوالى
قدرة الله في البطون تربي — وتغذي الشيوخ والا كهالا
واللئيم الغرور ما شبّ ينسى — وكريم الطباع يأبى الضلالا
كل شيء تراه في الكون منها — فانعم العطس أو فردّ السعالا
وانفراز البراز سرٌّ عجيب — حير العقل وصلة وانفصالا
كل هذا يكون والقلب لاه — ما دراه يا سـاقيا يتحـالى
هي تفني الوجود خلقاً ورزقاً — وهي تفني القرون والاجيالا
هي تكسوا المليح للعين قبحاً — ولأخرى تري القبيح جمالا
هي لا الماء للصدي يروّي — وهي تظميك لو شربت الزّلالا
وتغـذي وإن بغير غذاء — وتجبّ الذي تناول حالا
تمسك الأرض والسموات سكا — يا أخا الجهل لو زلمن زالا
هي والله للوجود قوام — من سناها تمده والظلالا
إن أطالت وسرمدت جنح ليل — من يرينا البكور والآصالا
وضياء النهار ان سرمدته — هل تُرجّى الى الهدوّ مجالا
كل لعب تراه في الكون جدٌّ — وترى النقص ان فطنت كمالا
فانبعاث النفوس لفعل أمرٌ — من وراء القلوب يأتي ارتجالا
وهي للسعد تستميل سعيداً — وسواها من الشقيّ استمالا
كم تنادي على العموم تعالوا — وأروني تضرعاً وابتهـالا

حافظ الذكر لا يحب خؤونا   فاستمع لي اذا ضربت مثالا
كل دار دخلتها أجنبيا   واقتحمت الولوج فيها ارتجالا
كنت ممن أتى بوصف خؤون   وعجيب اذا أمنت اغتيالا
وهو دار الامان لم يتخذها   غير نفس بها المهيمن آلا
وهو طهر فلا يمس بقلب   عن طريق الهداة للزيغ مالا
لا وربي ما مسه غير عبد   أتقن الفرض واقتفى الانفال
فاذا ما اشتهيت حلواه يوما   وأردت الشراب عذبا زلالا
حيث يلقي عليك ولاك مني   من سنا القدس يشبه الانزالا
فتمسك بسنة القوم راتع   ما تقفو تجده حقا كمالا
وذر الطيش والغرور ولازم   اهل هذا الحمى تجدهم رجالا
فتواضع لهم وتذلل   ثم قبل ان استطعت النعالا
فهمو الناس والبقايا أناث   ما استطاعوا والدى النكاح احتمالا
اذ نكاح القلوب أمر عزيز   أمرته الرجال حالها ومالا
ليت قوما تناكحوا نكحونا   شرع قوم يرى النكاح حلالا
فهو سر وسره في المعالي   يحمل الشيخ والغلام سبالي
انما الشيخ في الرجال المربي   وفطيم الرجال من تاب حالا
وضع حول الرجال أسرار رشد   ما رأينا لحسنها أمثالا
يا ملوك الرشاد هلا أقلتم   مستهاما من التجافي استقالا
فأفيضوا وحقكم في فؤادي   من سناكم ولا أريد اكتيالا
يا كثير المزاح ما أنت منهم   أنت ممن تعشقوا الأموالا
لست تقوى على الذي كابدوه   أنت كالتيس ان تناطح بال

ان أكن مالكا يكن لي اختيار   وعلى العبد أن يريني امتثالا

ولئن قلت للتكاليف حق   قلت جاءت تميز الأعمال

ولكيلا تقول ما كنت أدرى   لطريق الهدى هناك مجالا

فامض عني الى الكتاب وطالع   منه يسمه الي أغلالا

تلك سبل الرشاد يا غرّ تبدو   غير أن العمي يمادي الزوال

خسئ الجاحد الجريء بماذا   يجحد الفضل والعطا والآلا

ان (ذرني ومن خلقت وحيدا)   تدفع الريب يا حقيرا تعالى

فاتق الله يا اخيّ يعلمـــك علوما تزود عنك الخبالا

عالم الغيب والشهادة يؤتي   من يشاء الهدى و يشقي ضلالا

وهو هادٍ وآخذ بالنواصي   قد رمى بالحصى وسل النصال

ما رمى اذ رمى النبي حصاه   لا ولا القوم جندلوا أبطالا

صاح رتل كتاب مولاك تلقى   نور هدى ضيائه يتلالا

(أفرأيتم ما تحرثون أ أنتم)   ان ترى الحق ترفع الاشكال

فتدبر فإنما الذكر ذكرى   ورشاد لمن يعي الاقوال

واحذر الخوض يا خؤون ببحر   أحرز اللؤلؤ المصون وسال

جمع العزب والأجاج ولكن   لذوي الذوق مره يتحالى

ان ذكر العقاب يا عبد مرّ   وأراك السقيم قلبا وحالا

والبطين الذي أذاه غذاه   إن سقي المرّ هضمه يتوالى

هدى طه دليل كل ضليل   سيف نصر على العتاة استطالا

لا تخنه ولا تشادده بغيا   واقتفي إثره ينلك نوالا

لا تأوّل كما تحب فترمي   بشهاب يشين منك المآل

لست ممن يذوق للفضل طعما ... أنت ممن يرى الدقيق خيالا
فذر القوم في ظلام الدياجي ... عند ذي العرش يضرعون ابتهالا
وتعهد معاهد اللهو واشبع ... في عناء الحياة كافاً ودالا
فمتاع الحياة شيء قليل ... وقليل الحياء شر مآلا
هل يسوء الملوك نحل ترامي ... في فسيح التلول يذروا الرمالا
لو أحست بما تلاقي الضحايا ... يوم عيد الفدا لبادت هزالا
ياحليف الشرور بالله دعني ... أغسل القلب بالدموع اغتسالا
اذ ذنوبي بهمها أثقلتني ... ودجاها على الفؤاد استطالا
ولهذا أحبتي قاطعوني ... فذروني أقبل الأطلالا
فلعلي أرى لديهم شفيعاً ... فأنال القبول والإقبالا
لست ممن اذا كسوهم تعروا ... من لباس الحيا وجروا الذيالا
لست ممن يزيده الطيش عجباً ... ولدى الموت يشتكي الاوحالا
أنا ممن تعودوا النوح خوفاً ... واستعاروا لعزهم إذلالا
ثم باعوا نفوسهم فلهذا ... قد حسبنا على الكريم عيالا
فترانا ببابه في ازدحام ... نتباكى ونطرح الآمالا
فادع عني أخا اللسانة وجهاً ... ولساناً بما سئمناه صالا
لم ياذا الخنا تجافي كراما ... وتصافي اللئام والأرذالا
أنت أن لو وزنت نفسك يوماً ... جئت تبكي وتغبط الاطفالا
أي وصف تراه فيك مليحاً ... قلة الدين ترفع الإشكالا
أمن الفضل أن تكون بذياً ... ذا جدال لعله أن يقالا

لا تطالب برؤية القوم يوماً عمش العين لا يريك الهلالا
لن تراهم ولن تشم ثراهم دون هذا تكابد الاهوالا
ما تناءوا عن الوجود ولكن مطرب البدو يجهل الموالا
هم رجال تنزهوا في علاهم أن يجولوا مع اللئيم مجالا
فاصعد السطح والمنار واذن كل سب يزيد قوى جمالا
وكفاك الشذوذ والبعد عنهم وستدرى يوم اللقا القتالا
واذا ما غياهب المقت سدت عين شمس الضحى وشمت الزوالا
سوف تدرى هناك حال التجافي أى داع يدعو عنك النكالا
لا تظن الكرام في القبر موتى موتهم يا فتى يعد انتقالا
كل من عاش بالمحبة حياً مات حياً وبالنوال يوالى
فاقر تلك الرياض عني سلاماً وسل الساكنين فيها النوالا
ليس موتاهمو كموتي سواهم هل يوازى برذونك الأقيالا
ياسميرى بحق جهلك قل لى ثم أوجز فقد سئمت المقالا
كيف تسعى وقد أصابك ضر لديار الطبيب تشكوه مالا
ثم للعشب والعقاقير تصبوا وتعاني من مرها السيالا
واذا ما رأيتنى أترامى أشتكي من بغضت داء عضالا
قلت نوع من الجنون اعتراه ترك الرب وارتضى الابدالا
أو ليس الذى يعين الأطبا لذوى الفضل يمنح الإفضالا
والذى أودع العقاقير سرا بت في راحة عليه اتكالا
هل يفوت المحب منه نوال بم يا هل ترى نرى الإهمالا
صاح مهلا وخل عنك أذاهم ساء من يرتضي الإساءة حالا

ما دريت المراد منك تأنى   لك ياذا العمى أعدُّوا النصال
قدر الملك للمليك ويكفى   ما اقترفتم مع الهوى استرسالا
ان علما وعيتموه قليل   فرّ منكم اذا رأى قوّالا
اذ جهول بنفسه بسواها   هو في الجهل يسبق الجهال
كل علم يزيد أهليه بعدًا   عن سبيل الهدى يعدّ ضلالا
كل علم تروم منه فخارا   بين أهل الفخار كان وبالا
كل علم به غدوت كسولا   عن أداء الفروض فهلا وحالا
فهو داء دوائه البعد عنه   ساء علم يقبح الاعمال
عمل الدين للرجال فخار   بالكرام الفخام ساوى بلالا
عمل الدين بلغة ونجاة   ان دهاك البلاء دونك حال
عمل الدين للعبيد صراط   مستقيم يجمل الاحوال
عمل الدين في القيامة ظل   عندما الناس يفقدون الظلال
يا حبيبي دع التنافر واتبع   من أتانا يجمل الاحوال
راع نصحي فالملوك حدود   من وراء الحدود تاتي النكال
وجلال الإله يا غر يأبي   في جميع الشؤون الا امتثالا
كل حكم أتى به الشرع أمرٌ   لا نري للعقول فيه مجالا
واتباع الرسول ألزم شيءٍ   وأخو الطيش يجحد الإرسال
صاح لو جئت بالمحاسن طرًّا   للمليك واجهته استعجالا
حيث لا حاجب هداك طريقًا   وأراك الخشوع والإجلال
أفتبقى اذًا سوى الطرد حالا   أم ترجى سوى العقاب نوالا
ليس ينجو سابق الرسل حتى   لو يوافي بما يوازي الجبال

انما الفضل في الرجال شؤون   تجعل العبد سيداً مفضالا
أمن الفضل أن تكون عنيفاً   وترى القوم باغضيك ملالا
أمن الفضل أن تكون إماماً   لاناس تعودوا الإضلالا
انما الفضل أن تكون هماماً   يجرح القلب وعظه ان قال
أمن الفضل أن تحارب ديناً   عاش دهراً وعزه ما زال
حاربوه مبشروكم فخابوا   ثم جئتم تؤيدون الضلال
بعد ألف من السنين وثلث   بكرام قرونها تتوالى
عززوه وأذعنوا لعلاه   بهم اليوم نضرب الأمثال
تغو حزباً وتعلن الدين حربا   في جنود تظنهم أبطالا
حيث لم تدر أن للدين ربا   دمر القوم ما أراهم نزالا
قبل هذا وقبل بعثة طه   صاحب الدين أهلك الافيال
أين نلقاك ان جمعنا البرايا   وأخذنا تقارن العالا
خاب ظني اذا تركت الزوايا   خشية الخزي ياوضيعاً تعالى
ان حال الظهور يدعوك شيئاً   والخفا خلفه يشير بلا لا
لا تطير بنصح خل شفوق   واتبعني وخذ من النصح فالا
أنا صاف وما بقلبي بغض   وأرى النصح يستحث الكسالى
أنت ان تخرق البسيطة عزماً   ثم في الطول ما بلغت الجبالا
من تجاروونه من تعادوه قولوا   يا صغارا يلاعبون الخيالا
ان قرناً ظهرتموا في بنيه   قرن سوء يُسأ منكم خبالا
ياحليف الضلال دنياك شابت   وأرادت الى المعاد انتقالا
أذف الوقت والدهور تقضت   صاح هلا شبعت قيلاً وقالا

فذر الزيغ للمضلين واسلك نهج من خلفه المسير توالى
وتأمل بعين فكر سليم تجد الناس يضجرون ملالا
مااستفدنا من التمدن الا أن غدونا نرى البنات حبالى
مارأينا على الثرى مستريحا غير قوم تجنبوا الاوحال
ياسريع الحساب أدرك غويا صار ممن يحرمون الحلال
فتجنب به مشاق التنائي ان يبقى وبينه الزيغ حال
وازوِ عنه غروره بمتاب يحسن الحال حسنه والمآل
ولئن كانت الشقاوة تمت وحسام القضا بما تم صال
فأذقني حلاوة العفو عنى وأنلني بآل طه اتصالا
قوِّ ياذا العلي قوائم رشدي وافتتل بي من الوداد حبالا
رب قف بي مواقف الصدق طوعا واجر دمعي تشوقا وابتهالا
حلِّ قلبي بحاليات التخلي واعتزل بي الورى الهي اعتزالا
رِدْه ربي موارد السكر صاح كي أراه الى المحبة مال
رب نور بصيرتي بالتجلي واحفظ الفكر أن يفر اختلالا
ثم وجه اليك بالنور وجهي وفؤادي وغط نوري جلالا
وتعهد بسر سرك سري واملأ القلب رحمة وجمالا
رب اني أخاف ثقل ذنوبي رب عفوا يخفف الاثقال
رب بدل اساأتي حسنات واقبل التوب واصلح الاعمال
رب واجعل على الطريقة سيري خلف طه ألازم المنوال
رب واقبض على الشهادة روحي بعد عمر على المحبة طال
يارحيم العباد قد صرت كهلا وعهدناك نرحم الاكهال

فاقتفي الرسل ان أردت نجاة ... عاهة الكبر أهلكت أبطالا
كل صدرٍ كما أكنّ يلاقي ... وهزيم القوى يكفي النزال
افقير الهدى تسمون عقلا ... بسوى النور لا تطيق اعتقالا
ولئن قلت يا أخا الزيغ اني ... أنا بالعقل أبلغ الآمال
قلت مهلا أخا اللسانة قل لي ... من اثانيكما يرى استعمالا
انت إن ماملكته كان عبداً ... لك في الامر لا يطيق جدالا
ثم ان كان مالكا كان امرا ... خارجياً وكنت أنت خيالا
أفكل الذي يكون غنيا ... هو بالعقل أحرز الاموال
كم غبي غنى جاه ومالٍ ... فقد الرأي والحجا والمقال
رب اني أظن عبدك هذا ... مال جهلا مع الهوى حيث مال
جاء يدعو الى التمدن قوماً ... هم اليــه يسارعون عُجالى
وهو جهلا يرى التمدن وصفاً ... جل في الحسن ان ينال المثالا
ويرى الآن ان أهل أوربا ... أهل فضل توارثوا الافضال
باختراع وثروة ونعــيم ... غادرونا بعلمهم جهـالا
يا سميري فداك مالي واني ... طال عمري وما ملكت النخال
ان هذا الإله جل علاه ... أبدع الملك في النظام كمالا
لاختراع الامور سخر قوماً ... كيفما شاء يلهم العمال
لا لفضل ولا لوفرة عقل ... بل ليقووا على الفعال احتيالا
كبغال مسخرات لسحب ... او جمال تكابد الاثقال
عمل النحل يا أخا العقل ينبي ... حكمة الله أسكنتها الجبال
وهي بالوحي تبتني كل بيت ... ما رأينا لشكله أشكالا

وهم يجهلون أذاه فكنت ممن حملوا أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم واني لأراكم فوق الشيطان غرورًا بل أجهل وأشنع منه عملا لانه في اغوائه ان اغوى خاطئًا لا يشاركه في عمله بل يغريه بمجرد الوسوسة وأما أنتم فقد أضللتم الامة بالقول والحال والعمل فاصبحتم قوّاد الكفر وسفراء السماجة وصولجان المعاصي وجرثومة فساد الاخلاق اذ أصبح كل فيلسوف منكم فارًّا من الاعمال الدينية وعلومها فرار الحمير المستنفرة اذا فرت من قسورة وغدوتم وراء أهوائكم وشهواتكم تحتضنون الدنيا وتهجرون الآخرة وقام الاحمق منكم الذي لا علم عنده يرى نفسه فوق الانبياء في العلم درجات و يرى أن كل من في الكون دونه في العقل واتقان العمل وجودة المنطق وانطلقت ألسنتكم بما أيقظ الفتن وجعل الأمم والدول بل والعائلات بل وافراد المتجاورين بل والأشقاء كل يتربص لقرينه مصرعًا ليتم بما يناله منه نقص تمدنه وحريته ولقد اقتدى بكم في قلة الدين سفلة العامة حتى اذا قيل لسفيه منهم لم لم تصم رمضان مثلا قال ان قدوتنا ليس بمصلّ ولا صائم فاستدبروا دينهم كما استدبرتموه واقبلوا على أهوائهم كما عبدتم أهوائكم وكان ما كان منها تراه الآن من ثمرات التمدن التي غرستم أصولها وجعلتم فروعها بالسقي من ألسنتكم والموالاة بزخرف القول من أفواهكم ثم ناديتم بها باصوات منكرة أيقظت كل شرير نام في غفلة الخوف وسنة الخجل والحيا فقام من تلك الرقدة ملهوفًا على ما كان محجورًا عليه تناوله وأصبح وأمسى مبارزًا ربه بالخطايا غير خجل ولا مذعور وان لكم يا عصبة الزيغ والجدل عند جبار السموات والارض على هذا العمل لأجر غير معلوم لا كأجور الانبياء لانكم أنتم المصلحون وما كانوا كما تظنون الا مفسدين

فخجل ذلك الفيلسوف وخرج باهتًا ثم قام المسيحي قائلا ياجنبيهي أوليس

رب ذرني بفيض برك أرعى ... لا تسلني يوم الحساب سؤالا
رب هب لي من الخزائن رزقاً ... ثم يسره طيباً وحلالا
رب زدني مع التأدب علماً ... أفق قلبي بنوره يتلالا
وقّ عني قبل الممات ديوني ... لا تدع فوق عاتقي مثقالا
يا الهي وجنب الظلم نفسي ... أنا كالظلم لا أرى قتالا
رب باعد عن الدناءة طبعي ... ولي اجعل من التقى سربالا
لا تكلني لكيد نفسي إلهي ... أنت أولى بمن سؤالك والى
رب هب لي بجاه أحمد قلباً ... ذا سجود ومدمعاً هطالا
رب واحفظ لوالديّ نصيباً ... من دعائي وزد عليه نوالا
يا الهي بباب برّك ألقي ... حال نفسي وأطرح الأثقال
علّ عطفاً يرد منهم شرودا ... كم أناديه يابني تعالى
يا الهي وانت ركني وجاهي ... وملاذي اذ الصياح توالى
صل ربي مسلماً كل وقت ... وتعطف بما يزيد الكمال
وتحنن على الذي جاء يهدي ... لاتصال فواصل الآصالا
أحمد المصطفى محمد جاهي ... في معادي اذا الجري استقال
وبذاك الجناب ألحق كراماً ... تابعوه وصحبه والآل
واختتم مامضى بحسن ختام ... أنت برّ ولا تردّ سؤلا

ثم حوقلت واسترجعت وقلت يا هذا هلا كفرت وحدك ان كنت ممن استحبوا العمى على الهدى ان غيرك من الحمقا لايتجاهرون بالمعاصي فكيف سولت لك نفسك التجاهر بالكفر ان هذا لهو البلاء المبين يا هذا انما مثلك كمثل من قويت معدته على تعاطي مسموم مهلك فتناوله ثم قام يدعو الناس الى تعاطيه

سلطان) وما كان لذكر بعض الأنباء النبوية في بعض مؤلفاتهم من سبب الا اختلاط الخلطاء الباغين منهم ببعض السفهاء من امة محمد صلى الله عليه وسلم فتناولوا منهم ما زاغوا به عن طريق الاستقامة الدينية والسنة المحمدية فكانوا هم شياطين الامة التي أمر الله نبيه بالتعوذ منهم في قوله (من الجنة والناس) وما خلت الارض في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا فيما قبله ولا في أزمان خلفائه من هذه الطائفة ولكنها لم تكن ذات شوكة تقاوم بها سلطان النبوة ولا ذات أنوار تتظاهر بها مع وجود تلك الشموس النيرة اذ الظلمات لا ثبات لها مع وجود الانوار فلما انقضت تلك القرون تظاهرت افرادها شيئاً فشيئاً لان حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت اختلاف الاستعدادات والقوابل في مبدإ الخلق والتكوين فكان من اللازم الضروري أن الارض لا تخلوا في زمن من الازمان من عهد آدم الى انقراض الدنيا من شقي وسعيد ومهتد وضال ومخلص ومخادع ومؤمن ومنافق ومتابع ومنازع ومستسلم ومجادل الى غير ذلك مما تستدعيه صولة العدل في الدار الآخرة ويقتضيه النظام المحكم التدبير والإبداع وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل وصف من تلك الاوصاف أهلا ليكونوا شركاء في العبودية منشا كثين في الاعتراف بها مختلفين في معرفة المعبود متضادين في الشؤون فيكون في مقابلة المؤمن الحاذق مثلا منافقاً أحذق منه لينازعه اعتقاده وفي مقابلة الصوفيّ الذي أوتي الحكمة النورانية فيلسوفاً أي حكيما شيطانياً يقبح له أعماله ويقاومه عند الجدل وفي مقابلة المسلم مشركا الى ما لا يحصى عدّاً من الشؤون المختلفة غير أن غلبة قوم على آخرين تتداول بتداول الازمان وفق مراد الله تعالى بأهل كل زمن لإمضاء مقتضيات الحكمة والتدبير الازلي والترتيب الذي انعقد عليه النظام التكويني فما كان السلطان

العلم الذي علمته الفلاسفة هو العلم الذي نقله علماء امتكم وأتقياؤها عن نبيكم وعن أصحابه وهل كانت الاخبار المنقولة الا واحدة فمن أين نشأ الاختلاف بين الطائفتين

فقلت يا هذا انك اذاً لذو جهل بالفلاسفة وبما هم عليه من الاعتقادات وما ذهبوا اليه من المذاهب فلذلك تزعم أن منقول الامة المحمدية هو منقولهم ومعقولها هو معقولهم وليس الامر كذلك ولكنهم مختلفون اختلافاً بيناً ألا ترى أنهم في جميع منقولاتهم لا يتناولونها الا عن أقوام مالهم بين علماء الشريعة ذكر وكثيراً ما ينقلون أخباراً عن قوم مشركين وكم في عبدة الاوثان من فيلسوف لا يدري ما هو الدين وانهم لقوم لا يعتقدون الاله الا أعلى المؤثرات العلوية ولا يقولون بالرسالة ولا بالنبوة ومن قال بها منهم لا يعتقد صدق أنبائها بل يعتقد ان غالب ما تكلم به الانبياء من أمر الآخرة أو من الانباء التي لا ينطبق على التصور العقلي وقوعها ماهي الا أقوال ينبغي تأويلها الى ما يقبله العقل وانها لطائفة مستقلة بمذا هبها واعتقاداتها ليس لها في متابعة الرسل نصيب ولا يعدون الانبياء الا أقواماً عقلاء ساعدتهم الصدف وحسن السياسة على نيل ما نالوه من الشهرة وعلو المنزلة بين الناس ولا تجد منهم من يقول قال الله وقال الرسول الا قهراً أو لاتخاذ سبيل أو وسيلة لما يريده من ادخال الدخيل ودس دسائس الشبه في عقول السامعين ليأتي بيوت الخدعة والاضلال من أبوابها

ألا ترى أنك لو فتشت القرآن وتصفحت صحائف كتب الحديث وطالعت جميع ما دوّنه علماء الامة المحمدية لما وجدت لذكر القوى التي ظنتها الفلاسفة آلهة لهذه الاكوان من أثر ولا تراها الا الاسماء التي أشار اليها الحق سبحانه وتعالى بقوله (ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من

طائفة الفلاسفة في مقابلة اتقياء الامة الذين هم أهل التحقيق الذين اصطفاهم الله من خلقه فكانت الأولى تتلقى ما يلقى اليها من الأنباء النبوية بحال الناقد المتخير لظنهم انها ما صدرت الا عن رجل سياسي عاقل جاء ليصلح حال أمته ويكسبها صيتاً وشهرة ومنفعة دنيوية حتى يكون لها الدولة والكلمة العليا فوق باقي الأمم فما وافق مشاربهم من تلك الانباء قبلوه مأوّلاً الى ما ذهبوا اليه وما لم يطابق تصوراتهم نبذوه وراء ظهورهم انكارًا وجحودًا

وأما الطائفة الاخرى فأهلها قوم أيقنوا أن للكون ربًا متصفًا بكل الاوصاف المدونة في مؤلفاتهم وفي كتب التوحيد وأنه هو مرسل الرسل وأنه هو الهادي لهم ولمن اتبعهم وأنهم قوم صادقون في جميع أنبائهم لانهم أثبتوا صحة رسالتهم بالبراهين القاطعة فكانوا يتلقون الانباء على أنها تواترت عن صادق أمين لا ينطق عن الهوى وما جاء الا ليطهر القلوب من خبائث الزخارف الدنيوية التي هي عند العقلاء لا تساوي شيئاً اذ كل مأكول منها ومشروب لا مأوى له الا المراحيض التي لا تطاق رائحتها وكل ملبوس مصيره الى المزابل والتلول وقد أشار الشاعر الى سعة الجاه فيها وعلو السمعة بقوله

ومها أذع المرء ضوضأ نفسه فما هي الا صيحة بين كيان

فعلموا أن الله سبحانه وتعالى يتقدس جلال عظمته وباهر حكمته أن يكون ملكه قاصرًا على أقوام يقتتلون وأمم يتنافسون فيما لا يدوم ولا راحة فيه والذي لذاته لا توازي شديد عنائه وتحققوا أن الامر من وراء ذلك وأن ما جاء به الرسل هو الحق الذى لا ريب فيه فتلقوا أنباء رسولهم ببشاشة الترحاب وهشاشة القبول وقاموا بواجب اتباعها بكل تدقيق وتحفظ من أوحال الانحراف . لانها كما قال الشاعر

سلطانا في أي زمن الا بسابقة استعداده واستحكام رتبته الوجودية من حيث لا يشعر وما كان الزبال زبالا باختياره وكذلك ما سعد سعيد بنفسه ولا شقي شقي بإرادته ولكن الكل كانوا طوع تدبير محكم وقضاء مبرم لا ينقض أساسه المتين ولا يخرج خارج منهم من دائرة نظام التكوين فتنقلب الازمان بأهلها طوع مراد الله تعالى منهم فالزمن الذي تحتم في الأزل صلاح أهله تتظاهر فيه السعداء بمظاهر الارشاد الى الاعمال الدينيـــة الموصلة الى معالم القرب ومعاهد العرفان فيكون السعداء فيه اكثر من الاشقياء ولكن أهل هاتيك المعاهد قليلون وان قويت شوكتهم في بعض الازمان لقوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) لانهم خلقوا قليلين ليكون لكل منهم في الجنة ملكا كبيرا والزمن الذي حكمت فيه سابقة الازل بشقاء أهله تقوى فيه شوكة الاشقياء فيكون لهم الدولة والسلطان وكثير ما هم لقوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) وقوله (فكبكبوا فيها هم والغاوون) كما تراه في هذا الزمن الذي امتلأ شرورا وطافت فيه الفتن بجميع انحاء البسيطة وما كانت احوال بنيه الا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بقوم سوءا سلط عليهم الجدل ولا يبطل حكمة الله ومراده من خلقه تواتر الانبياء متسلسلة بالسند المتصل مشحونة بعوامل الهداية والارشاد لان مواردها هي القلوب وما كانت الافئدة الا كالدنان المعدة للصبغ التي يخرج منها النوع الواحد مختلف الالوان فترى كل طائفة تحول الكلم وتحرفه الى ما يؤيد ما ذهبت اليه فكانت طائفة المعتزلة مثلا مخالفة لاهل السنة فتتلقى ما ألقي اليها بقلوب غير قلوب مقابلها من الطوائف وكذلك كل طائفة تخالف طائفة أخرى وما زال ولا يزال هذا الاختلاف الى أن يقضي الله بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون فلذلك قامت

والناس أجمعين) كدت أن أكون مأخوذ الحواس فاقد الاحساس خوفاً من الله وخجلاً فلا تسئلني عن حال من أحوال هؤلاء القوم الذين امتلأوا طيشاً وطغياناً وتقلبت بهم الاهواء من أودية الاسانة والذبذبة وسموها حكمة وما الحكمة الا من عند الله يؤتيها من يشاء من عباده (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) هكذا قال الله في كتابه الحكيم فياليت شعري ما هو الخير الكثير هل يريد الله به نوم السرير ولبس الحرير وزهو الانسان بجاهه وماله فيكون الحكيم الفقير محروماً من ذلك الخير أم يريد بالخير الكثير طول اللسان وقوة الجنان وحفظ التواريخ والحذق في الجدل والمهارة في السفسطة (كلا) ان الحق سبحانه وتعالى جل شأنه وتقدست أسمائه تجل حكمته العلية أن تعد شيئاً من هذا خيراً كثيراً ولكن الخير الكثير ماهو الا عز الدنيا والآخرة الذي سئله الامام الشاذلى بقوله ونسئلك عز الدنيا والآخرة كما سئلكه نبيك سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عز الدنيا بالايمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة وهذا لا يكون الا باتباع الرسول من الطريق التي سلكها أولوا الالباب وما أراد الله بالالباب في كتابه العزيز الا القلوب التي استنارت بأسرار المعارف القربية فصارت باطناً للكمالات الظاهرية التي تجعل العبد مرضياً عند الخلق والخالق وقد فقد القوم تلك المزايا وصار كل ذي رحمة جديراً بالاسف والبكاء على أهل هذا الزمن فلا تحرك بالسؤال عنهم ساكناً ولا تظهر بالمظاهرة في الجدل كامنـاً وانى لأراك بما توجهه الىّ من الخطاب تحاول مستوراً وتستجلب مهجوراً وترمي الى غاية أضمرتها ونهاية تروم ادراكها فاكشف ماستترت واعرب عنا أضمرت فقد طال الكلام وملت المقام والا فأجل ما رمت الى أجل معلوم فما لبث ذلك المسيحي أن نهض نهضة المستوفذ المذعور قائلا

طريق كحد السيف لله درمن　　يكون على حد السيوف ذهابه

فكانوا هم الأدباء الأمناء الأصفياء الأبرياء المقدسون من كل ما يبعدهم عن مناهج القرب ومعاهد الحب والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

إذا فكيف يكون اتحاد العلوم والمعلومات بين الطائفتين وما صدرت أقوال الطائفة الطاهرة الا عن قلوب امتلأت نوراً وآداباً وتحلت لتلقي الاسرار وتخلت عن خبائث الاقذار

وأما الاخرى فما بانت أنباؤها الا عن افئدة لعبت بها الاهواء واحتوشتها غلبة الظنون المهلكة فما ألقت الا زخرفاً من القول وزوراً

كلام بلا عقل ولكن بفكرة　　بساحل بحر العلم تقنع بالزبد
وما البحر جاف أو أجاج وانما　　على قدر الاستعداد يحدر المدد

وكل حزب بما لديهم فرحون وهكذا هي ثمرات الطيش والغرور ونتيجة فقد الحياء والخوف والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يشعرون

يا هـذا اذا شئت أن تنظر كيف يعمل الطيش والغرور باهله وتعلم مباديهما ومن أين يأتيان فجمل طفلا من بين أبنائك بملبس جميل ومر حاشيتك بتعظيمه واكرامه واصبر على ذلك قليلا من الزمن لتعلم كيف يكون الغرور والطيش ونتائجهما أو أشبع حمارك علفاً ترى منه ما يدلك على مبادى تلك الشرور وهكذا كل حيوان متى استغنى تمرد وطغى الا قليلا من نوع الانسان والله على ما يشاء قدير

ثم قلت يا هذا أرحني من هذا العناء فانى كلمـا تذكرت حال الانسان وكفره بربه وتحققت صدق قوله تعالى (قتل الانسان ما أكفره) وقوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هـداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة ·

مقعد منار ا* والا قطع لا يقاتل شديد القوى

فيا أيها المكتوف بحبال جهله* المكبل بسلاسل سيئات ظنونه وفعله* مالك ولبحر لا يغوصه الا مستخرجوا الدرر* ومالك ولمنتزه ما أبيح الا لملوك الآخرة* ألق يا هذا هذه الزهرة التي استنكرت شذاها من يدك واستنشق دخان مرقعاتك التي دنستها خبائث الطيش والافتتان ومالك من قبس الا زواجر آيات الوعيد وصواعق الوعظ من أقوال المرشدين فلعلك أن تبرأ من هذا الزكام الذي تركك لا تستطيب الطيب وإنا لا نطيل في لومك وتعنيفك فان جهلك قد قدم عنك واضح الاعتذار

سئل الخفاش لِمَ لمْ تستعمل حدة بصرك حتى تبصر ضياء الشمس في رابعة النهار فقال لقد قضيت نصف عمري طائرا وما رأيت لتلك الشمس التي تدعونها ضياء ولا نورا واني الى الآن لا أتحقق لها وجودا الا من طريق السماع الذي أنا في شك مريب من صدقه فقيل له انك أيها الخفاش لا تنطلق عدوا وعدوانا الا في غياهب الدياجي المظلمة حيث يحتجب ضياؤها عن أبصار الناظرين وكم من طائر سواك يتمتع بخيرها وينتفع بضيائها وانك لأنت المحروم لا لضعفها عن ايصال المنفعة اليك ولكن لما حال بينك وبينها من الظلمات التي قيدتك بها قابليتك واستعدادك وما ألجأك لانكار ضوئها الا ضعف بصرك وعدم قدرة عينيك على مقاومة شدة ذلك الضوء فقال لا سبيل الى الاعتراف بما لم أُحط به علما ولا حاجة لي بمعرفتها اذا كنت راضيا بما أنا عليه واني لفي غنية عنها وعن ضوئها ولا بغية لي الا دوام ما أنا عليه قيل له فما ذا تصنع اذا أصبحت المنازل التي أظلتك خاوية على عروشها وأضحى الضياء عاما ورفعت تلك الاستار وزالت هاتيك الحجب وما بقي لك ما يؤويك فقال ان المكان الذي

يا جنبيهى انا لنراك قوي التمسك بسنة ذلك الرجل الذى ظهر في أمة من رعاة الابل فاختطف عقولهم وتملك قلوبهم فقلت يا هذا أى الرجال تعني فقال بعد مصمصة وتقليب كفوف أتجهل رجلا ما ذكر بين جماعة منكم الا اهتزت لذكره الاشباح اجلالا وانتعشت الاسرار سرورا واقشعرت الجلود مهابة واضطربت القلوب طربا وهياما ورفعوا أصواتهم بالصلاة عليه والتسليم ثم ألحقوا به صحبه وآل بيته فقلت يا هذا أمحمدا صلى الله عليه وسلم تعنى قال نعم

فقلت سلوا عن ثغر ليلي ضجيعها ... فذاك بمعسول الرضاب خبير
ولا تسألوا عنها العزول فانه ... اليها بما يرضي الحسود يشير
وأنى لمن في قلبه علة العمى ... بادراك ما كم حار فيه بصير
فقد تجهل الاوباش بأس مليكهم ... ويحذره الندمان وهو قرير
ألم ترى أن الطفل قد يأت لاعبا ... بجمع قوم يتقيه أمير
فلا عجب أن تجهلوا قدر من غدا ... وليس له في العالمين نظير

أيها المغرور بخزعبلاته الهائم وراء زخارف سفسطته وتمويهاته تفقد ملاعب الصبيان حول حيكم ان كنت لاعبا وتجنب هذا الروض فان فيه مرابض الأسد واحذر الجحر فان في الجحر ثعبان* انحرف عن هذا الجب فما لساقطه مطلع* تزحزح عن نار التهور كيلا تعلق بمرقمات حالك فتهلك* تمضمض بمياه التعوذ فقد اتخذ فمك الشيطان مسقط بوله* أمسك عليك لسانك فان مقاريض الانتقام خارج شفتيك* اركب سفينة المتاب فليس لك من طوفان الخزي غيرها مأمن* (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرين) ياهذا ان نملة لا تهدم هرما* وما نزح عصفور بحرا* وسحاب الصيف لا يذهب بضوء الشمس المنيرة* وماصعدت زحافة قمم الجبال الشواهق* وما علا .

غائلة الضلال فان محتطب الظلماء عرضة لكل لاذغة واتهم نفسك بالجهل بمقادير الفضلاء الذين اعترف بفضلهم كل عارف * واخلع من عنقك ربقة العناد والاصرار فانها هي الآخذة بمخنقك الى حيث هلك كل غبي معاند (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا)

رأى الروض مزكوم فعاب زهوره ... وما العيب الا منه داخل أنفه

ولولا زكام عاق حاسة شمه ... لأهدى اليه الزهر فائح عطره

ولكنه مذ عرض الرأس للهوى ... أتاه الهوى بالسقم من ضد خلفه

كذاك اذا غرّ تظاهر بالأذى ... يجوز به الطغيان مأمن حتفه

وجرز بمجرى السيل يحفر جحره ... أوان انسجام الغيث إبان حتفه

فقال الرجل يا جنيبهي انى لأشم من حديثك ريح الصواب والصدق واتوسم فيه سمة الاستقامة والاعتدال ولكني لا أجد في قلبي موضعاً لقبول ما تلقيه الي منها أردت ان تلجئني به اضطرارا الى ان أرى نبيكم بالعين التي ترونه بها ولو أقمت لي على فضله سبعين برهاناً فقلت يا هذا ما أعماك أنت وأمثالك عن شهود ماشهدت به أولوا البصائر النيرة الا خوضك في ظلمات الشبه التي أغطش لياليها حالك الزيغ من الصحف المنتشرة وصواعق أصواتها التي أدهشت عقول ضعفاء الايمان

فلا تك ممن كلما صاح صائح ... تنادوا بان الصوت صوت بشير

الى ان أتاهم بالردي صائح الردي ... فبدلهم خوفاً بأمن غرور

وهل ينج خوف من سهام مصيبة ... ومن عاديات تعتدي بشرور

يا هذا لو تفطنت الامم للبحث في الحقائق لتحقق كل عاقل ان غالب الصحف

آواني الان ما هو الا مقصورة أخلاها لي ولد صاحب الدار الوحيـد واني لموقن" أنه لا بد وأن يحفظ لي حقوق الجوار ويعاملني معاملة النزلاء فان لي عليه حق الإنما وكم دعوت لمغانيه التى هجرها خفافيش يعمرونها فهو لا ينساني أينما كان وكيفما الحال تكون

فقيل له ان الوالد والولد الذين ادعيتهما ليتأذيان منك ومن أقذارك التي أحدثتها في تلك المقاصير التي تركها منشيها طاهرة نظيفة لا شية فيها وما غير معالمها وقبح محاسنها إلا وجود أمثالك فيها وانه عليكم لمن الساخطين

فقام ذلك الخفاش في مقام المكابرة قائلا أني يكون ذلك وما كنت لولده الا ساعدًا ومساعدًا فضحك السائل استهزأ بذلك المغرور الذى سابق عمي بصيرته ضعف بصره ثم تركه يهزى كما يهزى المريض وانصرف محوقلا

هذا هو مثلكم مع محمد صلى الله عليه وسلم ومع المسيح وأبيه الذى تدعونه فلو انكم أبصرتم ما أبصره أولوا البصائر لعلمتم أن المسيح لا يغني عنكم من الله شيئا وقد خالفتم أوامره وعصيتم رسوله وانكرتم ما أثبته بآياته البينات والله لا يهدى القوم الظالمين

يا هذا ان انكار فضائل الافاضل ديدن كل حقير متعاظم وإن الخوض في أعراض الاصفياء لحرفة اللئاء المتطفلين وهل يعيب أهل الكمال الا كل غبي" يدعي العرفان وهل التجاهر بهجو أهل السعادة الا من أخلاق الشياطين

يا هذا أين أنت ممن تفوهت بذكره مع طهارته ونجاسة فمك فهل تتوهم أن حماقة حلفاء المزابل تقاوم سيطرة السـلاطين ولكنك ذو عذر بين فان قاطن البادية لا يكترث بهيبة عظماء الملوك والمتقاعد لا تفزعه قعقعة أسلحة المحاربين

فلا تلق بك يا هذا عاهتك الى التهلكة فان كل ذى عاهة جبار واحذر

السحرة القيت عصاموسى وكلما وافيناك بفاكهة التوددمددت لنا موائدالاحتيال وكلما تقربنا اليك تباعدت وكلما تباعدنا عنك تدانيت فيا ليت شعري هل أنت الناصح أم المنصوح وهل جئت مستفتحاً أم أنت الذي بيدك مفتاح الفتوح فما بالك لا تقابل كلمة منا الا بكثير كلام ولا ترد نصح الناصح الا بشديد الملام ان هذا لهو السحر المبين

فعلمت ان القوم قد رموا بسهام القطعية ونافذات الاقدار وانهم من الذين أشار اليهم الحق تبارك وتعالى بقوله (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض) وقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اذا ما القضا يرمي سهام قسيه تصيب عيون المبتلي وفؤاده
وان حاول المحروم حفظاً من القضا أبي الله الا أن يتم مراده

ثم ناديته يا هذا لو أن النصح والتهذيب يذودان شقي الاستعداد عن موارد الشقاء لما هلك ابليس وقد كان طاووس الملائكة أي أعجبهم بنفسه علماً وعملاً ولما اختطفت الشياطين غاويا من أيدي الرسل مع ماهم عليه من النور من ما جاؤا به من البيان الواضح ولكن الشقاء محتوم وكل مقدور محدد ومقسوم على أني ما جئت فيما أمليته لكم الا بما يأخذ بمخنق لين العريكة وسهل الأخلاق الى معالم السعادتين ومفاوز الدارين وما دعاكم للاشمئذاذ والنفور الا سابقة الاستعداد والقابلية

على كل أذن يقرع الصوت بالغنا وما كل قلب للأغاني بقابل
وقد يغمر الأرض الغمام بسقيه ولكنما نبت الربا بالقوابل
كذلك أنتم لا يزيدكم الضيا سوى الصرع أو ما ينتهي للمقاتل

في اغلب المدن ما انتشرت شرورها الا لتضعف الاديان وتذهب بأهلها حيث ذهب أهل النار في هاوية الملاهي الدنيوية وان العقلاء المتبصرين لا يرون واجباً أوجب على الانسان من البحث في أمر الدين الذي تتناجي بضده الاشقياء ويتنادى به العلماء في كل ملة وكان للرسل في الدعوة اليه شؤون ماوقعت من غيرهم وقالوا انه محور السعادة الابدية فلا نظر ألزم لكل ناظر لتقويم اعوجاجه ان أراد سلوك سبيل النجاة من النظر في تضارب هاتيك العقائد واتباع الاصلح الاسلم الذي يوافق العقل والنقل وهل يكون النظر والاستدلال الا بالاتيان على عقائد كل الطوائف المختلفة اطلاعاً وتحقيقاً حتى يتميز الحق من الباطل وما أرى أهل هذا الزمن من شبان وشيوخ الا مقتنعين بزخارف أقوال المذبذبين الذين بارزوا الدين بالمحاربة الخفية التي صيرت الامة صرعى أهوائهم وأسارى شهواتهم وكان الله على كل شيء مقتدرا فلا تك كالمجذوم الذي لا يداوى والاحمق الذي لا يعقل والهائم الاصم الذي لا يسمع دعاء ولا نداء واحذر ان يحول مرض قلبك بينك و بين طريق الهدى وأصقل مرآة بصيرتك وطهر من أوحال الغرور والافتتان سريرتك عساك ان تبصر النور المبين فتهتدي الى معالم الحق فلولا ضعف قلبك عن تدقيق النظر لاهتديت ولكن

اذا استقبل الاعشي الضياء بوجهه ... تغامضت الاجفان قهراً عن الرائي
وذو الجهل يأتي مصرع الحتف طائعاً ... وكل غبي طوع خدعة إغراء
فلا تك طفلا يلقط الجمر غرة ... فخوضك في البلوى سفاهة آراء
ولا تصب للشيطان طوعاً فانه ... بخدعته يدني السليم من الداء
وان مد ثعبان الى الطفل رأسه ... تناولها يا معدن الشين والراء

فقام من خلف ذلك الرجل رجل يقول ياهذا مالك كلما القينا اليك حبال

من الظرفاء وكان لهم علم بمراد ذلك المهندس من ذلك القصر فسئلوا من الفعلة الذين شهدوه عن كل حقير وجليل من ما تشيد به ذلك البنيان ليضع كل منهم ما فهمه عنهم في مكانه ثم جعلوا له أربع طرق كيلاً يتزاحم الواصلون اليهم أو يملوا وما كانت تلك الطرق من جهاته الاربع الا تسهيلا أراده كل منهم ليهتدي بها الواصلون اليهم ومتى دخلوا ذلك القصر علموا فضل ذلك المهندس وكان عندهم مرضياً وما يدخل الكل الا من باب واحد لكي اذا وصل عوامهم وخواصهم الى منازلهم من ذلك القصر وشاهدوا محكم مبانيه وتحققوه حصناً منيعاً لا يبغون عنه حولا فهل هذا الصنع الذى جاء به الظرفاء عائب للقصر أو لأمير ذلك القصر المؤسس له أظنك لا تجد بداً من موافقتي على صلاح أعمالهم وسلامة قلوبهم فهذا هو مثل الأئمة وما مقتهم الماقتون الآن الا لانهم هم الذين تحفظوا على أركان الدين وقواعده وما أضاعوا منها شيئاً وفقاً لمراد الله ووعده لنبيه ببقائه الى يوم القيامة ولو كره المبطلون وان لم يكن في هـذه الامة المصرية من هو أهل للتجمل به فكم في الأمم أتقياء متدينون وهم الذين أشار اليهم البوصيري بقوله

أحل أمته في حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال في أجم

ووصفهم الله بقوله (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)

فقال الرجل يا جنديم أي فضل تدعيه لرجل ما قوم قائم دينه الا بسيفه حيث مكنه في رقاب الأمم حتى زال الصعاب ودانت له الرقاب

فقلت يا هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم نشأ بين قومه يتيما لا شوكة له وعاش حليف السكينة والوقار لا صولة له وما ترك له أبوه ملكا ولا أعقب مالا

يا هـذا ان فاقد الاحساس لا يؤلمه وكز ذوابل الرماح وأصوات الرعد لا تزعج من ثقل نومه ولا يستنير بضياء الرشاد الا القلوب الحيـة وما نراكم أنتم وشبان هذا الزمن الا أقواماً غضب الله عليهم فتركهم في ظلماتهم يعمهون

فقام من كان قبله قائلاً يا جنبيهي ان شريعتكم لو كانت قوية لما اختلف في أحكامها أئمتها الذين ما ذهب الى غير مذاهبهم منكم ذاهب وهل يكون في الحق خلاف واختلاف فقلت يا هذا ان هذا الظن لمسرح أفكار المتفلسفين من أهل عصرك الذين ما أرادوا من استطالة البحث في هذا المبحث الا تشتيت الافكار وإغواء الاشرار وما كان اختلاف أولئك السادة الا متابعة لما وصل كل منهم من الأنباء النبوية وقد كان المربي الأول يشدد وقتاً ويخفف وقتاً على حسب مقتضيات ظروف الأحوال لعلمه أن في أمته الضعفاء ومنهم امة وخاصة وما ترك أصحابه مما علمه ويبنـه لهم مثقال ذرة وما أضر ذلك تخفيف والتشديد بقاعدة من قواعد الدين ولا جاء بنقص في مفروضاته فلا تتبع أهواء المفسدين وهاك مثل معقول

أرأيت يا هذا ان أسس مؤسس قصراً مشيداً وكان خبيراً بفن الهندسة ماهراً في أعمالها وقوم قواعده على أساس متين صالح للبقاء دهوراً لا تتناهي وما جعله الا ربوعاً للوفود والنزلاء ثم جعل في زواياه ما هو صالح لسكنى الفقراء وأعني بهم من لم يكن من الخاصة وجعل لخواصه مقاصير أعدها لارباب النظافة الذين لا يأتوا في مساكنهم بما يشوه محاسنها ثم أباح لكل من سكن ذلك القصر وكان مالكاً لما ينفقه أن يجدد فيه من أنواع الزخرفة ما استطاع تجديده مما يزيده حسناً ويكون سبباً لبقاء بنيانه واشترط أن لا يأتي المزخرف بما يخل بقواعده أو ينقض أساسه فسكن ذلك القصر مع سكانه أربع رجال

كما كان حال بني عذرة ومجنون ليلي وجميل بثينة حيث قال

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرت بلابله
وبالنظرة المجلى وبالحول تنقضي أواخره لا نلتقي وأوائله

وما للمحبة عاهة أضر من الشهوة وقد ظننت لجهلك ماهو الحب أن الحب من النقائص وأنه من المعايب الانسانية وليس الامر كذلك فلا تكن من الجاهلين أما سمعت يا هذا قول القائل

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فقم واعتلف تبناً فأنت حمار

وان في قوله صلى الله عليه وسلم عند رأيته زوجة زيد سبحان مقلب القلوب لذكري لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد لانه اذعان بأن ما وقع في قلبه من حبها لم ينسه ذكر ربه فقد كان يذكر الله في كل أحيانه وما أشغله حبها عما هو عليه من الشهود القربي وانه لإعلان بأنه ما تحول قلبه اليها الا لسر ابداعي كوشف به فكان ذلك السر سبباً في طروق المحبة ولو لم يكن ذلك لما تمكنت من قلبه اذ هي التى كانت تواجهه من قبل في كل وقت وقد كان في نساء قومه من كان أقوم منها اعتدالا وجمالا وما عشق منهن واحدة وعلى كل حال فقد ارتفع الاشكال بطلاق زيد لها مختارا وصدور أمر الله له بالبناء عليها وما في الحلال من عيب ولكنكم قوم تجهلون

يا هذا هل أمر محمد صلى الله عليه وسلم زيدا بطلاق زوجته لا والله بل قال له ما حكي الله بقوله (أمسك عليك زوجك واتق الله) ولقد رأى أن من الكمال كتمان الحب وكتمه فعاتبه الله على ذلك بقوله (وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وهناك نكتة أخرى وهي أن زوجة زيد قرشية وقد زوجه بها النبي وما كان لها كفؤا الا بالموازنة الدينيــة وما

ولا جنودا وبلغ سن" الأ ر بعين الذي هو آن النبوّة وهو لا يملك من الدنيا شيئاً ولما قام لتبليغ الرسالة ما دعي الناس الى الايمان بالله الا بالحكمة والموعظة الحسنة حتى دخل الناس في دينه أفواجاً وما قام بالسيف الا في وجوه المقاومين عند استدعاء الحاجة اليه فلا تحارب بلسانك قويًا لا يطاق ولا تعب من تعالى مجدا على السبع الطباق

رسول سنام المجد تحت نعاله وفوق معالي الفوق رتبته العليا
واني لكم ان تهتدوا لسنائه وقد كحلتكم من قذارتها الدنيا

فقال الرجل يا جنبيهى ان في قصة زيد وزوجته لغنية لمن أراد ان يعلم ما كان عليه صاحبكم من الاخلاق الغير المحمودة التي لا تنطبق على أحوال النبيين فتعجبت من قوة افتتان ذلك الرجل ومثلت حاله قائلا

متى تقنعى يا أم عمرو تتركي مناوشة الخلان حيث أغيب
ولكن داء شب فيك من الصبا الى الشيب لا يقوى عليه طبيب

ثم قلت يا هذا أي شيء استنكرته من قصة زيد وزوجته أما العيب فقد حكم العقلاء بانه لا عيب الا عيب الدين وهل جاء محمد صلى الله عليه وسلم بجرم كلا والله ما أتى بجرم مدة حياته وأما الحب فهو أمر يجهله أمثالك وأما أهل البصائر فيعلمون ان رحى الكون ما دارت الا على محور الحب ولولاه ما وجد موجود وليس الحب هو الشهوة المذموم اتباعها فقد يحب المرء من الفاكهة مثلا ما تلجئه المحبة الى عدم تعاطيه كما قال القائل

لا آكل التفاح دهري ولو جنيته لى من جنان الخلود
وما كان ذلك مني قلا ولكنني اكرمته للخدود

وانه لمن المعلوم ان المحبة متى تحكمت في القلب لم تترك للشهوة فيه مجالا

النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة في نشر الأسرار البشرية بما فيه الكفاية لمن أراد الهداية * فظهرت علامة الاقتناع على ذلك الرجل وسكت طويلا حتى أحدقت به أبصار الناظرين ثم قال يا جنبيهي ان أصوات الحكمة لتستجلب شوارد الانصاف والاعتراف من آفاق الافئدة المفتونة وان قست وان صقالة مهندات الحق المسلولة لتقد دروع الباطل كيفما كان وصيحة الصدق لا تبقي من الافترا باقية فاطلق صراح المزاح وأوقد مصباح الايضاح * وشيد بنيان البيان وأطلق بمكامن مدخرات الحكمة معقول اللسان عسى ان تملأ بها أوعية الآذان والقلوب فتتفكه بما طاب وحلا من فكاهات ذوقياتك أيها المحبوب * فما أعددنا لسيال منطقك الحالي الاوعاء نظيفا * وما صادفت بزلال وعظك الا ظمآنا ملهوفا * فهات ما عندك من البيان وأقم على ما تدعيه صحيح الدليل وقوي البرهان * والا فسرح الاحباب واغلق فيما بينك و بين المسترشدين الابواب * فسر فؤادي باذعان ذلك المفتون * وتذكرت قول أسلافه وانا ان شاء الله لمهتدون وأنشدته قائلاً

طريح الظما وافدك بالسيل ماطر ودونك ماء البحر فاغترف العز با
فان رمت سيلا فالفوادي مواطر غوادي اقتراح تنعش الروح واللبا
والا فبحر العلم بين جوانحي أصب لك الارشاد من فيضه صبا

يا هذا انما دار النزاع بين المتحاورين منكم ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم في مشاغبات تجمع أطرافها مباحث ثلاث * أحدها هل الاديان متحدة أو مختلفة * الثاني هل المسيح اله وابن اله * أو عبد الله ورسوله * الثالث هل محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله أم لا ومتى وقف الواقفون على حقائق هذه المباحث انحسم النزاع وثبت الاقناع وتقوت قوائم الانصاف وضعفت أركان الجدل والخلاف * وما أريد بالاديان إلا كل شرع سماوي جاء به رسول من

كانت تحب زيداً وقد نادي القرآن بأن الزوجية من لوازمها المحبة لقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فكان من شعار الصالحين أرباب النسك أن الواحد منهم اذا شام من زوجته ريح القلا أو شم من نفسه رائحة الكراهة لها طلقها أدباً مع الله لعلمهم أن القلوب بيد الله وأنه لو اختارها له أو اختاره لها لما أحدث في قلب أحدهما بغض الآخر وكم من آداب ذوقية تراعيها أرباب البصائر في أمثال هذه الواقعة لا تحوم حولها عقول الجهلا الذين ما تعوّدوا غير الإنتقاد والاعتراض فيا ليت شعري كم للمنتقد منكم والمعترض في اليوم الواحد من الكبائر وبودّي لو أحصينا عيوبكم اليومية والليلية فما أظنها الا تجل عن الإحصاء وقد جئتم تعدون الكمال نقصاً وما كان في وسعكم أن تقولوا أنه صلى الله عليه وسلم عشق فلانة وفلانة أو ارتكب ذنب كذا وكذا كلا والله انه لأكرم نزيه وأشرف شريف وأطهر طاهر ولكن لسان حالكم قد انطلق منشداً

اذا اتقدت نار الحسود بقلبه تصاعد من طرف اللسان دخانها
وكل سفيه تألف السب نفسه وفيما تحب النفس يحلو افتتانها
وان ملك الشيطان ألباب أمة يكون الى الشك المريب ركونها

يا هذا لا تعجل بنفسك الى مصارع الوبال ولا تعاجل جهنم بروحك فان اسائة الظن باصفياء الله علامة الشقاء المؤبد * ولا تحارب الله في رسله فيحيط بك معجل العقاب من حيث لا تشعر ولا يستدرجك الامهال فان تعجيل العقوبة ليست من شؤون القادرين فما مثلكم الا كمثل شوهاء ذات بذائة يئست من ميل القلوب اليها فاتخذت قذف الحسان سبباً لتنفيس ما تحرج من صدرها * ولقد تكلمنا علي قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنيا كم ثلاث

الأديان للإصلاح الدنيوي كما زعم السفهاء ولكنها جاءت لما وراء ذلك اذ لوكان ارسال الرسل لاصلاح أمر الدنيا لما كان لارسال محمد من الحكمة موضعاً لانه هو القائل بعثت في زمن الملك العادل ولما مات رسول الا وهو أغنى الاغنياء اذ لا ينبغي ان يجهد نفسه في اصلاح دنيا غيره ثم يموت فقيراً هذا لا يكون ولكن كثيرا من الناس لا يعقلون من الشؤون الا ظواهرها وما تميل اليه أفئدتهم لتحكم الغرور والطيش الذي هو بمعنى الإفتتان والاعجاب بالنفس واستيلائها على كثير مِن مَن لم يهدهم الله الى الصراط المستقيم وكثيرا ما أضر الغرور بحال أناس من أهل هذا الزمن بل بغالبهم وذلك لان منشأ هذين الوصفين الذميين لا يكون في الغالب الا من توسع الفكر في الاحاطة بالمعلومات الكونية وانها لمدهشة الابداع جليلة الاختراع تتجاذب الفكر الجائل في مجالها الواسع الى شعبها المختلفة فتحيط به وحشة الحيرة لولا أن يتداركه الله بلطفه اذ العلم تابع للمعلوم والعلم قائد العقل والعقل سلطان القلب والقلب قائد الروح والروح قائمة بين السر و بينه والسر له وجهتان وجهة الى الظلمة الكونية والأخرى الى أنوار فضاء الاطلاق الغيبي الذي ما فيه الا الله وحده فان كان السر خالياً من النور الذي أشار اليه الحق بقوله (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) كان ذلك السر منقادا الى الروح والروح تابعة للقلب والقلب تابعاً للعقل والعقل تابعاً للعلم والعلم تابعاً للمعلومات فيمتلا من هذا حاله فتنة وغرورا وتتجاذ به المعلومات شيئاً فشيئاً حتى لا يرى في كونه مشهودا سوى ما علمه كل على قدر ما علم وتتفاوت في ذلك الناس بتفاوت استعداداتهم فلذلك اختلفوا في اعتقاداتهم في المعبودات باختلاف قوابلهم فمنهم من عبد الحجر ومنهم من عبد الفيل أو غيره من الحيوانات ومنهم عباد الفروج ومنهم عبدة الآدميين

عند الله فإن أحببت ان تقف على حقيقة المباحث الثلاث فأعرني سمعاً واعياً وقلباً سليماً مصافياً والله يحق الحق بكلماته ولو كره المبطلون

فقال الرجل ذلك ما كنا نبغ ان كنت من الصادقين فانشدته قائلاً

سأرفع رين الريب عن كل عائذ بمولاه لا يبغي سواه له ربا
ولا أجر أرجوه سوى الله وحده يسامحني حباً ويمنحني قربا
ولا ابتغي منكم سوى ما يسرني اذا قيل هذا من لظى أنقذ الصحبا
فاني لكم نعم النصيح وانما شياطينكم عني تدافعكم غصبا

ثم قلت لقد علمت يا هذا ان أول المباحث مبحث الاديان أمتحدة هي أم مختلفة وثمرة هذا المبحث ايقاف المنكرين على ان الله ما خلق الانسان الا ليكون له شأن عظيم ثم كرمه وفضله على كثير من خلقه وما جعله كباقي الحيوانات التي تنعم بلاذ الاشداق وتشقى بأليم المشاق ليس الا بل جعله ذا استعداد وقابلية لتلقى ما يلقي اليه من قبله سبحانه وتعالى من الاسرار وفضل بعض الناس على بعض وجعل رسله حججاً وسفراء بينه وبين خلقه وجعلهم أفضل النوع الإنساني شرفاً واكرم الناس عنده منزلة وأنزل عليهم الكتب والصحف المطهرة وأرسلهم الى عباده رحمة منه بمن كان استعدادهم لا يميل الا الى الخير ليرشدوهم طريق الاستقامة ويوصلوا حبالهم به محبة منه ولطفاً وليكونوا حجة على من تأبى قوابلهم الا الإباء والنفور والميل الى الشهوات والاسترسال مع الهوى كما تراه من شؤون المنكرين على اختلاف طبقاتهم فان منهم المذعن بالرسل والرسالة ولكن شروره لا تمكنه من متابعتهم ومنهم من ليس بفتاك ولا بخائن ولكنه من أهل الطيش المتكبرين ومنهم من لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ولكنه ميال للشقاء لسابقة استعداده في ترتيب النظام الابدي فما شرع الله الشرائع عبثاً ولا كانت

والإضافات الطارئة على الأديان بنسبتها الى المعلمين الذين بعثوا بهـا لتعليمها لمن لم يعلموا بقاض عليها بالاختلاف والتفرق لانها ما كانت الا مجرد اضافات عرفية اذ قولهم دين مسيحي أو محمدي ما هو الا كقولهم في المتمسكين بالدين المحمدي من طريق المتابعة للأئمة المجتهدين هـذا شافعي وذاك مالكي مثلا وكذلك في السالكين مسالك أهل التحقيق وأرباب المجاهدات هـذا خلوتي وهذا شاذلي كل ذلك لا يقضي فيه تفرق النسب باختلاف الأصل الذي تفرعت عنه تلك الاضافات اذ الدين دين الله لا دين عيسى ولا موسى وقد أثبت القرآن اتحاد الاديان في مواضع كثيرة منها قوله تبارك وتعالى لنبيه (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون) فلو أن أهل الكتاب ما اشركوا بالله شيئاً لكانوا مسلمين اذاً فكل دين سماوي اسلام وكل متمسك به على الوجه الذي أراده الله منه مسلم

فان قال قائل كيف يكون اتحاد الاديان مع اختلاف طرائقها في التشريع نقول ان السائل عن هذا لا علم له بما هي الاديان وليس في الطاقة توصيل الحقيقة الى تصوره الا بضرب مثال حتى يتمكن من ادراك الامر على ما هو عليه فنقول

انما مثل الدين ومرادنا به الاسلام أي دين الله الذي بعث به جميع الرسل كمثل جواد له قوائم أربع يمتطيه الراكب ليصل به من طريق واحد الى غاية واحدة وهذا هو الشبه الواقع على كل دين سماوي فأي دين لا يطابق حاله هـذا المثل بتمامه لا يقال له دين بل تنطبق عليه أحد الاوصاف التي ذكرها القرآن في كثير من آياته كالكفر والشرك والظلم والفسق والفلسفة والنفاق

٩٤٦٠

ومنهم من اعتقد ان الإله هو كيوان وأما من أضاء سرّه بذلك النور بالتوجه الى أنوار ذلك الاطلاق فذلك الذي تكون روحه وراء سرّه وقلبه متابعاً لروحه وهكذا ينعكس الترتيب الذي ذكرناه حتى تدعوه المعلومات ليعلمها فلا ينظر اليها الا اذا تمكن من كسوة الأنوار وهداية الاستبصار التي أشار اليها ابن عطاء الله في سؤاله بمناجاته حيث قال الهي أمرت بالرجوع الى الآثار فأرجعني اليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير وانها لاسرار لا يعقلها الا العالمون فالنرجع الى معاهد تلك المباحث فنقول

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز (ان الدين عند الله الاسلام) ما أراد الله تبارك وتعالى بذلك الدين الحضارة والتمدن الاسلامي بمعنى ارتفاع صوت الأمة الاسلامية بين الأمم وتقدمهم في نيل المفاخر الدنيوية كما يزعم زعماء الدين الجديد تعالى الله سبحانه وتعالى وتقدس عن أن يرتضي التكالب على الدنيا الفانيـة ذات اللذات المشوبة بالاكدار ديناً لأصفيائه الذين ما اختارهم الا للنعيم المقيم والملك الكبير ومنازلات الأسرار وتجليات الأنوار ولكنه أراد بالاسلام الطريق التي أشار اليها بقوله لنبيه (وان أسلم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين) وانه لهو الطريق التي فرض علينا أن نسئله اياها بقوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) وأمر نبيه بمتابعتها بقوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) اذاً فيكون لفظ الدين علماً مفردا جمعه أديان كسين وأعيان وليس بخافٍ ما بين الجموع ومفرداتها من تلازم المطابقة والاتحاد النوعي وما كان اختلاف النسب

يصل الى مقصده فكذلك من لم يسلك طريق الاخلاص بجواده الذي ذكرناه فلا سبيل له الى ادراك تلك الغاية ولذلك أمر الله تبارك وتعالى نبيه بالتوكل عليه بقوله (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) ولا معنى للتوكل هنا الا عدم رأية غيره في كل اقدام واحجام وأخذ وعطاء واعراض واقبال ومحبة وسخط ورضاء وغضب بل وفي جميع الشؤون وهذا هو المعنى المشار اليه بقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص)

وأما الغاية المطلوبة لكل سالك في تلك الطريق فماهي الا السعادة الأبدية والنعيم السرمدي الذي تتفاوت فيه اللذاذات بتفاوت هم العارفين من أولي الالباب و بتفاوت أعمال أرباب المجاهدات و بتفاوت المؤمنين في الدرجات

وان لذلك الجواد لروح لا تقوم قوائمه الا بها ألا وهي كلمة لا اله الا الله التي جاء بها النبيون ووصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وما من أمة أزهقت روح ذلك الجواد بعد نبيها الا الأمة المسيحية وزعموا انهم نفخوا في شبحه روحاً غيرها بقولهم اسم الاب والابن والروح القدس اله واحد وسيأتي الكلام على ذلك بما يشفي العليل

اذاً فمن علم معنى ما ذكرنا لا يشك في أن أي راكب امتطى ذلك الجواد وسلك به تلك الطريق وصل الى تلك الغاية ومن ركبه وانحرف عن تلك الطريق لا سبيل له الى الوصول وقد قررنا أن تلك الطريق ما هي الا الاخلاص وان من الاخلاص أن يتبع العبد أوامر مولاه كائنة ما كانت بغير دفاع ولا معارضة ومن عصى ربه في أمر من أوامره متعمداً وأصر على ذلك فقد انحرف عن تلك الطريق التي لا يصل الراكب الا منها وان هذه النكتة الدقيقة لهي أكبر قاطع قطع الأمم التي ظلمت أنفسها عن ادراك مفاوز

وغير ذلك من أوصاف الذين مرقوا من الدين متابعةلاهوائهم ولذلك لم يجعل الله للعقل سيطرة على المشروعات الدينيـة بل أمر أولي الالباب ان يتناولوها بالقبول والتسليم طاعة وامتثالا ونهى أنبيائه عن متابعة الاهواء لان الانسان متي أعرض عن الشرع واتبع هوى نفسه هلك من حيث لا يشعر فلذلك قال لداوود عليه السلام (فاحكم بين الناس بالقسط ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقال لموسى (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) وقال عن نبيه (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى) ولا معنى لمتابعة الهوى الا تحكيم الفكر في ما جاء به الشرع وتأويله الى ما تهواه الانفس أو الاعراض عن المشروعات الدينية واختراع طريق للاعتدال كالدين الجديد لذي زعمه المفسدون الآن الذين تنادوا بانهم هم المصلحون وانهم لهم المفسدون ولكن لا يشعرون اذ لا يكون اصلاح فوق اصلاح المدبر الحكيم الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا فالواجب علينا الآن ان نبين حال الدين بتفصيل ما أجملناه في هذا المثال فنقول

أما ذلك الجواد الذي يمتطيه الراكب فما هو الا الآداب المعبر عنها بمكارم الاخلاق التي بعث محمد صلى الله عليه وسلم لتتميمها وأما قوائمه الاربع فما هي الا العبادات والمعاملات اذ كلاها ينقسم الى قسمين فمن العبادات ما هو قولي وما هو عملي ومن المعاملات ما هو حقوقي وما هو أدبي ذوقي * وأما الطريق الواحد الموصلة الى الغاية المطلوبة فما هي الا الاخلاص في جميع الاقوال والاعمال والاحوال فكما ان السائر من طريق موصلة الى مقصود له لابد وان يكون متجه القلب والعزم والنية الى ذلك الغرض وتكون كل أعماله عن عزم ونية خالصة والا وقع في ورطة الميل والانحراف وتشعبت عليه الطرق وقل ان

الارتباط الودي بين الانسان وأبناء جنسه لتطهير قلوبهم من ظلمات البغي والحسد والتباغض الى غير ذلك من الخصال المذمومة وما اختلفت مشروعات الاديان الا لاختلاف الطبائع الشخصية والعوائد الفطرية بين الامم باختلاف الازمنة والامكنة ولذلك كانت الشريعة الاخيرة واسعة الاكناف والاطراف في أحكام المعاملات لتسع من اهتدى من الامم على اختلاف طبقاتهم الى يوم يبعثون وأما اختلاف العبادات فلأنها وان كان التكليف بها يشعر بشيء من الجبر القهري ولكنها في الحقيقة محض مواهب احسانية وعواطف رحمانية كتب الله على نفسه اعانة العبد عليها واثابته على ادائها الثواب الجزيل فضلاً منه ورحمة ولا شك في ان المواهب والهدايا تختلف باختلاف شؤون الموهوب لهم والمهدى اليهم في الاستعدادات والقوابل ولذلك كانت خير الامم أوسعهم نطاقاً في العبادات العملية والقولية وأما الاخلاق التي هي هيولا الدين فلا سبيل الى اختلافها لانها اخلاق الله التي أمرنا ان نتخلق بها فهي في كل رسالة هي هي لا تتبدل ولا تختلف وما جاء محمد الا ليتممها ومن زعم غير ذلك كان جهولا بالدين غير عالم بطريق السعادة ومفاوز النجاة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

واذا كان الامر كما ذكرنا فيكون الدين للنفوس كالروح للجسد فلا تحيي بالطيب الحياة الابدية الا به وكما ان روح زيد مثلا التي صار بها حياً لا يحيي بها عمرو الذي لم يكن له روح ولا يبلغ درجة الحياة الا اذا تلبس بروح مثلها فكذلك من لا دين له لا حياة له حتى وان اتصل بأبناء الرسل حسباً ونسباً لانه ان لم يمتطي ذلك الجواد ويسير به في الطريق التي وصفناها لا يصل الى تلك الغاية التي أجهد الرسل نفوسهم في ادراك الوصول اليها على ظهر ذلك الجواد

النجاة فلو ان الأمم آمنوا بجميع الرسل لما هلك منهم هالك لان من جاءه من الله كتاب مع رسول قد مضت من قبله رسل وأبى أن لا يؤمن الا بمن مضوا فلا يقال له مخلص لأنه ما عبد ربه بل عبد هواه اذ لو كان عابداً لربه لما خالف أوامره ولما جحد رسالته ولا كفر برسوله فانه من عادى رسولاً فما عادى الا من أرسله ولكن أهل الغرور والطيش في ضلال كبير

ثم من المعلوم الضروري أن جواداً بغير قوائم لا يكون بمعنى أن من ادّعى أنه تهذبت أخلاقه حتى تأدب بتلك الآداب التي هي مكارم الأخلاق بغير أن يقوم بما وجب عليه من العبادات والمعاملات فقد افترى على الله كذباً كما أن العبادات والمعاملات بدون آداب لا توصل الى ذلك الغرض

ومتى تحقق الباحث صحة ما ذكرناه وكان له قلب يعقل المعقول علم علم اليقين أن الأديان متحدة المبدإ والغاية وانها نوع واحد وان اختلفت أوصاف الأفراد كاختلاف الخيل مثلاً في طول قوائمها وقصرها وفي الألوان وهذا الاختلاف لا يخرج كرائم الخيل عن النوع والجنسية وهكذا حال الأديان لا يخرجها عن وصف الاتحاد اختلاف العبادات والمعاملات مع اتحاد المبادي والغايات واتحاد الروح في كل دين ولقد قلنا أن الدين هو الآداب وإن كل الرسل فيها لعلى وتيرة واحدة غير أنها تجمعت في هذا الرسول الاخير وتممها ربه له

وما كان اختلاف العبادات والمعاملات الا لانهـا ما جعلت الا لحكم تدبيرية أما العبادات فانها روابط بين العبد وربه أعني روابط معاهدات تكرم الله بها على عبيده لتكون سبباً للوصلة القربية بينهم وبينه وسيأتي بيان سبب اختلافها وأما المعاملات فانها موازين اعتدال وضعية أراد الله بها تكميل النظام الكوني اذ من كمال التدبير وضع أحكام وروابط لتقوية علائق

والنواهي عنك الا ابتلاء لتكون له الحجة البالغة على من خالف و يكون للمطيع أجر الطاعة ولولا ذلك لما صح اثبات حال من الاحوال على منكره ولا انكاره على مدعيه

ألا يرى المعترض ان العبد الذي أحاطت به ظلمات الغرور والطغيان قد يتعود عملاً خيرياً يأتي به غير مأمور حتي اذا أمره سيده به تخلف عن القيام به غروراً وطغياناً وربما جاء بضده عناداً لزعمه انه لا يأمر بالعمل الا من لا علم عنده وأما العارف فلا يأمر بعمل الى غير ذلك من الاخلاق المخبوءة في طويات القلوب فلذلك جاءت الشرائع لتبين لكل انسان ما خفي عليه من خبايا استعداده فلو ان انساناً عمل جميع الاعمال الخيرية وما نوى بعمله امتثال الاوامر الالهية لا يستحق عليها جزاء اذ الفرق بين العمال ظاهر وان تساووا في العمل كظهور الفرق بين السيف المصقول والسيف الذي لا يقطع ألا ترى اختلاف أحوال المتفكرين في العوالم العلوية والسفلية فان منهم من يسبح بفكره في ذلك البحر ليستخرج منه ما يدخره من المعلومات لينفقه على طلابه عند السؤال ليس الا وذلك هو عمل أهل النظر والاستدلال ومنهم من يسبح ليعلم ما وراء ذلك النهر ومن أين كانت امداداته والى أي غاية يكون مده الى غير ذلك من الشؤون التي تختلف فيها مقاصد العاملين فلذلك شرع الله سبيل الاخلاص ليميز به عمل قاصديه من عمل أرباب الاغراض الهوائية وقس على ما ذكرناه جميع الاعمال والاخلاق والله يقول الحق ويهدي السبيل

اذاً فكل من كان له حظ من النور الالهي الذي به تنكشف للمتبصرين الحقائق يعلم مما قررناه ان نتيجة هذا البحث جاءت للمسترشدين بثمرات ثلاث

- الواحدة العلم باتحاد الاديان وان من عاب ديناً منها فقد عاب الكل ومرق من كل دين فعلى كل من أراد السلامة لنفسه ان لا يلقيها في مصارع الاصرار

ليس الا ومن زعم ان مجرد الايمان بموسى أو بعيسى أو بمحمد يوصله الى تلك الغاية بلا جواد فهو مفتون ومغرور سواء ظن انهم أنبياء الله أو أبناؤه اذ لا فائدة للانسان في محبة الرسل أو الانتساب اليهم أو محبة الله الا اتقان المتابعة والطاعة ومن لم يتابع الرسول فيما جاء به وادعي محبته كان منافقاً وحشر يوم القيامة مع المنافقين وكان كمن يأتي ملكا متطوعاً لينسلك في نظام العار بين من جنوده حتي اذا جاء الوقت واشتعلت نيران الحرب تخلف عن الجنود بدعوى انه سيقوم باصلاح شؤون تلك الجنود أو يأتي بخدمة ترضي الملك غير ما كلفت به الجنود لزعمه انه متطوع وله حق الاختيار في أي عمل يريد الاتيان به فما كان لذلك من جزاء الا الحرمان عند تقسيم الغنائم والزجر اذا أراد ان ينسلك في حاشية الملك وخاصته

فعلى هذا يكون كل مسلم أو مسيحي لم يتابع النبوة في جميع مشروعاتها العملية والقولية والادبية لا حظ له في ادراك الغاية التي دعت اليها الرسل وكل من زعم غير ذلك فهو من الضالين المضلين

فمن قال ان بمجرد الايمان بالمسيح وتلاوة الانجيل يدخل المسيحي ملكوت الرب فهو كاذب ومن زعم من الفلاسفة ان الانسان بمجرد العلم بالمعلومات يدري معالم القرب فهو مارق وفاسق والله لا يهدي القوم الظالمين

فان قال قائل ان الانسان قد يكون على أخلاق طاهرة ولكنه لم يكن متعبداً غير انه لم يرتكب شيئاً من فظائع الذنوب فكيف تدعي انه لا يصل الى الغاية التي وصل اليها من امتطى ذلك الجواد ان هذا هو الجور والاجحاف البين

أقول ان الله سبحانه وتعالى ما رتب الجزاء الوفاق على مجرد طهارة الاخلاق ولو كان كذلك لساوى في ذلك بين الانسان وكل حيوان ولكنه جعل الاوامر

والعمل وأما الحديث فقوله ما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه وما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بمتابعة رسوله الا لانها هي عنوان العدل المطلوب من كل انسان وانه لهو روح الانسانية التي هي مقر الخلافة الالهية المذكورة في القرآن في قوله تعالى للملائكة (إني جاعل في الارض خليفة) ومن لم يتحقق بحقيقة انسانيته بالتخلق بالآداب التي ذكرناها تحيز الى أقرب شبيه له من المخلوقات فإما أن يصدق عليه قوله تعالى (إن هم الا كالأنعام بل هم أضل) واما أن يكون من الشياطين الذين أمر الله نبيه بالتعوذ منهم بقوله (من الجنة والناس) وإما أن يكون صخرًا متصفًا بقول الله تعالى (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وأمثال هؤلاء لا ينطبق عليهم حال دين من الاديان السماوية ولو أحاطوا بجميع المعلومات علمًا لان علمك بالله غير قيامك بأداء ماله عليك من الحقوق فلو آمنت برسول ولكنك ما اتبعته فلا يسقط حقه عنك بمجرد الايمان كذلك ايمانك بالله لا يسقط عنه واجبات طاعته في أداء ما افترضه عليك وان لم يكن فيه فائدة له لانك ان لم تعلمه فقد ظلمت الالوهية لانها تحب أن تجد لمواهب الفضل موقعًا ولا موقع لمواهب الفضل الا من خلص من حبائل شرك العدل وما خلق الانسان الا ليكون مرمى سهام أحدهما فمن ادعى طريقًا للانسانية غير الطريق التي ذكرناها أو زعم أن للسعادة في الدنيا والآخرة مسلكًا غير هذا المسلك فهو المجهول ومن زعم اصلاحًا من طريق غير هذه فانه هو المفسد وان شيد بعوامل فكره أركان الدول كلها واستجمع أطراف التمدن الذي تعشقته ألباب السفهاء الآن من حيث لم يشعروا أن بينه وبين مزايا الانسانية كما بين عواتك قريش وبين مومسات هذا الزمن من الفرق البعيد بل كما بين

والعناد وان يكون سهل الانقياد لكل رسول يدعوه الى عبادة الله حتى يتبين له الحق فيتبعه اذ العبد لا شأن له الا انتظار أوامر سيده وتلقيها بكل قبول وأدب ومن لم يفعل ذلك فليس بمسلم ومن امتثل أوامر ربه فهو المسلم على يد أي رسول أسلم لان الدين عند الله هو الاسلام

الثمرة الثانية ان كل رساله أرسل بها أي رسول من الله تندرج أسرارها وأنوارها في ما يأتي بعدها من الرسائل على أيدي الرســـل ولا يفوز باسرار الرسالتين الا من تطوع للرسول الاخير وأما من بقي على أحكام الشريعة الاولى وجحد التي بعدها فلا نور له لان ظلمة الجحود أعمت قلبه عن تلقي الاسرار والانوار ولا نور ولا سر الا لمن شرح الله صدره ووالاه بانوار التوفيق وامداد الارشاد ولا يكون ذلك الا للطائعين اذ لو صح لمتدين بدين رسول ان يخالف الذي بعده لما صح لعيسى عليه السلام ان يامن اليهود مع متابعتهم لموسى ولو ان الاديان كانت مختلفة لما جاز للمسيحيين التعبد بمزامير داوود وان هذه الثمرة من الثمرات الثلاث لا ينبغي لمن له ذوق مدرك الاعراض عن تناولها ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الثمرة الثالثة العلم بأنه ما فاز وان يفوز بالسعادة الابدية التي يكذب بها سفهاء الشبان من أهـــل هذا الزمن الا كل من سلك الطريق التي ذكرناها ممتطياً ذلك الجواد بشرط سلامة قوائمه من العيوب ليكون ذلك السالك قائماً بأداء ما عليه من الحقوق للمخلوقات باصلاح المعاملة فيما بينه وبينهم ويكون مرضياً عند ربه باستعمال الآداب الشرعية مفروضاتها ونوافلها لانها هي وسائل القرب والمحبة بنص القرآن والحديث القدسي أما القرآن فقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وما كان الاتباع الا في القول والحال

لم يكن ولا يكون الثاني معرفة الشرك الظاهر والخفي الذي استعاذ منه أتقياء الأمم وكيف يكون الشرك مع استحالة وجود الشريك الثالث معرفة الإله الحق الذي ثبتت ألوهيته بالبراهين القاطعة وانتفي شريكه من هو وكيف عرفه العارفون مع دقة خفائه وكيف جحده الجاحدون مع شدة ظهوره الرابع معرفة المسيح من هو وكيف وجد وأين كان قبل وجوده وهل هو بشر أو ملك أو لا بشر ولا ملك ومتى تبين الباحث حقائق ما ذكرناه أصبح لا يجد في نفسه داعية للبحث في هذا المبحث الذي ما وجه اليه أنظار الباحثين الا جهل الجهلاء الذين دعاهم طغيان الغرور الى انكار ما لا ينكر واثبات ما يستحيل ثبوته شرعاً ولا عقلاً فلذلك نقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

أما الشريك فغير موجود وما كان ولا يكون وذلك لأن كل ما سوى الله ممكن الوجود والممكن له أربع أوصاف لا ينفك عنها ولا تفاوت فيها بين الممكنات العلوية والسفلية ولا فرق بين الحيوانات التي ادعت الألوهية بغير حق كفرعون وأضرابه ومن ادعاها له غيره كعيسى عليه السلام وباقي المعبودات من جمادات وحيوانات وكواكب ونباتات وغير ذلك منها لا نعلمه اذ كلها متصفة بتلك الأوصاف التي هي العجز والضعف والذل والافتقار ألا ترى فرعون كيف كان افتقاره الى السحرة ليستقيل من عمل عصا موسى وكيف كان افتقار عيسى للنخلة اذ قال لأمه (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا) وكيف كان يشتهي الأكل عند الجوع والنوم عند السهر وغير ذلك من ضروريات الحيوان وكيف نادى عند الصلب بقوله ألوه ألوه لماذا تركتني كما زعموا وما من معبود من هذه المعبودات قال اني شريك الله في ملكه ولا زعم أنه خلق معه مخلوقاً ولا أوجد معه موجوداً وهل يكون شريكاً الا

مريم وآسية وبين امرأة نوح وامرأة لوط وذلك لان الانسانية تستدعي المروءة والسخاء والسماحة وإغاثة الملهوف وترك الزهوّ والاعجاب وأن لا يدري الرجل أي ثوبيه لبس وأن يكون للنساء من لباس الحياء ما يدعوهن الى هجر التبرج وأن يؤثر الانسان على نفسه ولو كان به خصاصة وان لا يشتغل المرء بإصلاح طعامه وملبسه الى غير ذلك من شؤون الرجولية التي تدعوا الانسان الى معالم الوقار ومظاهر الكمال وانا لا نرى الآن الا نساء في صور رجال لا دين لهم الا التبرج فلا يخرج الرجل من بيته حتى تحسده زوجته على مسابقته لها في التزين وربما كان لبعضهم مرآة في جيبه ليبصر بها نفسه كلما خلا بها وإن أقل الناس درجة في دناءة أخلاق التمدن لقوم لا تبرح أناملهم تلوي شواربهم التى طالت على غير طائل ثم انا لا نرى لتمدن الامم أثرًا الا التفنن في زينة الدنيا وفي الاستعدادات الحربية للفتك بأقرانهم وكل هذه الشؤون شؤون بينها وبين الانسانية بون بعيد إذًا فيكون التمدن والدين على طرفي نقيض ولكن أكثر الناس لا يفقهون

وإذا أوقفناك في هذا المبحث على فوائد ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فألق قميص الموعظة على وجه فؤادك الأعمى يرتد بصيرًا وأتوني بأهلكم أجمعين

المبحث الثاني مبحث عيسى عليه السلام هل هو إله أو رسول وفي ذلك نقول

أبى الله الا أن يكون بملكه وحيدًا عليًا عن وليّ وعن ولدْ
ولكنما الانسان من بين خلقه على ضعفه أضحى هو الخصم الالدْ

ان الباحث في هذا المبحث ليحتاج الى معرفة أربعة أشياء من أحاط بها علمًا وقف على حقيقته قبل أن يطيل البحث فيكتفي مشقة التطويل أولها معرفة الشريك الذي جاءت الرسل لنفيه ما هو وكيف كان وجوده مع أنه

والجنسية وما كان الله ببشر حتى يلد بشراً مثله ولكن الذين قالوا بذلك توهموا أن الله ألقى الى مريم كلمة منه فتجسدت وصارت بشراً سويا فكان ابن الله فنفى الله ذلك بآيات كثيرة رحمة بالجهلاء وتثبيتاً للعقلاء واقامة لحجته البالغة على أهل الدعوى الذي اتبعوا أهواءهم فحاروا حيث لا حيرة وضلوا في مواطن الهداية اذ ما جاء عيسى الا ليهدي الناس لا لإضلالهم فكان من قدرة الله القادر الحكيم أن هدى به قوماً وأضل به آخرين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك كانت الوجهة في نفي الشركاء لأنه ما ادعى مدع أنه هو رب السموات والارض ولا زعم زاعم ممن عبدوا الآلهة وهو ذوا تصور وادراك أن إلهه خالق السموات والارض لسبوق وجودهما عن وجوده وما ذكرت الشركة في القرآن الا بين الآلهة ومن عبدوهم اذ أشركوهم في أنفسهم وأموالهم بغير حق أو بينهم وبين الله في ما رزقهم الله فقال لهم (أين شركائي الذين زعمتم) وقال ادعوا شركائكم من دون الله) فجاءت الرسل بالرسالات لتفهيم الإنسان أن الإله الحق خالق السموات والارض هو الذي يضر وينفع وهو الذي له كامل الحقوق التي تكون للإله على مألوهه ليهتدي من سبقت له السعادة الى الصراط المستقيم الذي سبق بيانه في مبحث الأديان وما كان مجيء الرسل لمدافعة شريك ادعى أنه شريك الله في ملكه الا ترى أن فرعون لما جاءه موسى ليرشده لم يجد في نفسه باعثاً يبعثه لأن يدعي الألوهية الا على قومه فقال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري تحتي أفلا تبصرون) وقد كان من القوة والبأس على جانب عظيم فكيف بحال من لا قوة له ولا بأس فلذلك قلنا أنه لا شريك لأننا لو اطلنا البحث عنه لما وجدناه لا في السماء ولا في الأرض

عقد عقد معلوم يثبت به الاشتراك وهل يكون العقد الا عن تراضٍ بين الشريكين وكل ذلك لم يكن لأن المملكة التي تريد الآن نسبتها الى إله واحد ما هي الا السموات والأرض وما بينها والإله نادي بأنه هو ربها وخالقهما وخالق ما بينهما لم يرتض لنفسه شريكا في خلقهما وما من إله عبده الإنسان ادعى أنه عاون ذلك الخالق في ايجاد شيء منها اذاً فالشريك غير موجود لا بالصورة ولا بالتصور اذ من المعلوم البديهي أن كل من نسبت اليه الألوهية من المخلوقات حيوانا كان أو جمادا ما وجد الا بعد وجود هذه المملكة بأسرها وبعد فراغ الإله الحق من ترتيبها على هذا النظام البديع وليس بمعقول أن يوجد مألوه قبل وجود إلهه فكيف يكون للشريك وجود مع أنه ما وجد الا بعد وجود السموات والارض ثم ان التصور حاكم بأن الضعيف العاجز الذي لم يوجد الا عن موجد قوي قادر لا يشترك مع من أوجده فيما لم يكن له قدرة على ايجاد جزء منه اذاً فلا حاجة لنفي الشريك إذ إعدام المعدوم من باب تحصيل الحاصل واثباته لا ثبوت له جهل مهلك وظلم بين لا يصدر الا عن غلبة الجهل والطيش

فان قال قائل لقد صرح الله بنفي الشركاء في غير موضع من القرآن وما جاءت الرسالات والمرسلون الا لذلك فكيف تنكر وجود الشريك

أقول ان نفي الشريك الذي ورد في القرآن ما هو الا من قبيل نفي الولد ووجود الولد بالنسبة لله محال صورة وتصورا اذ لا يتصور متصور أن الله ولد ولداً ولم يقل بذلك قائل لانه لا نسبة بين الله و بين مريم حتى يأتي منها بولد وما نفاه الله لأنه ثابت في اعتقاد المعتقدين من جهة التصور ولا لأنه ذوا صورة معلومة اذ من شروط البنوة مشابهة الإبن لابيه في الشكل

أوجدها لهم فمنهم من قويت عليه واردات الامدادات فاتخذ إلهه هواه وكاد أن يدعي الالوهية على غيره لولا احساسه من نفسه بعدم القدرة على ذلك ومنهم من لم يساعده المدد الالهي فألجأته ظلمة قلبه الى الركون الى ما يجده من الاسباب قويًا مع اعترافه بوجود الاله وتصديقه بالرسل فهذا هو الشرك الخفي وما جاءت الرسل والرسالات الا لتطهير القلوب من هذين الشركين وطالما نادى الله على ألسنة رسله بان لا ضار ولا نافع الا هو وانه هو الآخذ بناصية كل مخلوق فمن الناس من أسعده الله بزوال ظلمة الشركين من قلبه فصار سعيدًا ومنهم من تمكن منه الشرك الخفي لفقده النور الذى يجعله الله لعباده الصالحين وما كان لذلك من سبب الا ما سيأتي بيانه في معرفة الاله الحق وهو ثالث الاشياء التي تلزم الاحاطة بها للباحث في البحث الذى نحن بصدده وعن ذلك نقول وبالله التوفيق

ان معرفة الله سبحانه وتعالى تمتنع امتناعًا قطعيًا من جهة العقل لانها مهما وصلت درجتها من هذه الطريق لا تجاوز غاية الظن وقد اعاب الله من هذا حالهم بقوله (إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) ولذلك الامتناع وجهتان وجهة من جهة الحق ، ووجهة من جهة الخلق أما الوجهة التي من جهة الحق فانه سبحانه وتعالى لم يكن من الاجرام المتحيزة التي تحيط بها دائرة الكم أو الكيف حتى اذا طلبه طالب يراه كما ترى الاجرام المتحيزة لما في ذلك من مشابهة الحوادث وهي مستحيلة لان القدم ضد الحدوث ومخالفة القديم للحادث أمر لا يحتاج في اثباته الى دليل وان أكبر صفة أثبت بها المتكلمون الالوهية للاله الواحد لمخالفته للحوادث لان مشابه الشيء يعطى حكمه وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر فلو صحت المشابهة ولو في حال واحد لبطلت الالوهية

الثاني معرفة الشرك الظاهر والخفي وكيف كان وجودهما مع استحالة وجود الشريك فنقول

ان الانسان ليخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً وتخرج معه أوصاف الممكن الاربع الملازمة له حيث كان وكيفما كان فلا يجد بداً من ان يستند الى مستند يكتنفه ليضرع اليه عند الحاجة فيكون أي سبب واجهه من الاسباب التي وضعها الله حجاباً بينه وبين خالقه هو الركن الذي يلجأ اليه لانه جهول لولا ان يعلمه الله فكلما انتقل من طور الي آخر تنقلت معه أوصافه وكبرت معه كلما كبر فتتناوله الاسباب المناسبة لاي طور حل به من أطوار البشرية حتى اذا بلغ الحلم ووضعت في عنقه ربقة التكاليف صار ملزماً بان يؤدي حقوق الالوهية لمستحقها فاذاً يلزمه البحث عن ذلك الإله حتى يوفيه حقوقه فمن الناس من وجد آبائه عا كفين على إله أو آلهة فتبعهم ومنهم من اختار له الهاً فعبده ولكنه لا يسلم من طوارق الشك في حاله لضعف المستند الذي يركن اليه في تحقق الوهيته اذ لا بد من ان يطرأ عليه حال يكون سبباً لتوجه نظره الى خالق السموات والارض ولكنه لم يجد مرشداً يرشده اليه أو وجد المرشد ولكن استعداده لا يقبل الارشاد لغلبة ظلمة البشرية عليه فهذا هو الشرك الظاهر الذى استوى فيه من سجد للصنم ومن سجد للصليب ومن سجد للفيل أو البقر أو غير ذلك

وأما الشرك الخفى فانه حال يلازم القوم الذين آمنوا بالإله الحق بمجرد السماع وصدقوا بالرسل تصديقاً قهرياً لعلمهم ان لا حق لهم في انكار الرسالة ولكنهم اغتروا بما أمدهم الله به من الامدادات الحسية والمعنوية فغلبت عليهم الاهواء فظنوا ان الموجود الذى أوجدهم ماله عليهم الافضل الايجاد وانه أوجدهم وتركهم ليتخيروا لانفسهم ما يشاؤون من ما مكنهم فيه من الاشياء التي

يعهد وهكذا جميع المؤثرات فلو أن الالوهية تثبت بالاتيان بالاشياء الخارقة للعادة لتنازعها السحرة والمشعبذون بل وجميع المؤثرات وبذلك تكون المخلوقات كلها آلهة ألا ترى صاحب ابراهيم لما قال له ابراهيم (ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت) فقال له ابراهيم (ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) فلو أن عيسى عليه السلام ادعى الالوهية لانه يحيي الموتى لقال له اليهود مقالة ابراهيم ولكنه لم يدعيها لانه لو ادعاها لادعاها وراءه كل مؤثر اذ ما من موجود الا وهو مؤثر ومؤثر فيه وان تفاوتت الدرجات وتفاضلت القوى هذا إذا قلنا انه كان يحيي الموتى باسمه كما زعموا

ألا ترى المعيان وهو المعروف بالحسود كيف يميت من أراد بمجرد نظرة أو يصيبه بمرض في الحال فكأنه يقول بلسان حاله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أليس لمثل هذا الحق في دعوى الالوهية اذا صحت الاجرام المرئية المتحيزة والاجساد البشرية لان المشابهة والمماثلة تستدعي جواز المقارنة في الاوصاف والشؤون وهــذا ممنوع بين الاله والمألوه اذ لو صحت المقارنة اثبت التساوي وهو محال عقلاً وشرعاً

إذاً فلا حق لموجود في الالوهية الا لواجب الوجود بذاته الذي تنزه عن أن يتصف بأوصاف الممكن التي سبق بيانها بل هو المتصف بأوصاف الكمال والجلال والجمال التي دلت عليها أسماؤه الحسنى وليس له فيها مشارك وقد تنزه عن أن يعرف من طريق العقل كما ذكرنا اذ لا تحيط العقول علماً الا بما له بداية ونهاية والله سبحانه وتعالى لا بداية له ولا نهاية وما له من حال محسوس فتهتدي اليه العقول

وعلى هذا يحتم الحجر على معرفة الله أن لا تكون الا من طريق الرسالة

وتساوى الخالق بالمخلوق فلذلك قلنا أن معرفة الاله من طريق العقل ليست في قوى البشر ولا تكون واذا كانت لا يقال لها معرفة ولكنها طريق استدلال كقولهم البعرة تدل على البعير والقدم يدل على المسير أفلا يدل هذا الصنع على اللطيف الخبير فلو أن ابليس لعنه الله تصور لصاحب هــذا الكلام في صورة فعالة وقال له أنا الله لسجد له ما لم يكن على بينة من ربه من طريق الرسالة والمعرفة النورية ولذلك قالت الفلاسفة أنه لا يمكن اقامة دليل قاطع عقلي على وجود الله لانهم لا يأتون بدليل الا وتلحقه شبهة فلا يكون قطعياً ولذلك كانوا للكفر أقرب منهم للايمان لفقدهم النور الذي أشار الله اليه بقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) ومتى صح امتناع المعرفة من طريق العقل لعلة مخالفة الله للحوادث في جميع صفاته التي منها أنه لا يتحيز ولا يتكيف ولا تدركه الابصار فيكون كل من وسعته دائرة الكيف والكم لا ينطبق عليه وصف اله بحال من الاحوال سواء كان روح في جسد كالاجساد البشرية أو كلمة تجسدت كما يزعم المخرفون ولو جاء بألف آية لان الله سبحانه وتعالى يجري غالب الشؤون الخلقية على أيدي الاسباب وان كانت من خوارق العادات كما وقع على أيدي الانبياء وكثير من الاولياء ولو جاز لجرم من الاجرام أن يتصف بوصف الالوهية لكانت المؤثرات العلوية أحق من كل متصف بهذا الوصف بعد الله سبحانه وتعالى لأنها أقوى في التأثير وأوسع من الاجرام السفلية فان عيسى عليه السلام مثلاً ما أحيي له الله الا قليلاً من الاموات باذنه ليكون حجة على الجاحدين ورحمة للمهتدين ولكن الله سبحانه وتعالى يفعل بالشمس من التأثيرات الضارة والنافعة ما لا يفعله مع غيرها وكم أحيي بالمطر أرضاً ميتة وأنبت به زرعاً على غير مثال

تسجد لما خلقت بيدى) وما قال عن مخلوق انه خلقه بيديه الا هو ولقد تواردت الاخبار السماوية والاحاديث النبوية انه خلقه على صورته ثم تنازعت الافهام هذا اللفظ وما أجمع أرباب البصائر له على معنى لغرابة مفهومه أو لانه لا يدرك الا من طريق الكشف بالعلم النوري الذى هو حال ذوقي لا ينبغي التعبير عنه عند ذوى البصائر ولكنني أركن في فهم فحواه الى معنيين الاول انه على الصورة بمعنى انه ذو قابلية واستعداد لان يتخلق باخلاق الله التي بها تثبت له الخلافة حتى يصل الي الدرجة التي يكون فيها هو هو لا بمعنى اتحادهما في السمت والهيولا كلا ولكن بمعنى ما ورد في الحديث القدسي الذي آخره فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى نهاية الحديث الشريف فتتحد المرادات والارادات ويخرج الانسان عن نفسه حتي يكون ربانيا يقول للشيء كن فيكون وهذا هو المعنى الذي يشير اليـه قوله تعالى (ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) والثـاني من المعنيين أنه خلقه على صورته بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق العالم الاكبر صورة له ثابتة في مرآة العدم المقابلة للوجود الحق فما رأى الا نفسه في تلك المرآة فان قلت إن العالم الاكبر صورة ليس لها روح الا ذات الوجود المطلق فقد قاربت المعنى وان قلت انه صورة للذات في مرآة العدم لا وجود له الا بها فما تعديت الصواب وعلى كلا الحالين فقد خلق الانسان مثالا لتلك الصورة اذ ما من شيء في العالم الاكبر الا وفي الانسان مثاله والله سبحانه وتعالى هو نور السموات والارض وقد قال ابن عطاء الله الكون كله ظلمة وانما أناره وجود الحق فيه إذا فالانسان له وجهتان وجهة سفلية تدعوه الى الجهل لانه خلق من طين فكان ظلوما جهولا ووجهة علوية تدعوه الى العلم لانه مخلوق على الصورة ولكن لا بد له من مناسبة تجعل بينه وبين

اذ لو صحت من طريق العقل لما اختلف الناس من عهد آدم حتى الآن في عبادة معبوداتهم وهم راشدون في أمر دنياهم وان كلا ليـدعي العقل الوافر والفكر الثاقب والمعرفة الواسعة ويرى غيره دونه في كل ذلك فلو أن معرفة الله تدرك بالعقل لما ضل منهم رشيد عن رضا واختيار ولكن الامر كما قال ابن سينا حاشا جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد وانه لهو الاعمى الذي أشار اليه بعض أرباب البصائر بقوله مارقينا مقاماً الا وسبقنا اليه هذا الاعمى بعكازه ومع ما كان عليه من دقة الاستدلال النظري حار في معرفة ربه حتى وقف عند كيوان وجعل ابتهاله وتضرعه اليه ولقد أوقفناك يا هذا على جادة الطريق فتأمل ان كنت بصيراً فما واجهناك الا بما يبصره المبصرون ويدركه المتأملون

ثم انا نقول من باب زيادة الايضاح أنه مامن رسول جاء من ربه لامة من الامم الا وقام فيهم منادياً بأن الله سبحانه وتعالى أحدي في ذاته واحد في صفاته وحداني في أفعاله وأنه منزه عن الشبيه والنظير وعن أن يتحيز الحد جهة وأن تراه العيون فلو أن القوم الذين عبدوا الآلهة المنظورة التي ربما كانو أشرف منها حالاً وتبصروا في ذلك عقلا أو تعقلوه شرعاً لما تورطوا أوحالا ولا تحملوا من الوزر أثقالا ولكن الذين خسروا أنفسهم في ضلال بعيد

ولهذا وجب علينا أن نبين الطريق التي بها عرف العارفون ربهم مع د خفائه وجحده بها الجاحدون مع شدة ظهوره ليتذكر من كان له قلب أو الق السمع وهو شهيد فمن كان فقيهاً فليتبصر ومن كان جهولا فليتفقد المجال الذ هو من رجاله مؤتمرا بقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) وهاك البي ان كنت سميعاً

ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان بيديه ثم قال لابليس (ما منعك ان

فتعرضوا لنفحات ربكم وأشار اليها بن عطاء الله بقوله قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد وبقوله ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشواً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت وتلك النفحات والواردات هي مفهوم قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) إذاً فلا طريق لمعرفة الله الا التيقظ لواردات التعرف الالهي والله سبحانه وتعالى يتعرف لعبيده تارة بالنعم الباطنية وتارة بالنعم الظاهرية ولا يتيقظ لذلك التعرف الا من وفقهم الله لاسباب الانتباه واليقظة ألا وهي المداومة على استعمال الآداب العلمية والعملية وكثرة الذكر وتطهير القلب من الشواغل الدنيوية لا يعني انه يترك العمل الدنيوي مهجوراً كلا ولكنه يعمل كل عمل دنيوي بنية صالحة تجعله مذرعة للآخرة وبذلك يكون متيقظاً ولا يكون كالبغل يكد ليأكل ويأكل ليكد ومن تحقق ما ذكرناه وتلقاه بقبول علم طريق المعرفة التي وصل اليها العارفون وتحقق ان الجاحدين ما تمكن الجحود من قلوبهم الا لان الله حرمهم ثمرة التوفيق والهداية وأشغلهم بالمعلومات التي فرحوا بها واطمئنوا اليها فصاروا عن آياته غافلين وبذلك تعلم علم اليقين انه لا يدخل ملكوت الرب الا من سار على جادة الطريق التي ذكرناها وبيناها باوضح بيان وتعلم ان من زعم ان الاله الحق هو الذي كان في بطن مريم ثم قتل وصلب ثم جاء يعبده لا فرق بينه وبين عابد الصنم والفيل وغير ذلك من الآلهة الباطلة ومن تخيل خلاف هذا فهو في ضلال مبين

وأما رابع الاشياء التي قررنا ان معرفتها تسهل طريق البحث لمن أراد أن يبحث على حقيقة هــذا البحث فهي معرفة المسيح من هو وكيف وجد

المعلوم الذي دعاه التشبه بالصورة الى علمه رابطة علاقة لولا هالم يتمكن من علم ذلك المعلوم لانه خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً ولا نريد بالعلم هنا الا معرفة الله لا المعلومات الأخر لان الانسان بل وغالب الحيوانات ربما علم المعلومات التي تدر عليه بإحاطة النظر والتجارب لانها اما محسوسات واما في حكم المحسوسات وأما ما نحن بصدده فليس بمحسوس ولا في حكم المحسوس فلا بد للوصول الى ادراكه بالذوق من سبيل ولا سبيل اليه الا وجود المناسبة ولا مناسبة بين العبد وربه الا النور الذي أشار اليه بقوله (ويجعل لكم نورا تمشون به) وبقوله (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وكذلك بقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وهل ينشرح الصدر الا بذلك النور

ثم لما كان وجود الحق في الاكوان التي هو نورها دقيق الخفاء لانها حجب كثيفة بينه وبين الانسان وشديد الظهور لانه لولا انه مع كل شيء أينما كان ذلك الشيء لما بقي شيء كما يشير اليه قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) فلذلك لم نجد له مثلا يضرب به الى الافهام الا وجود الاحساس في الانسان لانه دقيق الوجود اذا غاب الشخص عن احساسه بطروء الموانع الغالبة عليه وقوي الظهور ان زالت الموانع وتوفرت أسباب الظهور وما قصدنا بذلك تشبيه الحق سبحانه وتعالى بالحوادث ولكنه ضرب مثال لذوي الاذواق السليمة ليعلموا ان احتجاب الخلق عن الخالق لا بما هو عليه بل بما هم عليه لانه أقرب الى كل حي من حبل الوريد لولا وجود الحجب الشاغلة لأهل الشواغل فلذلك أمر الله عباده المؤمنين بكثرة الذكر لكيلا تشغلهم الشواغل الدنيوية عن يقظة الإنتباه لما يرد عليهم من واردات التعرف التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان لربكم في أيام دهركم نفحات

على أنه حادث الوجود على أي حالة يدعيها المدعي فلوقلنا أنه الكلمة وتجسدت نقول أنها صارت بشرًا فلا بد أن تجري عليها أحكام البشرية فكما أنها ولدت كالمواليد وعاشت كالاحياء وماتت كالاموات فكذلك تبعث وتحشر وتسئل عنها فعلت ومنكر هذا لا حظ له من الإنصاف والعقل لان المواطن لها حكم فيمن حل فيها سيامواطن البشرية الذي هو موقع الابتلاء ومرمي سهام الفضل والعدل وما كان لعاقل أن يحكم على المسيح بحال غير الزي الذي تزيا به بين بني جنسه ولقد ثبت في الانجيل السماوي أنه من جهة أمه من نسل داوود فهل لقائل أن يقول أنه مركب من نوعين مختلفين بعضه بشر و بعضه ملك أو لا بشر ولا ملك لا يكون ذلك ولو كان لما صادقت عليه العقول ولا وقع عند ذوي الالباب موقع القبول

إذًا فلا حاجة لإطالة البحث في هذا المبحث بعد ما تبين لكم من الحق ولكننا من طريق الايضاح نزيدكم بيانًا فنقول

ان حيرة المسيحيين في أمر المسيح عليه السلام دائرة بين أمرين الواحد أنه إله والثاني أنه ابن إله فأما الاول فقد أجمع عقلاء الامم المتدينون على أن دائرة الوجود لا تسع غير اثنين لا ثالث لهما أحدهما واجب الوجود لذاته وهو الواحد الذي سبق تعريفه وقد نادى بقوله (إنني أنا الله لا اله الا أنا) والثاني ممكن الوجود المتصف بالصفات التي سبق بيانها ولهذا لم نجد للمسيح طريقًا للالوهية لثبوت اتصافه بأوصاف الممكن كما تقدم ايضاحه وأما الثاني الذي هو وصف البنوّة فقد ثبت عند أرباب البصائر بطلانه لعلمهم أن وصف البنوّة لا يثبت الا لولد الصلب الذي يوجد من بين أب وأم وهذا أمر لا تتصور

وأين كان قبل وجوده وعن ذلك نقول

أجمعت الأمم ونطقت آيات الانجيل والقرآن وكل كتاب أن عيسى هو ابن مريم ولكنهم اختلفوا في معرفة أبيه فقال اليهود قولا وقالت النصارى قولا وجاء القرآن يصف حالهم بقوله (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) ثم بين خطئهم بقوله (كذلك قال الذين من قبلهم تشابهت قلوبهم) يريد في الجهل والخطاء ثم قال (قد بينا الآيات لقوم يعقلون) وهم الذين آمنوا بما نزل على محمد وذلك لان اليهود لو كانوا عقلاء لما رموا مريم بالبهتان بعد ما شهدوه من الآيات ولما قدموا على القذف بقولهم أنه ابن يوسف النجار وكذلك لو أن المسيحيين تعقلوا للالوهية معنى لما زعموا أنه إله وابن إله مع حدوثه ومشابهته للحوادث في جميع الشؤون البشرية فجاء القرآن فرقانا فاصلا بين الباطل والحق بقوله (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) فأشار بقوله وكلمته الى أنه ليس بولد الزنا بل هو كلمة الله التي يوجد بها الموجودات التي أشار اليها بقوله (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وأشار بقوله وروح منه الى أنه نفخ فيه من روحه كما نفخ في آدم فكذب الكل وبين الحق لقوم يعقلون هذا ما يختص بمعرفة المسيح من هو وأما كيفية وجوده فقد ذكرها القرآن وجاء بها الانجيل ولا يجهلها متدين بدين من الاديان وأما قولنا أين كان قبل وجوده فما قصدنا به الا ايقاف كل مسيحي على حقيقة حال المسيح عليه السلام لانه ما ورد في كتاب من الكتب السماوية أن المسيح كان في السماء عند أبيه قبل ولادته وما قال الله في الانجيل ولا في التوراة لعباده ان ولدي الذي كان معي مرسول اليكم بل جميع الآيات دالة

وعن جامع الاديان طي رشاده ... وإرشاده والاصل للفرع جامع
وعن كعبة الاسرار والكوكب الذي ... له كل من رام الهدى يتطلع
مدينــة علم صهره الحبر بابهـا ... ومن نسله تسري الينا المنـافع
وعن منــذر بارّ بنـا ومبشر ... يُري هديه في المهتدين ويُسمع
وعن من أتى يهدي بأقوم شرعة ... تناهى لهـا الارشاد نعم المشرع
وعن خير خلق الله والرسل كلهم ... وأكمل قطب تابعته التوابع
سـلوني عن الغيث الذي عم قطره ... وكم قد زهي من ذلك القطر يانع
سلوني عن المعروف في الارض والسما ... وما جهلته في الفيافي البلاقع
فما في الورى من جاهـل بفخاره ... سوى أحمق قد صدعته القواطع
سلوني عن السر المصون الذي سرى ... ففي كل شيء منه للسر موضع
ولكنكم غلف القلوب ذووا عما ... فما لكمو في ذلك السر مطمع
سلوني عن النور المبين وسرّه ... الى يومنا في محكم الذكر مودع
سـلوني واني لا أحيط بوصفه ... ولكنني للواصـفين أتابع
وغاية ما أدري واني لصـادق ... وما في كتاب الله للشك مخـدع
يقينا واذعانا وتصـديق مؤمن ... بأن سناه من سنا الرسـل أرفع
وأن الإله الحق جل جلاله ... لدى الحشر يرضيه اذا هو يشفع
فصدق وآمن أو فكذب فانمـا ... على قلب من يشنو النبيين طابع

يا هذا انما مثلكم في الخوض في عرض هذا النبي الكريم وفي البحث فيما جاء به الآن كمثل قوم استقبلوا سوقاً ليتجروا فيه أو يمتاروا قوتاً لينقلبوا الى أهلهم مسرورين فصادفهم في جهة ذلك السوق قصر قوي البنيان منيع الاركان كامل الزينة شائق المنظر قد تقادم عهده وتطاولت به طوال الازمان وهو

نسبته الى الله سبحانه وتعالى لعدم وجود المناسبة بين القـــديم والحادث وأما ان كانت البنوّة بمعنى التبني الذي هو الاصطفا فذاك أمر يشترك فيـه جميع الرسل الذين اصطفاهم الله وأما ان كانت الالوهيـة أو البنوّة بمعنى أنه الكلمة وتجسدت كما يقولون إذاً نقول لهم أين كانت الكلمة عند ما مات المسيح فان قالوا هي التي صلبت وماتت فقدأجازوا الموت على إله السموات والارض وان قالوا انها لم تمت فقد اعترفوا بأن عيسى ليس هو الكلمة وعلى كل حال فقـد تحقق من هـذا المبحث أنه عبد الله ورسوله ولكنه عبد صالح ورسول كريم اصطفاه الله تعالى وخلقه بالطريق التي جاء بها القرآن في قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن) وما كان قبل وجوده الا كما كان آدم قبل وجوده وان زعم المدعي أنه كان قديماً مع أبيه نقول انه ان صح ذلك لا يقال له ولد بل يسمى ضداً أو نداً وهما ممنوعان بطريق الاستحالة عقلاً وشرعاً إذاً فلا تكون البنوّة الا الاصطفائية كما قال عيسى لقومه لو كنتم أبناء الرب لأحببتموني يريد لو أن الله اصطفاكم كما اصطفاني لاتبعتموني واقد جئنا من البيان بما فيه الكفاية والله يقول الحق ويهدي السبيل

المبحث الثالث هل محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم رسول أم لا

وعن هذا أقول

سلوني عن البدر الذي جاء بالضحى ... وعن شمس رشد في دجا الزيغ تستطع
وعن روضة السرّ التي من ثمارها ... حليف الوفا عند الصفا يتضلع
وعن حجة الرحمن والرحمـة التي ... لها كم مزايا سرها يتنوع
وعن مرسل أدى الامانة حقها ... وجاء بتبليغ الرسالة يصـدع
وعن كامل كان الوقار شعاره ... وهيبته كانت لهـا الأسد تخضع

قال (لكم دينكم ولي دين) فلو أن الله علم فيهم خيراً لما أمر نبيه بذلك

فقال الرجل انما نريد أن نكون على بينة من الامر والله على كل شيء شهيد

فقلت يا هذا انما نحن الآن رجلان مرشد ومسترشد وواعظ وموعوظ وكلانا متبادل حال الآخر كلما تداولنا المحاورة والمناظرة فالمسترشد يلزمه ان يستصحب أربعة أحوال

الواحد أن يتخلى عن العلم والمعرفة لانه ان لم يستقبل النصائح بقلب خال لا يفيده الرشد شيئاً اذ القلوب كالاوعية متى كانت مملوءة لا تقبل ما يفرغ فيها سيما اذا كان ما وعته ضد ما يلقى اليها

الثاني ان يخلع نعلي الاصرار والانكار لانه ان لم يتجرد عنهما كان كالمصارع أو المتشاجر لا يرى أن يكون مغلوباً ولو زهقت نفسه فلا ميل له الى الخضوع ولا يجنح الى السلم حتي وان أحس من نفسه العجز

الثاني أن يتجرد من ملابس الغرور والطيش والاعجاب بنفسه حالاً ومقالاً لأنه وهو المغرور لا يرضى أن يكون في منزلة المتعلم بل يرى نفسه أنه هو المعلم الجليل

الرابع أن لا يجد من نفسه باعثاً الا التخلص من أوحال الشبه ومدارج الغلط في العلم والعمل لأنه ان كان ذا أغراض هوائية لا يركن قلبه الا الى ما يلائم طبعه ويوافق ما يهواه حتى وان كان كثير الضرر ظاهر الفساد فما علينا الآن الا أن نتجنب هذه القواطع التي تمنع السالك أن يصل الى مفاوز النجاة وتحول بين الباحث وبين ما قصد أن يهتدي اليه والله لا يهدي القوم الظالمين

وأما المرشد فيلزمه أربعة أحوال الواحد أن يكون متفقهاً فيما انتصب للارشاد اليه ولو بقدر ما يجيب السائل اذا سئل لانه ان كان جاهلاً كان

بساكنيه في أكمل بهجة وأبهج منظر ولم يزل مع مرور الازمان عليه مسكونًا واسع الرحاب مفتح الابواب يلجه الوفود ولا يسكنه الا كل كريم ودود

واذا بأولئك القوم وقوف حول ذلك القصر يتداولون الحديث ويتحاورون في شأنه وقد أهملوا أمر تجارتهم غافلين عما قصدوه وانبعثوا لاجله ساهين عن ما ينالهم من الحرمان اذا ما انفض ذلك السوق وما تناولوا منه شيئًا فمن قائل أن هــذا القصر غير صالح لان يسكن وأن القوم الذين أصبحوا له ساكنين لا ذوق لهم فالاولى لنــا أن نلقي اليهم أقوال النصحاء حتى يرحلوا عن ذلك القصر الذي لا يصلح لان يسكن ومن قائل انما نعيب بانيــه ونذكر لهم عنه بعض المساوي حتى اذا مقتوه رحلوا عن قصره وكرهوا مآثره ومن قائل نقبح لهم حال هذا القصر ونحسن لهم المساكن التي مكناها حتى يتبعونا اليها ومازال القوم في هرج ومرج وسكان ذلك القصر غير ملتفتين اليهم ولا صاغين لما هم فيه من الهوس ماقتين لهم ساخطين عليهم حتى انفض ذلك السوق وربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر وما رجع أولئك الحمقى الا بخزي الخيبة وكآبة الاسف لإهمال أمرهم وفوت مآربهم وحسرة خسارتهم لاشتغالهم بتقبيح ما لم يحيطوا بحاسنه علمًا وما ذلك الا من عمل المجانين وما ضر ببهجة ذلك القصر جنونهم ولا وصل الى رفيع مجــد ذلك المهندس بشيء من الأذى فتونهم ولكنهم استهوتهم الشياطين فظلموا أنفسهم وأصبحوا خاسرين

يا هذا هكذا هو مثلكم ومثل كل مشتغل بما لا يعنيه فان كان البحث فيما بيننا الآن لغاية مقصودة وعاقبة حسناء فما علينا من حرج في تدقيق النظر وتحقيق المحاورة وان كان لا غاية له الا ما أنتم عليه من العناد والاصرار فمالنا الا اتباع قوله تعالى لنبيه (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) الى أن

اذا شمت يوماً من فؤادك حيرة　　وضلت بك الاهواء في مسرح الفكر
وقادتك للإشراك خدعة زائغ　　تظاهر بالإغواء والزيغ والكفر
فخذ من كتاب الله ما شئت للهدى　　ففيه اشارات الرشاد الى الحشر
وسل عن معانيه أديباً مهذباً　　تجمل بالتقوى وحن الى الذكر
يوافيك بالمطلوب وعظاً وحكمة　　وتحظوا بأنوار الهداية والسر
واياك أن تقفوا من القوم عالماً　　تزيا بزي العجب والتيه والكبر
فذلك مخدوع تجاذ به القضا　　ليلقيه قهراً من جهنم في القعر
تراه كشيطان يريك هداية　　ولكنه الضال المؤسس للشر
ينادي الى دين التمدن جهرة　　بزخرف قول وهو ضرب من السحر
ويهجر ديناً جاء رهان هديه　　لقطع علاقات التباعد والهجر
وما الدين الا خشية وسكينة　　ومعرفة تنهي أخاها عن الفخر
وذكر وترتيل القراءة في الدجا　　وصوم وايتاء الزكاة لدى اليسر
كذاك أداء الفرض ما جاء وقته　　وحج واذعان الى النهي والأمر
ولو أن أهل الدين قاموا بحقه　　لما فارقتهم راية العز والنصر
ولكنهم لما تحلوا بإسمه　　وخانوا المسمى شابهوا صائغ التبر
يصوغ الذي لا يزدهي ببهائه　　سوى الغادة الحسناء مؤنسة الخدر
ولما تباهوا بالنفاق وبالريا　　وتاهوا غرورا بدلوا الدر بالبعر
فهم في الجفا أسرى جياع بطونهم　　وما همهم الا مدافعة العسر
وما الدين الا كالغريب بأرضهم　　أتى يبتغي نصرا فقوبل بالاسر
ولما حوته مظلمات قلوبهم　　وما عززوه كان كالماء في الجمر
فلا تقتفي إثر الذين تسارعوا　　الى النار واستخرج هواك من الصدر

ضره أكثر من نفعه الثاني أن يكون من الذين لا يخافون في الحق لومة لائم لأنه ان كان ممن تلويهم عن الانتصار للحق شذرة ناظر أو برمة شارب كان من المنافقين ولا يجوز الاقتداء بالمنافق الثالث أن يكون محسناً للإلقاء فيما يلقيه من النصائح خبيرا بمواقع النصح والا كان كثير الاضلال من حيث لا يشعر كما تراه الآن من حال كثير من محرري الصحف الذين يدعون العلم والمعرفة وكثرة الاطلاع فقد أفسدوا عقائد العوام بما دونوا في صحفهم من زخرف القول الذي كان إثمه أكبر من نفعه وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

الرابع أن يتابع بمقوله المنقول عن أنقياء الأمم خالياً عن التمويهات الفلسفية والا كان شيطاناً فان جنحت الى ما قلناه فاوضناك الحديث وجاذبناك أطراف المحاربة حتى تنجلي الحقائق وتسيل أودية المناظرة بما تمطره سحب القرائح فيحتمل السيل زبدا رابياً من الحكمة والموعظة الحسنة فأما ما ينفع الناس فيمكث في أرض القلوب وأما الآخر فيذهب جفاء والله على ما نقول وكيل

فقال الرجل يا جنبيهي لقد قيدت العقائد بقيود ثقيلة واستجلبت شوارد الافكار بمغناطيس الحكمة وأوقفت جياد الجدل في ميدان الحيرة وسلكت بالعقول مسلكا حرجاً وصيرت حالنا معك كحال القائل

يا من تملك مهجتي ترضى لعبدك أن يموت
مالي اليك وسيلة غير التطلع والسكوت

فهاك فاسترسل أيها المرشد في سبيلك . وأقم على ما تلقيه الينا قويم برهانك . وواضح دليلك . ومتى تبين لنا الحق اتبعناك . والا أهملناك . بل ربما أهنّاك . فناديته قائلا

نهتدي الى الحق

فقال لقد نقلت الينا الأنباء المتواترة عنهم بما جاؤا به من الآيات البينات الدالة على صدقهم وانتشرت الصحف المشحونة بآثارهم وها هي الكتب السماوية ناطقة بما نحن عليه من الاعتقاد والتمسك القوي وما كان لنا أن نكذب ما تداولته أسلافنا وتناولوه صادقا عن صادق حتى وصل الينا

فقلت له يا هذا أنا لا أسئلك الآن الاستدلال بالكتب السماوية فإنا نعلم علم اليقين أن حكمها واحد في التواتر والنقل أعني أن من يصدق بالانجيل والتوراة ملزم بأن يصدق بالقرآن ومن يكذب القرآن فليس له حق في تصديق ما قبله لانه لا دليل على صحة الكل الاصحة النقل والتواتر والقرآن أصح نقلا وأصدق تواترا وأقوم قيلا فجنبنا الآن هذه الخطة حتى يتميز الحق من الباطل فاني انما استرشدتك في الايمان بالرسل وبعيسى كيف كان ثبوته عندكم وكيف صدقتم أنه رفع الى السما وما أقام لكم على ذلك برهانا فان قلتم ان القوم الذين اتبعوه هم الذين نقلوا لكم هذا الحديث الذي شاهدوه بأعينهم نقول ان الذين انكروه كانوا أكثر عددا وأقوى مددا فلماذا كذبتم العدد الكثير وصدقتم القليل وربما كان هذا العدد القليل من أعوان عيسى الذين شاركوه في استعمال السحر لغرض من الاغراض كما تدعونه في محمد ومن اتبعوه بل ربما قام عفريت من الجن في صورة عيسى وأرى الافراد القليلين ممن اتبعوه أنه صاعد الى السما كما تفعل الشياطين في مواضع القتلى في اعتقاد العوام فهل من دليل قاطع يثبت صعوده الى السماء فاننا الآن مع ما تدعونه من تكذيب القرآن وجحود رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قد غلب على قلوبنا الشك في أمر المسيح ورفعه الى السماء ونزوله للحواريين كما زعمتم فمن علم منكم كيفية رفعه هل كان راكبا أو

والا فلا تعتب عليَّ لدي اللقــا ... اذا قلت هذا كان أقسي من الصخر
وناصحته فاستبدل النور بالعمي ... وصافيته فاستأصل الشكر بالمكر
خذوه فغلوه وصلوه في لظى ... فما للذي عادي النبيين من عذر
فيقضي بما قلت الذي هو شاهد ... علينا بهذا المشهد القاصم الظهر
فتب من قريب واقبل النصح انما ... على كتفيك الثقل يا محمل الوزر
أطعني فمالي في إعتدالك بغية ... سوى ما يرجي المرشدون من الاجر

ثم قالت يا هذا ناشدتك الله الا ما أجبتني بما تعلمه من حال أمتك مما أسترشدك اليه وفيما أنت عليه معهم من الاعتقاد في أمر دينكم ان كنت ممن يركن الى قولهم ويعتمد على صدقهم والا أخجلك الحق وذهب صادع الصدق تجاه وجهك ولن تجد لك على ما تدعيه نصيراً وانهــا لشهادة فلا تكتمها ومن يكتمها فانه آثم قلبه

فقال سل ما شئت تجدني عدلا مرضياً

فقالت لم آمنتم بعيسى عليه السلام على أى اعتقاد أنتم عليه في ايمانكم به وبالرسل قبله وما رأيتم منهم من أحد ولا شاهدتم لهم أعمالا ولا أحوالا ولا سمعتم منهم أقوالا ولا أدركتم الخيار من أتباعهم الذين ربما كانت تلجئكم محاسن شيمهم ومكارم أخلاقهم الى الركون الى تصديقهم ومتابعتهم في الايمان بأولئك الرسل وكيف صدقتم رفع عيسى عليه السلام الى السماء بعد قتله وصلبه ووضعه في القبر الذى ما زال مزاراً الى الآن مع أن هذا أمر خارق للمادة يحتاج التصديق به الى أدلة قوية و براهين قاطعة فبالله عليك الا ما أصدقتني الحــديث ولا تستشهد بالقرآن الآن ولا بمن أنزل عليه القرآن فانكم قد أجمعتم على أن القرآن من عند غير الله وأنكرتم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فجنبهما الآن ناحية حتى

وبراهين الايمان ألا وهي صحة النقل وصدق التواتر علي أن أنباء محمد صلى الله عليه وسلم أصدق الانباء وأقومها كما هو معلوم ومشاهد لان كل حديث نقل عنه ما نقل الا مسلسلا عن ثقاة أخيار وبررة أطهار يا هذا

لا تسلم النفس للاهواء تتلفها   فما لها غير هذا الداء من تلف
وما هـلاك الفتى الا تطوعه   للجاهلين من الآباء والسلف
فخلص النفس من شر الضلال فقد   أصبحت في وجه دين الله كالكلف

يا هذا ان الله تبارك وتعالى ما أرسل الرسل متخاصمين ولا متفاخرين ولا لتكون كل أمة مضادة لاختها ناقمة عليها في متابعة رسولها الذي أرسل اليها ولكنه بعثهم رحمة لعباده ليرشدوهم طريق النجاه وسبل السلامة لعلمه أن الانسان كباقي الحيوانات تتجاذبه شهواته الضرورية لحفظ حياته فبعث له من يرشده الى طرق الاعتدال في تناول ما يلزمه من تلك الشهوات واتخاذها بالطريق التي تكون بها ضرورياته متوفرة لديه لكيلا يشغله التفريط أو الافراط عما خلق لاجله وهو القيام بواجبات العبودية وآداء حقوق الربوبية ليكون في كونه ووجوده شفعاً لوترية الأحدية التي أحبت أن تعرف فأوجدته ليعرفها بمعنى أنه يكون محط نظرها من هذا الوجود الصوري وموقع العدل والفضل منها اذ القوي لا يعرف بالقوة الا اذا كان في مقابلته الضعيف وهكذا القادر والغني والعزيز لا بد أن يشهد عاجز قوته وفقير غناه وذليل عزته فيكون في الوجود إله ومألوه ورب ومربوب فلما كان ما كان منا تراه من صنع القدرة العلية اقتضت الحكمة الالهية إرسال الرسل بما أرسلوا به ليتميز فريق العدل من الفريق الذين اكتنفهم الفضل فما كان إذاً لأمة آمنت برسول أن تجحد رسالة غيره مع علمها بأن الإله الذي له ملك السموات والارض لا حجر عليه

طائراً وكيف وصل الى السماء ومن الذي شاهده وحبس بصره على رؤيته حتى تمكن من مشاهدة وصوله الى السماء فليأتنا ببرهان مبين

فقال الرجل يا جنبيهي أوليس النقل المتواتر بحجة على سامعه ان غدا جاحداً له متى صح التواتر وثبت صدق الناقلين فقلت يا هذا وبأي حال يثبت صدق الناقلين عند السامعين فقال بطهارة أخلاق الناقلين وتمسكهم بمناسك الدين الذي تدينوا به فقلت ان اليهود الذين كانوا في زمن عيسى وأنكروا كما ادعاه قومكم كانوا متمسكين بشريعة كليم الله موسى عليه السلام عاملين بفرائضها متأدبين بآدابها وما أشركوا مع الله الهاً آخر كما فعلتم وانهم الى الآن لقائمون بما يجب عليهم من أمر دينهم وانهم لأقل منكم ضرراً وأضعف منكم شروراً فلماذا كذبتموهم مع كثرتهم وصدقتم القليل من أمتكم أفلا يعلم الجاحدون منكم أمر محمد صلى الله عليه وسلم والمكذبون لكتابه أن اليهود لو أتاهم عيسى بآيات بينات كما كان موسى لاتبعوه ولولا أنهم علموا أنه كان كاهناً أو ساحرا لما صلبوه ولا قتلوه اذ لا يتجارى عبد من عبيد الله على إيذاء رسول الله الا اذا ثبت عنده كذبه وتحقق أنه ليس برسول اذاً فأنت الآن بين أمرين اما أن تعترف بثبوت تعصب كل أمة لرسولها شعبة فيه وبغضاً لغيره فيكون ما تفعلونه بمحمد هو الذي فعلته اليهود بعيسى وفعله فرعون وقومه بموسى ويكون تكذيبكم لمحمد وآياته وقرآنه مجرد افتراء وطغيان واعتداء وتعصب كما كان عمل اليهود واما أن يغلب عليك الاصرار والجحود فتكون ملزماً باقناع اليهود بأمر عيسى الذي جحدوه وأنكروه حتى الان فان صدقوك وأذعنوا لعيسى صدقناكم والا فأنتم الظالمون اذ لا ينبغي أن نترك عيسى مضغة في أفواه اليهود ونقوم باحثاً في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما نحن وأنتم الآن الا سواء في أدلة التصديق

أنكرتم حالنا أنكرنا حالكم بما تنكرون به علينا كما سبق ايضاحه وان أقررتمونا على مانحن عليه أقررناكم غير انا نطالبكم بان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسجدوا لغيره وأن لا تخالفوا أوامره فان أطعتم وفعلتم ذلك كنا على دين واحد ولكن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب

يا هذا ان من غرائب الصدف وعجائب أعمال القدر في هذا الزمن الذي ظهرت فيه أشراط الساعه أن رجلا ممن عرفوا بين الناس بالصدق وحسن الطوية ألجأته الحاجة ذات يوم الى ان يكون في مكان قريب من مواطن اللهو بجانب قهوة أعدت لتعاطي المخدرات واذا برجلين يتسامران مسامرة الندمان فلما طرقت سمعه فكاهتهما ركن اليهما قليلا لعله ان يأتي من سبإ بنبإ يقين واذا بأحدهما يناجي صاحبه بقوله إياك ان يقع عندك مما يقال لك من شؤون أهل هذا الزمن شيءٌ موقع الاستغراب فانه زمن العجائب وعصر الفتن ومظهر السفهاء ومرقى الاسافل وانه لعصر انتقل بكثير من أفراد النوع الانساني الى طور أخرجهم من دائرة الوقار والأدب الى فضاء السفه والسفالة وهتك الحرم وفحش القول وقبيح العمل حتى صار الكل على أخلاق كأخلاق الشياطين فلا ترى منهم الا شره الكلب وحرص الغراب ووقاحة القرد وغباوة الدب وجرأة النمر وتحايل الثعلب واعجاب الطاووس وحماقة الحمير فقال له صاحبه لقد أشعلت قلبي نارا وأشغلت بالي انتظارا الى ذكر الاسباب التي دعتك الى ازدراء أبناء جنسك الى هذا الحد فعجل باطفاء هذا اللهيب بذكر الاثر ونقل ذلك الخبر فقال له أيها الصديق

• حكي ان امرأة من المومسات يقال أنها كانت من بنات الامراء تربت بين تلميذات المدارس الشامية فأحاطت ببعض الفنون علماً وكان أهلها مسلمون

في أن يختص برحمته من يشاء وأن يفعل في ملكه ما يريد فكان الأولى لكم أن لا تجولوا في ميادين الزيغ وأن لا تتخذوا اسائة الأدب دينا وأن لا تخوضوا مع الخائضين فيما ليس لكم به علم ولكن الله سبحانه وتعالى من تمام صنعه وكمال قدرته جعل الإختلاف بين الأمم في العوائد والعقائد والاخلاق والألسن والألوان وغير ذلك من كمال النظام وانه لمن أساس القواعد الإبداعية فلذلك ألجأتكم قوابلكم واستعداداتكم لمتابعة أهل الزيغ منكم ومحاذات الفلاسفة في هدم الروابط الدينية التي هي أقوم طريق يسلكها الانسان لنيل الاعتدال والاستقامة فكان حالكم كحال الشيطان في وعدكم الكاذب اذ تقولون أن من آمن بالمسيح وقرأ الانجيل دخل ملكوت الرب وهكذا حكي الله عن الشيطان بقوله (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا)

يا هذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم بآيات من ربه بينات تتلى في القرآن ويشهد بصدقها العقلاء الذين تداولوها نقلا وعقلا كما تداولتم أنباء عيسى وما جاء محمد الا للغرض الذي أرسلت لاجله الرسل وقد سبق بيانه فأنكرتم حاله كما أنكرت اليهود حال عيسى عليه السلام فلعنتم كما لعنوا ولكنكم أسوأ منهم حالا لأنهم ما أشركوا بالله شيئا ولكنهم كذبوا رسوله وأما أنتم فكذبتم رسوله بإنكار رسالته وكذبتم كتاب الله الذي جاء به عيسى مبشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ولقد قام دين محمد صلى الله عليه وسلم الى الان بأقوم ما قام به كل دين من الاديان السماوية وسطعت أنوار شريعته وسرت في الوجود أسرارها قولا وعملا وحالا وما نحن الآن وأنتم في التصديق بالرسولين الا على حد سواء بمعنى أن الطريق التي آمنتم بعيسى بها وهي طريق النقل والتواتر هي التي آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم منها فان

فلا بأس عليك في التوبة على أيديهم قالت وهل لمسلمة أو مسلم ان يتوب على يد من يخالف دينه وكيف لنا ان نسلك سبيل النصارى ونترك الدين الذي هو أقوم دين وأشرف ملة فقال لها انما الأديان طريق اصلاح لا حرج على المتدين بأيها تدين اذا علم ان فيه صلاح حاله ومعيشته الدنيوية وهذا ما عليه جمهور الفلاسفة العقلاء فلا ترغبين عن طريقتهم فانهم اكمل الناس عقلاً وأفضلهم فعلاً وما زال يزين لها ذلك الشيطان ما أراده منها حتى مالت لقوله كما يميل البسطاء الى زخارف أقوال أهل هذه الطائفة الماكرة فانطلقا حتى اذا أتيا معبد النصارى ألقت خطاياها على عاتق قسيس واستفتاه الفيلسوف في جواز بقائها معه على عهود المحبة فاجاز لهما ذلك بشرط ان لا تعود الى دينها الاول وان تكون عوناً لهم في نشر أعلام الدين المسيحي وأن لا تخالط من المسلمين إلا حكماء الفلاسفة ولا تطالع الا ما دونوه في كتبهم فقبلت الخاطئة تلك المعاهدة ولكنها أحدثت في قلبها شكا من أمرها لما تيقنته من فساد حال ذلك الفيلسوف الذي كانت تظنه مسلماً ثم رأت ميله الى مصاحبتها على تلك الشروط وما سمعت من أحدهما وصايا يركن اليها التائب ليسلك بها سبيل الاستقامة ولا نهياً عن ارتكاب أمور توقعه في مصارع التهلكة فأيقنت ان الطريق التي سلكها ذلك الفيلسوف ما هي الا طريق تعيش دنيوي ليست من الدين في شيء وعلمت انه ما مال الى أولئك القسس الا لأنهم لا رابطة لهم دينية تلزمهم طريق الاعتدال والاستقامة ولكنها رأت ان لا تبادر رفيقها بما يرده عن دينه حتى تعلم حقيقة حاله فلما رجعت الى بيتها وذلك الفاسق يصحبها سألته عن قواعد الدين المسيحي وفرائضه القولية والعملية وكيف يتدين به المتدين وما هي النسك

ولكنها ما تعلمت من أمور دينها شيئاً وقد جعلتها الاقــدار مطمح أنظار الزناة أعواماً فأحرزت من فكاهات الاحاديث ونوادر الاخبار ما كانت تستميل به قلوب الادباء الى مسامرتها حتى غلب عليها الابتذال وتزايد بها التواجد الى أن صار وجداً ألجأها الى التهتك وجرى بها القدر الى حيث شاء الله وقد كان من أخدانها شاب فيلسوف كان يهواها وتهواه وتظن أنه من المسلمين فاتفق ذات ليلة أن خلا بهما المكان وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث حتى جال بها التذكار في مجال الاستبصار فاستحضر الفكر منها مبادىء الحياة وما كانت فيه من فراغ البال والعيش الرغد وقامت تطابق بين ذلك الزمن وبين ما هي عليه في حينها وقتئذ فكانت كما قيل جاءت الفكرة وذهبت السكرة فاذا هي قد أفاقت من غفلة واستيقظت من رقدة فكأن مزعجاً أزعجها فما وجدت من كربتها مهرباً الا الى المتاب فبعد ما بكت طويلا سئلت ذلك الشاب كيف يكون المتاب فشق عليه ذلك الامر خوف التفرق وأخذ في أسباب الخديعة والمكر ليلوي عنانها الى طريق لا يخرجها عن طاعته ولكنه خشي أن يواجهها بالممانعة والمدافعة فتعصاه الى ما اشتدت فيه رغبتها فقال لها أيتها السيدة نعم ما فعلت واني لا أرى حالا أجمل بمثلك من توبة نصوح يعقبها وقار واحتشام وبودّي لو أصبحت بينك وبين الله وصلة تعرف وجميل خدمة تكون سبباً للتحلي بحــلى الكمال وما زال يداهنها حتى تمكن من قلبها وتيقن انها لا ترى فوق نصيحته نصحاً ثم قال لها ايتها الحبيبة اني ارى ان طريق المتاب في الدين الاسلامي وعرة المسالك حرجة المجال بعيدة المفاوز كثيرة العقبات وانها لشاقة على امثالك فقالت وهل من سبيل أهون على التائب من تلك الطريق قال نعم ان الدين المسيحي يكفي في قبول المتاب فيه مجرد الاعتراف أمام القسيس وانهم لقوم يحملون الخطايا في الحال

قد نلت الولادة الثانية فقالت وما هي الولادة الثانية قال ايمانك بالمسيح وقراءة الانجيل هو الولادة الثانية لانك تكوني قدخرجت من الدنيا ودخلتي ملكوت الرب قالت وكيف يكون حال الذي يدخل ملكوت الرب قال يكون كما كنا قالت وأي حال أنتم عليه قال نبشر بالمسيح وندعوا الناس الي دينه قالت ألا هل من كرامة تكون على أيديكم من خوارق العادات تمتازون بها عن غيركم فخجل ذلك القسيس وقال لها أحب ان تأتيني في يوم غيرهذا فان لي ضروريات الآن تشغلني عن التطويل في الجلوس والكلام ثم تركها وانصرف فارتابت المرأة في أمرها ورجعت الى بيتها وقد غلب على عقلها العود الى ما كانت عليه غير انها استحسنت التثبت والاناءة حتى تنظرما كان عليه آباؤها الاقدمون فلما أتاها ذلك الفيلسوف المارق الماكر لاطفته في الخطاب حتى اطمأن اليها وسألته ان يأتيها بعالم من علماء المسلمين لتسأله عن أشياء في أمر دينها فغاب غير قليل ثم جاء برجل من أرباب الوجاهة والجاه فحيته بتحيات القدوم ثم سألته عما يكون به صلاح أحوال التائبين الذين يخافون عاقبة ما اقترفوه من الذنوب فقال لها متى عزمت على عدم العود الى ما كنت عليه واتبعت الاوامر واجتنبت المناهي وآمنت بالله ورسوله كنت من الناجين قالت ألا هل من حال يتميز به العامل اذا اتفقوا على عمل واحد فقال لها ان الاحوال لا تتميز الا يوم القيامة لان الله هو الخبير بعباده فعلمت المرأة ان الرجل قصير الحجة وقد بطأ به عمله وأيقنت ان الاتيان بمثل هذا اليها خدعة فليسوفية فصرفتهما باحترام وبشاشة ثم رجعت الى مضجعها متوجعة متضجرة وقضت يومها وليلتها في عناء شديد وحيرة مدهشة • ومكثت على ذلك أياماً واذا بذلك الفيلسوف ذات يوم يطرق الباب ومعه أوراق اكتتبها ثم جاء ليمليها لها قالت ماهذه الاوراق قال اني درست الدين

والشعائر التي يتمسك المتقون بها فقال لها ان هذه شؤون يسأل عنها القسس والرهبان قالت وبأي شيء تمسكت أنت في طريقك التي أنت عليها فقال إنا لا نرى طريقاً يسلكها الانسان أفضل من كف الأذى عن الناس والسعي في مصالح أبناء جنسه والإتيان بما فيه المنفعة العامة للأمة فقالت هكذا كنت أنا قبل متابي إذ كنت لا آنال أحداً بمكروه وكنت أدفع عن كل أعزب حرارة شهوته ولا أخاطب الناس الا بكل رفق ولا أحب لهم إلا الغنى والأمن إذاً فرجوعي الى ما كنت عليــه أقوم لطريق الاعتدال ثم قالت أوليس في الامة من هم مكلفون بالنظر في مصالح أفرادها كولاة الامور المنوطين بذلك العمل وهل أنت الا فرد من أفراد الامة الذين تكفلهم سلطة أولي الضبط والربط وهل اذا كان كل فرد من أفراد الامم مكلف بما تقول فــما هي ثمرة الشريعة وما هو عمل السياسة فالعقل النير يرى ان كل طائفة من طوائف الامة مكلفة بعمل مخصوص بها ولا عمل للعلماء الا تعليم الروابط الدينية ولا عمل المتدينين الا التمسك بتلك الروابط واني على يقين من انها لا تشغل العمال عن أعمالهم كائنة ما كانت ولا بد لي من معرفة تلك الروابط حتى يحسن باستعمالها متابي فسألها الفيلسوف إمهاله الى يوم آخر وخرج الى قضاء مصلحته المعاشية وأما تلك الخاطئة فقد اغتنمت فرصة مغيبه وذهبت الى ذلك القسيس منفردة لتسأله عما حاك في صدرها فقال لها لا تخافي غائلة عقاب على ما كنت عليه من الخطايا ولا ما يكون منك بعد فانك متى آمنت بالمسيح وقرأت الانجيل تدخلي ملكوت الرب و يكون لك عند المسيح المنزلة الرفيعة وانه لهو الذي يدين الخلائق يوم القيامة فلا تخافي بأساً ولا رهقاً فقالت ألا هل من خدمة له أو عبادة أعملها فقال لها اذا حضرت الصلاة معنا وصمت الصيام الكبير وسجدت للصليب فقد قمت بالواجب للمسيح وأبيه وتكون

(ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد) الرابعة قوله تعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون) الخامسة قوله تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين) السادسة قوله (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) ثم أخذ ذلك الفيلسوف يفسر هذه الآيات ببعض ما فسرها به المفسرون وكلما جاء بتفسير أحدهم أعقبه بملاحظة مقترحة له من قبيل السفسطة ثم جاء بعد ذلك باقوال الملحدين الذين زعموا ان القرآن ليس من عند الله وقام يعضدهم بتمويهاته الفلسفية ويدافع عنهم بانتقاد المفسرين بدعوى ان القرآن فيه اختلاف كثير وتكرار ولحن وكلام زائد كما سيأتي بيانه ثم قال لذلك الرجل الصالح ان أول باب من الابواب هو هذا الباب الذي يثبت ان نبيكم ما جاء بمعجزة وان القرآن ليس بمعجزة كما تزعمون فهل لك قدرة على غلق هذا الباب ببرهان قاطع أو حجة صادقة أو دعوى صحيحة حتى تكون قد قمت بما يجب عليك من الانتصار لدينك

فقال ذلك الرجل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد أخذ منه الغضب مأخذاً عظيماً ثم ناداه يا هذا أما تصديك لمارضة ما لم تحط به علماً فذلك دأب كل سفيه جهول وأما استدلالك على نفي أمر ثابت بما ثبت به ذلك الامر فهو من باب المغالطة التي لا تصدر الا عن غبي ذي جرأة وإقدام على مالا قدم له في مجاله وسنكشف لك عن جهلك الحجب التي ألقاها الغرور على عين بصيرتك حتى يتبين لك الحق فتكون من النادمين ثم أنشده قائلاً

حذار حذار يا رأس الخطايا ومن دهمته داهية الرزايا
غدوت وقد أتيت بكل نقص كأنك حامل تلك البلايا

الاسلامي والدين المسيحي وقارنت بينهما فوجدت ان دين النصارى أصدق أنباً من دين المسلمين فلذلك جئت بهـذه الاوراق راجياً بعد الاطلاع عليها ان تتطوعي المسيح بنشرها مطبوعة على نفقاتك قالت أو تجعلها كتاباً قال نعم قالت و بماذا تسميه قال منار الحق قالت ان لكل مسمى من اسمه لنصيب ألم ترى يا هذا ان المنار ان كان نكرة وحذفت ميمه كان ناراً وان كان معرفاً بالالف واللام كان نصفه ألماً والآخر ناراً فسمه باسم غير هذا الاسم المشؤوم قال لها انا معاشر الفلاسفة لا نلاحظ تلك الملاحظات قالت وهل تضع اسمك عليه عند الطبع قال لا لاني لا قدرة لى على التظاهر بهجر الدين الاسلامي لما في ذلك من انتهاك حرمتي قالت إذاً فلابد من عرضه على مسامع أحد المتدينين بالدين الاسلامي حتى اذا رأيتك صائباً في مانظرته نشرته والا فلا ثم أخذت الاوراق من يده وسألته العود اليها بعد ثلاثة أيام فلما أتاها وجد عندها رجلا يرى عليه أثر التقوى ونور العبادة فأحضرت الاوراق وقالت لتكن الحال بينكما مناظرة لا مكابرة ومحاورة لا محاصرة والحق أحق ان يتبع فتناول الرجل الصالح الاوراق فوجدها مؤلفة من ستة أبواب وخاتمة فاخذا في المباحثة والمناقشة والمرأة صاغية واعية قال ذلك الفيلسوف المصلح

أيها المقلد انكم لتزعمون ان محمداً رسول الله ولكنكم ما أثبتم رسالته بوجه من الوجوه لانكم لا تستدلون على ثبوتها الا بالقرآن وقد صرح القرآن بانه لم يأت بآية قط وهذه ست آيات منه تصرح بذلك الاولى (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون) الثانية قوله (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هـذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) الثالثة قوله تعالى

الجدل والتهور في المكابرة بغير علم ولا كتاب منير وماذلك إلا لسابقه الشقاء المحتم ياهذا أما قولك في هذا الباب إن عثمان رضي الله عنه قال ان في القرآن لحنا وستقومه العرب بألسنتهم فذلك يتنازعه احتمالان الصدق والكذب فإن حكمنا بصدقه يكون اللحن الذي سمعه عثمان هو من أفواه الرواة عند تناوله من بعضهم وما أثبتوه الا مصححاً مقوماً لان بعض الرواة ربما كان ثقياً يوثق به ولكنه غير فصيح المنطق وغير فقيه في لغته ولا يتصور العقلاء معنى من كلام عثمان رضي الله عنه غير ذلك لانه لو كان فيه لحن وأثبته عثمان كما هو لكان لم يزل موجودا في المصاحف الى الآن وها هي المصاحف والقرآن فمن علم فيه لحناً فليأت به وان قال قائل ان العرب قد قوموه بعد عثمان فليذكر أسماء المقومين وفى أي زمن كانوا وإما ان يكون الخبر المنقول عن عثمان منقولا كباقي الانباء التي تقولها أهل التواريخ من الفلاسفة لإيقاع الشكوك في قلوب المؤمنين فيكون ساقط الاعتبار غير مستحق لان يصغى اليه وأما الاستدلال بقول الله تعالى ان هذان لساحران بدعوى انها لحن فهذا أمر غير معقول لان قواعد النحو التي أسسها النحويون ما كانت الا بشواهد من القرآن ولولا وجود القرآن ما تأسست تلك القواعد النحوية وما كان منزل القرآن إلا مؤسس جميع اللغات على اختلاف أنواعها وهو الله جل شأنه وتقدست أسماؤه فلو انه خفض المرفوع ونصب المخفوض لاتبعه كل نحوي ولقد تكلم المفسرون على هذه الآية وعلى كل متشابه في القرآن بما فيه الكفاية لكل مسترشد وما كانوا ملزومين بإقناع المنكرين المتعصبين المجتمعين على الكفر بعد قول الله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

• ولو فرضنا المستحيل وقلنا كما زعمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بالقرآن من عنده فهل يتصور عاقل ان صاحب هذا الكلام الذي هو بإزالة

ومثلك للجحيم يجيء طوعاً كما تغدوا لمذبحها الضحايا
ومثلك من بما اكتسبت يداه تعود عليــه سيئة النوايا
ومثلك يا فتى يسود وجهاً اذا وافته طارقة المنايا
عجيب ذا التقابل إذ تمادي شرار زماننا خير البرايا
فأين البعر من زهر الدراري ألا هل تشبه الجمل الحوايا
فما لك يا نهاية كل عيب والقطب الذي حاز المزايا
رويدك يا غلام أأنت أعمى لسوق المقت تضطهد المطايا
غدوت وللحماقة فيك حكم ومن غايته صفوته تقايا
أتنكر فضل شمس في علاها بهاء ضيائها ملأ الزوايا
تربص يوم يؤخذ بالنواصي هنالك لا فداء ولا هدايا
فيومئذ تكون بلا لسان كذي خرس يصيح هياهيايا
ويومئذ ترى كرباً شديداً ولا ملك هناك ولا رعايا
وللدين التحكم في التقاضي فيا فوز الذي سمع الوصايا
ويومئذ ترى عيسى وموسى وكل الرسل قد لزموا الزوايا
وأحمد تحت ساق العرش يدعوا ويسأل ربه فصل القضايا
هنالك ترى العروس وهل عروس سوى من فضله عم البرايا
ومن اذ يعتري الشفعاء خوف هو ابن سنا وطلاع الثنايا
كفاك الخزي يومئذ عقاباً ومثلك كم نرى منكم خزايا
منارك في يسارك شر قاض يجزيك عنــد علام الخفايا
فتب وارجع لربك من قريب فأهل النار هم أهل الخطايا

ثم قال له يا هــذا ان فنون الجنون ألجأت السفهاء الآن الى التوسع في

ان كتاب الله الذي نزل على محمد دائم التنزل حتى الآن من طريق الوراثة المحمدية بمعنى ان كل طاهر تقي من أرباب البصائر وأهـل الانفاس كلما تلا القرآن أو آيات منه تنزل عليه رقائق اشارات في كل تلاوة لم يكن ذاقها في التلاوة قبلها وهذا معنى قوله تعالى (لا يمسه الا المطهرون) يريد أنه لا يدرك رقائق اشاراته الذوقية الا الذين تطهرت قلوبهم من الشواغل وتنورت بصائرهم وذلك من طريق الوراثة للورثة الذين سبق بيان حالهم قبل وهكذا كان حال محمد صلى الله عليه وسلم في كل تلاوة اذ قال الله تبارك وتعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) فكان يتنزل عليـه بالقراآت التي ضبطها عنه القراء وما عابه عائب من عهد نزوله حتى وصل الى أشرار سفهاء هذا الزمن فاحدثوا له عيوباً ماعقلوها أرأيت يا هـذا ان قلت لرجل من الناس أتاني زيد يوم كذا مثلاً ثم قلت لآخر إخباراً عن ذلك الآتي جاءني زيد وبيده عصاً وأخبرت آخر بان زيداً أتاك بغير ميعاد هل يكون في تلك الاخبار اختلاف أو تناقض معيب (كلا) ولكن كثيراً من الجهلاء لا يفقهون إذاً فلا يعاب القرآن بتنزله تارة بواضح بيان كقوله كأنها الحجارة وتارة يحذفها لاختلاف افهام السامعين وافنانهم وهل يقول قائل أوتي نصيباً من العقل بان هـذا الذي ذكرته اختلاف الا لمويه أو سفسطة أو تحامل منتقد غشوم غليظ القلب لا يخشى ملاماً ولا يعقل كلاماً يا هذا ان كل ما ذكرته في هذا الباب من الزيادة والنقص على زعمك ومن تبديل التركيب ومن التكرار اللفظي والتكرار المعنوي الذي أعددته عيباً ما كان منك الا عن قصر باع في الفهم وسبق يراع وضعف يقين ومروق من الدين وذلك لانك لو عقلت عن الله ما تعقله أرباب البصائر لعلمت ان تكرار قوله

سلطان الكلام وأميرها تخفى عليه عيوب في أقواله بعد استمرار تلاوة ذلك الكلام منه وممن كانوا يسمعون التلاوة في محافل أصحابه ثم يتفطن لها من بعده أغبياء الأمم وسفهاء المتشدقين أظن ان ذلك بعيد عن التصور ومتى تحققنا ان اللحن ليس أصليا في القرآن فلا يضر بصحته طروء شئ عليه بعد موت من أنزل عليه ان قلنا انه من الله كما هو الواقع أو موت قائله ان كان محمد هو صاحبه إذاً فلا وجه للملحدين فيما تقولوه اذا كان التصور لا يقبله اذ لو كان في القرآن لحناً لظهر قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم وقامت به حجج المنكرين الذين كانوا يتربصون به كل معيب ولقد سمعته الانس والجن من فم من أنزل على قلبه ولسانه وما عابه عائب وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد اذاً فدعوى اللحن باطلة لا نظر اليها

وأما دعوى الاختلاف فما أضرت الا بأهل الكتاب وأما المسلمون فقد علموا طريقه ومنشئه كما سنبينه أما ضرر تلك الدعوى بأهـــل الكتاب فذلك لانهم متى اعتبروا ان اختلاف الالفاظ مـــع اتحاد المعنى أو اختلاف المعنى واللفظ مخلاً بصدق التنزيل ومسقطاً لاعتبار أحكامه فقد أخلوا بوضع الكتب السماوية التي عربوها ونقلوها من لغة الى لغة وأثبتوا حكم التغيير والتبديل الذي تنادي به عدول المؤمنين على كتبهم ونص عليـــه القرآن وقد ألزموا أنفسهم الاقتناع بوقوع التغيير والتبديل لانهم اذا زعموا سقوط حرمة القرآن لانه قال مرة كالعهن المنفوش وقال أخرى كالصوف المنفوش وقال كالحجارة مرة وقال أخرى كأنها الحجارة فمن باب اولى يكون التغيير الذى نقل الكتاب من لغة الى أخرى أسقط للحرمة وأقرب للبطلان ولكن الظالمين في ضلال بعيد

وأما المسلمون فقد علم علماؤهم الاتقياء الذين هم أهل الله وأهل القرآن

القضاء بعد فوات ركنها وأما في الحج فلا ولو أنه اقتصر على قوله (فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم) لتوهم المجتهدون أن السبعة ايام التي جاءت بعد زمن الحج ليست في حكم الثلاثة أيام التي صامها الحاج في وقت الحج فلذلك قال الله تبارك وتعالى (تلك عشرة كاملة) أي مكملة لمناسك الحج وحكم السبعة منها حكم الثلاثة فلو لم يصمها الحاج بعد رجوعه لما أغنى عنه صوم الثلاثة في جبر ما فاته شيئاً ولو أننا قلنا أنها جاءت وصفاً معرباً عن حال هذه الايام اذا صامها الحاج أنها كاملة بمعنى أنها كمال في الحج وفي حال ذلك الصائم لما تعدينا الصواب ولكنك جئت على ما انت عليه من العمى تسبح سباحة مكتوف في بحر لجيّ لا ينجوا منه الا من له علم تامّ من أهل البصائر النيرة بالسباحة كيف تكون

وان دعواك التناقض في القرآن ومقارنتك له بقصائد الشعراء وخطب الخطباء لمحض جنون وهوس بين اذ لا مناسبة بين قصيدة من الشعر يقترحها رجل تعوّد الكذب لان من القواعد عند الشعراء أن أحلى الشعر أكذبه وقد جاء فيها بمدح ممدوح أو تغزل في حسناء أو ذم رجل ابين أو تهجيها لعار بين أو نصيحة لقرينين وأخذت بخناقه القافية لم تمكنه من القول بما هو بصدده وكذلك بين خطبة جاء بها خطيب في قوم يعظهم في حال من أحوالهم وبين كلام جمع أطراف الحكم وأكنافها وجمع جميع فنون الكلام وجاء بوعظ وارشاد وأنباء ماضية ومستقبلة وحالية وبيان مكارم الاخلاق وسياسة الأمور وبين ما فيه من الغنى وأصول تجمع الآداب الكمالية والهوا في البديعة بالشعائر الانسانية الى غير ذلك مما يعلمه العلماء الراسخون في العلم من بشائر التبشير وزواجر التحذير وصادق الوعد والوعيد مع ما هو عليه من حسن التراكيب

تعالى في سورة الرحمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ما هو الا كمال صادر عن حكمة عالية اذ تجيء في مثل قوله تعالى (يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) غيرها في مثل قوله (فيهما عينان تجريان) وهكذا مدلولها في كل آية لا يشابه مدلولها في الاخرى الا عنـد من لا يعقل ولكن لا عار يلحقك أنت وأحزابك اذا لم تفقهوا للقرآن معنىً لانكم لستم بأهله وكذلك تكرار قصص الامم مع أنبيائهم لان العقلاء عدوا تكرار القصة الواحدة مراراً بألفاظ مختلفة كلها مشحونة بالبلاغة وحسن البيان وكمال النسق وتمام الحسن من أعمال الاقتدار الالهي الذي لا يعجز إذ الإتيان في كل قصة مع التشابه في القول والدلالة بمواعظ لم تكن في الاخرى يعجز عن القيام به مخلوق كائناً ما كان ولكنك لجهلك بما هو الكمال في القول والحال والعمل عددت ذلك نقصاً يخل بأوصاف البلاغة فلو كنت ذا حظ في كمال حالك لتخلقت بأخلاق الفضلاء الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) وكذلك لو كنت ذا كمال في عملك لما تعرضت لازدراء ما لهجت بالثناء عليه ألسنة أهل الوقار وأرباب الفخار في كل زمن ولما خضت في بحر لا تدري أهو عذب فرات أو ملح أجاج ولو أنك كنت من أهل السداد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه لاعترفت بفضل القرآن وكمال مزاياه وعلو منزلته بين الكتب السماوية ولكن الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون

وإن من اعجب العجب لجهلك قوله تعالى (تلك عشرة كاملة) زيادة في القول ونقصاً في البلاغة مع أنها ما جاءت الا لبيان حكم شرعي لولاها لحار كل مجتهد في بيانه وذلك لان الله سبحانه وتعالى شرع في الصوم والصلاة

عنا وجهتك اليه الوقاحة من الخوض فيما ليس لك به علم اذ لو جاء القرآن
بأقوال يفقهها مثلك ويحيط بأسرارها علماً لما صح أن يكون قرآناً ولما انطبقت
عليه احكام البلاغة والاعجاز ولما وصف بأنه اقوم قيل واصدق حديث الى غير
ذلك مما لا يعلمه الا العالمون

يا هذا هلا تلوت الآية الشريفة بتمامها حتى كنت تعلم أي كتاب أشار
اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (إلا في كتاب مبين) أليس مبدأ الآية الشريفة
قوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في
كتاب مبين) فهل عرف الله الكتاب بالألف واللام حتى يكون لك عذر في
توجه الفكر الى القرآن أو ظننت ان آخر الآية ليس ملحقاً بأولها أم لم تفقه
معنى قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) فلو انك عقلت لها معنى
لعلمت ان كل ما في الآية اختص بعلمه الحق سبحانه وتعالى قبل وجوده فلا يظن
ظان ان القرآن الذي جاء لان يتلوه كل قارئ جاء لأن يكون حاوياً لبيان ذلك كله
إلا اذا كان ذلك من طريق الاسرار التي لا يمسها الا المطهرون فكان الاولى
بك قبل ان تقف ما ليس لك به علم ان تسأل أهل الذكر عن معنى الآية
الشريفة قبل أن تعيب القول والقائل يا قليل الأدب وكثير الوقاحة انك اذاً
لمن الظالمين الذين استحبوا العمى على الهدى فوقفت بهم جهالتهم في مواقف
الانتقاد والاعتراض فهلكوا من حيث لا يشعرون

ويا هذا لقد تحققت فيما أنت عليه بحال فرعون اذ قال له موسى لما جاءه
بالآيات البينات (وما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وإني
لأظنك يا فرعون مثبوراً)

وكمال النسق وحلاوة النطق التي لا تمل مع تمادي الازمان وان نفوس الفضلاء لتشتهيه كما يشتهي الجائع الطعام وان الادباء من ذوي البصائر الذين تحققوا فضله ليحترمونه كاحترام الالوهية ويعظمونه كما يعظمون الله سبحانه وتعالى فهل يسوغ لك مع حقارة قدرك وطيش فكرك وعلى ما أنت عليه من الجهل أن يمتطيك الشيطان ويلجمك بلجام الغرور فتجمح به في أودية من الجهل والطغيان ما سلكها قبلك شيطان مريد ولا جبار عنيد انك يا هذا لفي ضلال مبين

جئت يا هذا تشنشهد على وجود تناقض في القرآن المجيد بقول الله (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) ثم قلت انه نقص كثيرًا من الاشياء كالطب والفنون الرياضية والعلوم الطبيعية والحوادث اليومية وكأنك ظننت ايها الجاهل أن الله سبحانه وتعالى أراد بهذه الآية الشريفة أنه جعل القرآن كجريدة من الجرائد وأتى فيه بمفصلات ما وجد وما يوجد في الاكوان السفلية والعلوية وأنزله مخبرًا عن مفصلات ما يقع من الحوادث اليومية لكل مخلوق اذًا لأخبرنا بفساد حالك وضياع عقلك قبل ان تخلق وأنباء قومك عن فسائك وظراطك كم يكون عدده كلما خلوت بنفسك أيها المظراط تعالى وتقدس كلام الله أن يكون كما يستحسنه عقلك الضائع وفكرك السقيم فلقد جاء بما استنارت به قلوب أولي الالباب واقشعرت بتلاوته جلود أرباب البصائر وحارت في ادراك نهايته ذوو العقول السليمة

يا هذا اذا احببت أن تتعقل شيئًا من اسرار القرآن فاستعر لك ذوقًا من اذواق الأدباء لتفقه به كيف يكون خطاب الملوك لعبيدهم فان حماقتك سلبت منك الشعور بإساءة أدبك وان قوة الطيش قد اضعفت قلبك عن الانقلا

الذين ما بين جهلك وعلمهم وحقارتك وفضلهم إلا كما بين الثرى والثريا الرابعة تكفير أمة هي خير الأمم مضى عليها الف وثلاثمائة سنة أعني ثلاثة عشر قرناً وما من قرن الا وفيه من أعداد الالوف من خيارها مالا يحصى عدا قائمين بشعائر هذا الدين القويم وقد جئت الآن تقول انه لا دين ولا رسول ولا قرآن فيا ليت شعري من أنت من بين أفاضل هاتيك القرون وامرائها وملوكها وعلمائها وفقهائها والراسخين في العلم من اكابر المتقدمين أظلك لا تساوي النخال ولا تخطر بالبال

يا هذا أما أنباء الله سبحانه وتعالى فقد ثبت لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صدقها بما شاهدوه برأيا العين من نزول جبريل عليهم في صورة دحية الكلبي غير مرة وتعليمه للنبي قواعد الاسلام والصلاة وغير ذلك وبما شهدوه من معجزات الوقائع الحربية وغيرها مما هو مذكور في القرآن ومسطر في السير فلا حاجة لنا الان في مناظرتك في ذلك اذ الهدى بيد الله ولا يكون التصديق الا عن ايمان (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) هكذا قال العزيز الحكيم وأما إنكار القرآن انه من عند الله بما جئت به من السفسطة فذلك أمر غير معقول لان منزل القرآن نادى وينادي الى يوم القيامة بقوله لنبيه (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وبقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) إذاً فلا جدل ولا جدال ولا تزال حجة القران قائمة حتى يأتي بمثله الآتون ومن لم يأت بمثله وادعى انه من عند غير الله فهو كذاب جهول لا يعول على قوله ولا يركن الى هذيانه ولا يميل الى تصديقه

فلما احست الخاطئة بخزي خذيها قامت مسرعة وتناولت الاوراق وقالت للرجل ما تقول في الآيات التي تلاها عليك من هذا الباب التي تثبت أن محمداً ما جاء بآية ولا بأي أعجوبة فلقد الجأتني الى مقاومتك في الجدل والمحاورة ونشر ما قرره هذا الفيلسوف الحاذق انتصاراً له وتأييداً لقومه فأعرض عنها ذلك التقي ووجه خطابه لصاحبها قائلا

تحاول هدم بنيان متين ... على العلياء أسسه العليّ
لقد حاربت ذا بطش شديد ... هو الجبار والصمد القوي
يقول لقد بعثت لكم رسولي ... وتجحده لجهلك يا غبيّ
ويختار الخيار وقد هداهم ... فتمقتهم وأنت به حريّ
فما لك لم تزن ميزان عدل ... أخير أنت أم هذا النبيّ

يا هذا قال الله تبارك وتعالى لنبيه (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون) فجئت تدّعي أنه لا لوم على قريش في طلب الآية ليؤمنوا وزعمت أن قوله (ان الله قادر على ان ينزل آية) ليس بحجة بل كان في امكانهم أن يجيبوا بقولهم نعم انه قادر عليها كما انزلها على موسى وعيسى ولو كان محمد نبياً مثلها لساواه بها ثم قلت ان الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يأتي بجواب لا يطابق السؤال الى آخر ما سولته لك نفسك الامارة من الخواطر الشيطانية وانه لغلط في العلم وفساد في العمل والله لا يهدي القوم الظالمين

يا هذا لقد ألجأك الغرور والطيش وطغيان البغي الى ارتكاب أربعة جرائم لم يرتكبهم مرتكب سواك الا القوم الكافرون الاولى تكذيب الله سبحانه وتعالى في أنبائه الثانية انكار القرآن الشريف وازدرائه الثالثة انتقاد الائمة

قال (ولو نزلنا عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) ثم ما زال الحق تبارك وتعالى يبرهن على انه هو المنفرد بالالوهية بالدلالات الواضحات والآيات البينات تثبيتاً لنبيه حتى قال له (لقد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) يريد بذلك تطمين نبيه رأفة به ليعلم انه لا يكذب كما كذبت الرسل قبله بل لا بد من اعلاء كلمة الله قهراً عنهم وان جحدوا وأراد إعلامه بانهم يعلمون صدقه ولكنهم لظلمهم أنفسهم وغلبة الشقاء عليهم استكبروا عن اتباعه وجحدوا الآيات اذ الانسان قد يعلم الحق ولكنه لا يجد من نفسه الامارة باعثاً لاتباعه بغياً وعدواناً ثم زاده تثبيتاً بقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين) يعني فلا يكن في صدرك حرج من اصرارهم على الكفر لانهم حقت عليهم كلمة العذاب ثم لما كان النبي شديد الحرص على ايمان قومه شفقة عليهم وإشفاقاً مما سينالهم من المقت الأبدي والعذاب السرمدي وعلم الله منه ذلك أنكر عليه بقوله (وان كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقاً في الارض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية) ولما لم يكن ذلك في قوته فلا فائدة في الحرص على ايمانهم نهاه نهي البار الرحيم واعلمه ان الامر منه واليه بقوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) يريد لا تكن من الذين يظنون أن للانسان ارادة واختيار يفعل بهما ما يريد لا بل أنا الفعال لما أريد ولو أردت لهديتهم ثم عرفه بانهم من الذين طبع الله على قلوبهم فماتت بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه

إلا كل أفاك أثيم حاذاه في سوء الخلق وسفه الحماقة

وأما انتقاد الائمة والاعتراض عليهم بعد الموت فلا داعية له الا شــدة اللؤم وخسة الطبع لانهم قوم ألجأهم الأدب والاحتراز عن الخوض في ايات الله الى بيان الالفاظ منه تقريباً للافهام ليس الا وما أدعى أحدهم انه فسر أية من القران بالمعنى التي أراده الله منها بل كانوا يقولون الله أعلم بمراده فلو انهم أدركوك وشهدوا جرئتك على الله واياته لقطعوك إرباً إرباً وما كانوا كسفهاء هــذا الزمن الذين يزعمون انهم أمراء الحكمة وزعماء الكلام وان كلام الله تحت حيطة أفكارهم وفي حوزة أنظارهم وما ربك بغافل عما يعملون إذاً فلا نتعرض لحالك مع الائمة ولا لما جاؤا به بل نرشدك الطريق بقدر الطاقة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وأما تكفير هــذه الامة التي لا تحصي أعدادها بانكار رسالة رسولها فقد تكلمنا عليه سابقاً وسنأتي من البيان الواضح في هــذا الشأن بما فيه الكفاية اتباعاً لقوله تعالى لنبيه (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

يا هذا ان الايات التي سبق ذكرها وجئت بها مستدلاً على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يأت بآية ما جاءت أول آية منها الا في سورة يعلم العاقل مراد الله منها من براعة استهلالها اذ قال سبحانه وتعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أوليس مبدأ السورة دالاً على انها ما نزلت الا لاثبات الالوهية لله وحده و بيان جهل الكفار بالاله الحق الذي له ملك السموات والارض ثم أبان الله سبحانه وتعالى عما هم عليــه من الشقاء والجحود والاصرار على الكفر بقوله (وما تأتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين) فلو لم يأتهم محمــد بآية لما قال الله ذلك ثم بعد قليل

ضل عقله   سلمت بتسليم الامور لمن عقل
فة السمي   ففوت ذوي الابصار في العلم والعمل
ذي رأوا   لفزت بما ينجيك من عارض الخبل

الرجل الصالح مغضبة قائلة ياهذا لم لم توجه الخطاب
ز يلا وقد اتخذته دون الناس أنيساً وخليلا على
لسفير النقم فقال الرجل كذبت وبيت الله لو كان
ولما استشهد بهذه الآيات على هذا الباب الذي
بمةوما هو الا سفير الشيطان لنفسه وجالب الانتقام
ئ أني أنا ربة المنار وحليفة المقاومة والانتصار فأنشد

ـد أوله   ان نكروه فذات الغيظ واللهب
فه ألم   والنصف نار وهم فيها أبو لهب

د بهذا اللفظ الا أنك قريبة من الخطاء بعيدة عن
ن مسالك الانصاف والاعتدال ومناهج الهداية
دل فعمدت الى سورة مركبة من مائة وخمس وستين
وتهديد لقوم كفار جحدوا آيات الله واستشهدت
بوجه من الوجوه فهل فوق هذا الضلال ضلال ان
هل من منصف يخلع نعليه على من خلع العذار ولم

مبرين
ـ قال الله تبارك وتعالى (واذا لم تأتهم بآية قالوا

يرجعون) وأعقب الله هذه الآية بقوله (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه)
الى آخرها فهلا تلوت السورة الشريفة تلاوة أولي الالباب حتى كنت تعلم
ان السورة بتمامها جاءت لردع قوم جحدوا الاله الحق وعبدوا غيره وأنكروا
آياته فلو انهم ما جحدوا الا رسالة محمد لتابعوا موسى أو عيسى وعبدوا خالق
السموات والارض ولقالوا لمحمد لولا نزل عليه آية من ربنا اعترافاً بربوبية الله
سبحانه وتعالى ولكنهم قالوا من ربه فلذلك قال له ربه قل لهم ان الله قادر على
ان ينزل آية فما كان ذلك الجواب إلا دفعاً لما توهموه من ان الله ليس بقادر
وان الالوهية هي لآلهتهم ثم ما زال الحق تبارك وتعالى يصف حالهم ويزيد
نبيه بياناً الى ان قال (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها
قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يريد كالآيات
التي لم يؤمنوا بها من قبل ثم قال (ولو اننا نزلنا عليهم الملائكة) أي كما سبق
نزولها في القتال عليك يا محمد (وكلمهم الموتى) أي كما فعل عيسى (وحشرنا عليهم كل
شيء قبلاً) أي كالمن والسلوى الذي جاء به موسى (ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء
الله ولكن اكثرهم يجهلون) يريد جهل الفلاسفة الذين ينكرون خلق الله أعمال
الخلق فيهم ثم في آخر تلك السورة قال لنبيه (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله
أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما كنتم تشركون) فهل لعاقل ان يتصور من
هذا الكلام المتعاقب في سورة واحدة ان طلب الآيات كان لإثبات الرسالة
حتى تتوهم أيها المفتون ان الجواب لم يطابق السؤال في الاية الشريفة وتدعي
انهم كانوا مؤمنين بالله وجاحدين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا لهو

والله بما تعملون بصير على أن الاية التي كانوا يطلبون من النبي أن يجتبيها ماهي الا آية قرانية يريدون بذلك الطلب خدعة رسول الله لظنهم أنه يأتي بالقران من عنده فقال له ربه (قل انما أتبع ما يوحى إليّ من ربي) ثم أسكتهم بقوله (هذا بصائر من ربكم وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون) يريد أن القران أتى بكل رشد وهداية لمن سبقت له سابقة العناية وآمن فطلب الزيادة عما جاء به القران ماهو الا زندقة وتعنت والله لا يهدي القوم الكافرين

وهذه الاية الثالثة تشهد عليك أيتها الخاطئة بالجهل وسوء العمل وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول بعد ايات بينات (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه اية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هادٍ) وكان ذلك بعد قوله (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) يريد الله بذلك وهو أعلم بمراده أن القوم تارة يطلبون منك اية عذاب وتارة يطلبون اية رحمة ولكنهم يستعجلون العذاب كأنهم ما علموا بما فعلته بالامم قبلهم ثم قال بعد ذلك (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) يريد أنه يعلم الشقي والسعيد قبل أن يولد وهو الذي قدر الشقاء والسعادة ولا ينزل الايات بحسب طلب الطالبين ولكنه ينزلها بقدر مقدور أي يبرزها من عالم الغيب الى عالم الشهادة اذا جاء إبانها كما لا يوجد الانسان الا في زمانه ومكانه المخصص له قبل وجوده ولقد بين الله سبحانه وتعالى كفرهم به وأنهم ما طلبوا الايات الا تعجيزاً لقدرته لظنهم أنه غير قادر على ايجاد شيء غير موجود من طينه بقوله (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد) ثم قال (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب

لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى اليّ من ربي هذا بصائر من ربكم وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون) جاءت هذه الآية الشريفة في اخر سورة كانت كلها قصصاً أراد الله به تذكير الجاحدين بما وقع من أسلافهم وما وقع عليهم من البلاء والانتقام عند ما كذبوا الرسل وتثبيتاً لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد كان من ذلك القصص ما حكاه الله عن أسلافهم بقوله (وقالوا مهما تأتنا بآية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) ثم قال الله تبارك وتعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) يعني لم يؤمنوا ثم قال (ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز اذاهم ينكثون) وما كان هذا القصص كله وما جاء قبله و بعده من الآيات البينات الا اعلاماً لنبيه ومن آمن معه أن الهداية ليست في قوة القوم ولا في قدرة الرسل ولكنها من الله تعالى فجئت أيتها الخاطئة تزعمين أن طلب العرب الآية كان عن اخلاص وصدق عزيمة فلو جاءتهم الاية لآمنوا فهل يعقل هذا التصور في حال قوم ناداهم الله وهم عاكفون على عبادة الاصنام بقوله (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) ومع هذا النداء والتعريف الذي كله حجج بالغة ما فقهوا خطابه ولا تحولوا عن عبادتهم فهل يقال بعد هذا أنهم طلبوا الاية عن اخلاص وصدق عزيمة فلئن كان ذلك فلم لم يعبدوا الله على دين موسى أو عيسى ويهجروا الحجارة التي هي منحوتة من الجبال ان هذا لهو الضلال المبين ولئن كانت الايات تغني من القدر شيئاً فلماذا كفر اليهود بعيسى وكفر فرعون بموسى أليس هذا التصور عنوان الغباوة وفزاكة الشقاء

كذب بها الاولون) جاءت هذه الاية في سورة افتتحها الحق سبحانه وتعالى بآية من الايات التي أيد الله بها نبيه بقوله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا) ولما أسرى به أصبح يحدث الناس بما رآه في تلك الليلة من العجائب الكونية والفيوضات الرحموتية فحاوروه كثيراً وجادلوه طويلاً وناقشوه عسى ان يعثروا منه على نبإ كاذب أو كلام متصنع فما وجدوا إلا أصدق حديث وأقوم قيل وجاءهم بأمارات صادقة وعلامات ظاهرة فصدقه من أراد الله بهم خيراً وكذبه الذين تحتمت عليهم سابقة الشقاء فكانت اية الاسرى اكرم اية اكرم بها المصطفى عليه السلام قبل القرآن وجاء بها القرآن ودونت في السير المشهورة وإنها لمبدأ السورة جاءت فيها الآية التي استشهدت بها أيتها الخاطئة على أن محمداً لم يأت بآية فلم أدر أي الآيات تريدين وما جاءت السورة بتمامها الا كأخواتها لتثبت الوحدانية للحق سبحانه وتعالى وتحكى حال القوم الذين كفروا به فقال الله تبارك وتعالى بعد ما ذكر أشياء مما وقع لموسى مع قومه وأمر ونهى وأرشد وبين بآيات واضحات لنبيه (قل لو كان معه آلهـــة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً) ثم قال (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) ثم بعد قليل عرف جهلهم وجحودهم بقوله (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) يشير الى أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينكرون قدرة الله على اعادة أجسامهم بعد الموت ثم قال لنبيه (قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً) ثم قال بعد قليل له (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا

النار هم فيها خالدون) وما أراد بالاغلال الا التي أشار اليهـا في سورة يس بقوله (انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون) ثم انه سبحانه وتعالى بعد الآية الشريفة التي استشهدت بها أيتها الخاطئة بقليل قال يصف جحودهم و يثبت الوهيته (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) ثم أخجلهم بقوله (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) كل ذلك خطاب لقوم جحدوا الله وآياته ثم بعد ذلك جاء يثبت نبيه بقوله (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا بإذن الله لكل أجل كتاب) فتركت أيتهـا الخاطئة السبب الذي أنزلت الايات لاجله وجئت بمعنى لم تكن مقصودة للقوم ولا لمنزل القرآن ثم قلت ان شريعة موسى جاءت بالعجائب وكذلك شريعة عيسى فكان الاولى بذلك الديانة التي جاءت تخالفها فكأنك ظننت ان الشرائع ما جاءت الا للتشخيص فكلما طلب طالب أعجوبة يأتي بها الرسول كلا والله ما كانت الايات إلا تأييداً للرسل وتثبيتاً للمؤمنين وحجة على من لم يؤمنوا ولقد جاء محمد بما آمن به المؤمنون وما كان بحفيظ على الكافرين وان من الغباوة والجهـل المهلك لقولك ان شريعة محمد خالفت الشرائع قبلها مع ان كل متبصر يعلم علم اليقين ان الشرائع ما جاءت الا لنفي الشريك وارشاد الناس الى معرفة ربهم فكيف يكون الاختلاف ان هذا لهو الضلال البعيد

الاية الرابعة قال الله تبارك وتعالى (وما منعنا ان نرسل بالايات الاان

الانسان متى تحكم فيه سلطان الغرور وشيطان الطيش لا يقنعه مقنع أما وصلك نبأ قوم موسى اذ قالوا له أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة أما سمعت قول هؤلاء الكفار فيما حكى الله عنهم (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) فهل الذي وصل به الجهل والفتون الى هذا الحد ينبغي أن يجاب في طلبه مع أنهم ماطلبوا هذه الآيات الا استهزاء بالله ورسوله وآياته اذ قال (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) فقالوا لها أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) فقالوا (أو يكون لك بيت من زخرف) وقال (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر) فقالوا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) كل ذلك كان استهزاء وتكذيبا لما ورد به القرآن لعلمهم أنه لا اله الا آلهتهم وما كان ليجيب قوما أغبياء دعاهم الى الكرامة فأبوا مع احتياجهم اليه في كل لمحة ونفس اذ الشأن كما قال القائل

لو كل كلب عوى القمته حجرا لأصبح الصخر مثقالا بدينار

فلو أن الله أجاب قوما منهم في ما طلبوا لتلاقبوا في طلب الآيات وكانت الرسالة العابا وتشخيصات لا تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون ولقد سلكت أيتها الخاطئة مسلك هؤلاء الضلال باستحسانك اجابة طلبهم وما جئت الا بالاحتمالات لهذه الاية الا بتكذيب آراء المفسرين وما على المفسرين ان أخطأوا في أفكارهم فانهم ما زعموا أنهم علموا مراد الله وأحاطوا به علما وللمجتهد إن أخطأ أجر واحد وان أصاب فأجران فليت شعرى ما على الجاحد من الوزر اذا جاء ينكر ما أثبته الله ويحرف الكلم عن مواضعه ان هذا لهو الخسران المبين على أن

تحويلا) ثم بعد ذلك عرفهم أنه لا عجـلة ولا فوت بقوله (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا) فكانت تلك الاية بمثابة قوله لجبريل عنـد ما استعجل الانتقام لفرعون يا جبريل مثلك من يخاف الفوت ثم أعقب هذه الاية بقوله (وما منعنا أن نرسل بالايات) الى آخرها ثم بعد ما بين سبب قسوة قلوبهم بأنه سلط عليهم ابليس وجنوده جاء يذكر الايات التي طلبوها بقوله (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) فقال له سبحانه وتعالى (قل سبحان ربي هـل كنت الا بشراً رسولا) ثم بعد قليل ضرب له المثل بقوم موسى فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بني اسرائيـل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لا ظنك يا موسى مسحورا) يريد أن فرعون كذب موسى مع علمه بأن الله هو منزل الايات بدليل قول موسى له (لقـد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لا ظنك يا فرعون مثبورا) فلو أن نزول الايات يغني شيئاً من حكم القضاء السابق أزلاً لآمن فرعون ومن معه بموسى وآمن اليهود بعيسى ولكن القضاء المبرم لا يدافع ولا يعارض فهل كان لك بعد هذا البيان أن تأتي قائلة بأن محمدا لم يأت بآية ولو أنه جاء بآية لآمنوا به أفما كانت آية الاسرى كافية في هداية من أراد الله هدايته وهل بعد جحود الإله الخالق لكل شيء وجحود قدرته يطمع الطامعون في هداية الجاحدين وهل ينبغي أن يقال أنه كان الأولى أن يأتيهم النبي بما طلبوا من الآيات مع العلم بأن

وهم يستغفرون) فأي غلط جاء به المفسرون ألجأت الى اعابتهم في ما جاؤا به كلا ان أهل الزيغ لفي ضلال بعيد اذ لا يتصور عاقل أن الله ينزل كتاباً يجعله رحمة وارشادا وبياناً لاحكام شرعية وآداب ذوقية الا اذا علم أن هنالك من يهتدي به من المؤمنين وأما آيات العذاب فانها كناقة صالح مثلا التي جعلها الله ابتلاء للقوم وكالرجز لقوم موسى وآيات التخويف وغير ذلك فما كان لعاقل أن يتصور أن القرآن ليس بآية لانه لم يهلك القوم ان هذا لهو الضلال الكبير

الاية الخامسة قال الله تبارك وتعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله وانما أنا نذير مبين) لقد جئت أيتها الخاطئة على هذه الاية بملاحظتين إحداها ان حذق القوم ألجأهم الى طلب الايات لعلمهم ان موسى وعيسى برهنوا على كتبهم بآيات ومحمد لم يأت ببرهان ما إذًا ميكون جوابه بقوله انما الايات عند الله ليس مطابقاً للسؤال كما زعمت الثانية ان محمدا ليس برجل آيات وما هو الا نذير مبين ولقد أخذني العجب من قولك انه ليس برجل آيات لان ذلك القول لا يصدر الا عن مجنون أو حنون أو جهل بالايات ما هي وكيف كانت ومن هو مكونها اذ لو تصور متصور ان الايات هي من عمل الرسل لكان كافرا ولو تصور انها جاءت بقدر مقادير الرسل في كرامة منزلتهم عند الله لكان جاهلا لا يدري شيئاً لان الايات ما جاءت الا لوقائع تقارن أحوال الامم التي أنزلت اليهم وما جاءت أيضاً الا لمعاونة رسل ضعفاء كلفوا بما لا يطيقوا فكان حقاً على الله معونتهم ولقد قال موسى وأخوه (ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا أو ان يطغى قال لاتخافا انني معكما أسمع وأرى) ولما كان حال فرعون حالا كحال بهيمة الانعام لانه ادعى ما لا يتصوره العقل ولا يدعيه الا من لا عقل له أرسل له موسى بالعصا التي كان يرعى بها الغنم

المفسرين ما أخطئوا في نظرهم في أن الله لم يجب طلب الكفار فيما طلبوه من الايات لانه لم يأت بها الا تخويفاً كما ذكر في بقية الاية اذ قال (وما منعنا أن نرسل بالايات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفاً) فصادق المفسرون ربهم في أنه لم يجبهم فى طلبهم لكيلا يستحقوا العذاب ولا عذاب بعد ارسال محمد أو بعد عهده فى التوراة كما زعمتم اذاً فما أخطأ المفسرون ولكن الحنق وشدة الحقد ألجأت المفتون الذي دعته الخيانة والطيش الى مجاراة الفضلاء لأن يعطي السماجة حقها ولكى يكون مكابرا سفيهاً ومناظرا قبيحاً ومجادلا جهولا وكان الله بعباده خبيرا بصيرا فجئت أيتها الخاطئة لفرط جهلك بمواقع الخطاب الالهي ولحكم سابقة القضاء عليك بالشقاء تدسين دسائس الزيغ فى ما أسبلت عليه ذيلك النجس من تذييل هذا الباب قائلة أن القرآن ان كان معجزة فقد كذب آية قوله (وما منعنا أن نرسل بالايات الا أن كذب بها الاولون) فلو أنه كان معجزة لما قال الله ذلك ولوقع بالقوم العذاب المستأصل لهم أو للذين لم يؤمنوا به وأنه ان لم يكن معجزة فلقد بطلت آية قوله (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) ثم أخذتك الحيرة وجئت تضلين عوام المسلمين بتمويهات باطلة وسفسطة كاذبة فهل لك من ذوق تميزين به بين آيات الرحمة وآيات الانتقام أما علمت أن الكتب السماوية ما جاءت الا للارشاد والرحمة وأما آيات الاستئصال فما هي الا العذاب الذي طلبه القوم الذين أهلكهم الله من قبل وطلبه كفار قريش فلو أن الله أجابهم لأنزله عليهم ولكنه لم يجبهم لأمرين اما لوجود من يخرج من ظهورهم موحدا واما للعهد الذي تقولون أنه جاء في التوراة واما أن يكون للسبب الذي ذكره الله بقوله لنبيه (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم

عبدة الاوثان كما جاء في هذه السورة من قوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) ثم لما جاء ذكر أهل الكتاب قال (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم إله واحد ونحن له مسلمون) يريد أنه لا جدل الا في مسئلة البنوة لانهم ما أنكروا الله ولكنهم جعلوا له ولداً وربما كان الجدال بالتي هي أحسن سبباً لهدايتهم الى الصواب وعلمهم نزاهة الله عن اتخاذ الولد ثم بين الفارق بينهم وبين الكفار بقوله (وكذلك أنزلنا الكتاب يتلى عليهم فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) ثم شرع في اقامة الحجة على من كفر بكتابه المجيد بقوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) وما أراد بالعلم هنا الا الايمان فلو أنك كنت من الذين أوتوا العلم لامنت بان القرآن كتاب الله وآياته ثم جاء الحق تبارك وتعالى بعد ذلك يبين مقالة الكفار بقوله وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله وانما أنا نذير مبين) فما كان الجواب الا لقوم انكروا قدرة الله وجحدوا آياته واستهزؤا به أن استعجلوا العذاب وطلبوا آيات كآيات موسى وعيسى التي جاءت أسلافهم فسموها سحراً ولم يؤمنوا بها فعلم منهم أنهم لا يؤمنوا ولو جاءتهم الف آية فقال له (قل إنما الايات عند الله وانما أنا نذير مبين) ثم جاء يبين الآيات التي طلبوها بقوله (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) ثم بين مآلهم بقوله بعد (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم

فكان يخوف بها فرعون كما يهش بها على غنمه ولقــد قال موسى فى آية أخرى (ولهم على ذنب وأخاف أن يقتلون) فايده الله بالايات المخوفة ولما كان عيسى أحوج للايات من غـيره لما جاءت به ولادته الخارقة للعادة من الشبهة التى ما زالت فى صدور اليهود الى الان أيده الله بروح القدس وما جاءت رسـل من الايات بمثل ما جاء به هذان الرسولان الكريمان لعدم ضرورة نزول الايات عليهم فقـد مكث نوح الف سنة وما جاء بآية حتى جاء الطوفان وأهلك قومه وهكذا كل الرسل ما أنزل الله عليهم مثل ما أنزل على موسى وعيسى وما كان ذلك الا لاحتياجهما للايات إذا فلا معنى لقولك أيتها الخاطئة ان محمدا لم يكن رجل ايات وأما الملاحظة التى هي ان حذق القوم ألجأتهم الى طلب الايات لان موسى وعيسى برهنوا على كتبهم بآيات ومحمد لم يأت ببرهان فان ذلك كلام غير معقول وما صدر منك الا لجهلك بمواقع الخطاب التي لا يهتدي اليها الا من له أذن واعية وقلب سليم من الامراض الزيغية اذ الزائغ الذي أظلمت قلبه الشبهات ماهو الا كالاعمشي الذي لا يبصر الا مواقع قدمه ولقد تبين لك ان الايات التي جئت بها شواهد على ان محمد لم يأت بآية ما كانت الا من سور متماثلة متقاربة المفهوم دالة على ان كفار قريش كانوا يجادلون فى الله و ينكرون ألوهيته واقتداره على انزال الايات فكان الله يجيبهم بما يوافق سؤالهم في كل واقعة من كل سورة لانهم ما كانوا أفرادا قليلين ولا سألوه مرة أو مرتين ولكنهم كانوا أقواما كثيرين كل منهم كان يسأل ما تسوّل له نفسه وكل منهم يدعي الحذق والمعرفة ويقوم فى وجه النبي مجادلا في الله بغير علم ولا عقل فتأتيهم الايات موافقة لوقائعهم فلذلك يرى المتأمل البصير ان الخطاب الموجه لاهل الكتاب لم يكن كالموجه للكفار من

وأثقالا مع أثقالهم) أي أوزار أنفسهم لانهم كفروا بايات الله وأوزارا مثل أوزار الذين يضلونهم ثم قال (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) فكذلك يكون حالكم مع من تضلونهم من العوام يوم القيامة ولقد تبين جهلك بمواقع الخطاب لظنك أن جواب الله لم يكن مطابقـاً لسؤال القوم الذين قال الله عنهم (ان هم إلا كالانعام بل هم أضل) وتقولين أنهم كانوا أهل حذق فلعنة الله على الظالمين

الاية السادسة من هـذا الباب قال الله تبارك وتعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) جاءت هذه الاية الشريفة تتميما للجواب المطابق لقولهم لولا أنزل عليه آية وأمره الله أن يقول انما الايات عند الله ثم جاء الحق تبـارك وتعالى يبكتهم بقوله (أولم يكفهم) يريد أن القرآن أنزله تذكرة ورحمة للمؤمنين فلو أنهم لهم قلوب يفقهون بها لكفاهم القرآن دلالة وارشادا ثم قال لنبيه بعد ذلك (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يعلم ما في السموات وما في الارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) فكانت هذه الاية تطميناً لنبيه بأنه لا يضره كفرهم لان الله يعلم أنه بلغ الرسالة وقام بأعبائها ولم يصدقوه فالله شاهد بينه وبينهم وكانت أيضاً اعلاماً بأنهم كفار خاسرون فجئت أيتها الخاطئة تزعمين أن الاية ليست دالة على أن القرآن معجزة لانه لو كان معجزة لأعجز كل ملحد من أرباب الشبه فكان هذا القول أشبه بقول مجنون قال لو أن الله كان الهاً لما كفر به أحد أما علمت أيتها الخاطئة أن الله سبحانه وتعالى لعلمه بأن الانسان ظلوم جهول وأنه أكثر شيء جدلا قد جاء على صدق كتابه ببرهان قاطع ونادى به وينادي الى يوم القيامـة وهو ما سبق ذكره قبل من قوله

لمحيطة بالكافرين) فكانوا كمثوه ضعيف يقول لقوي متين ان كنت قادراعلى
فاهلكني فلو أنهم كانوا حذاقاًلقالوا يا محمدانا مؤمنون بالله ورسله وآياته ولكننا
لانعتقد أنك رسول فأثبت لنارسالتك إذاً فكان عليه اما أن يأتيهم بآيه وإما
أن يأتي بجواب مطابق لسؤالهم ولكنهم كانوا قوماً كافرين ينكرون قدرة الله
على بعثهم بعد الموت وعلى اهلاكهم فأجابهم الله بأن محمدا ما جاء الا للإنذار
ليس إلا وما بيده عقد ولا حل في شؤنكم ولو أن الله سبحانه وتعالى كان في
احتياج لايمانهم لهداهم إما بالايات او بغيرها ولكنهم كانوا كعبد سوء دعاه
سيده لان يوليه كرامته ويدنيه منه فأبى الا أن يقيم له على صدقه في ذلك
الوعد برهاناً فتركه سيده مرمى سهام الإهانة ولا حرج عليه ولا ضرر لانه في
غنية عن قرب ذلك المجنون اليه وهذا مثل كل جاحد أعرض عن أوامر ربه
وافتتن بدنياه ولهى بزخارفها عن دينه لا يبالي به الله في أي واد هلك ولقد
وصف الله جهلهم وعنادهم بعد ذلك بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون) ثم قال (ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمدلله بل
اكثرهم لا يعقلون) فلو انهم عقلوا لما كفروا بايات الله فهل ينبغي ان الله
سبحانه وتعالى يصف قوماً بانهم كفار وانهم لا يعقلون وتقول انهم كانوا
أهل حذق اذاً فما حالك الا كحالهم في اضلالك الناس اذ قال الله عنهم في
أول هذه السورة التي منها الاية الخامسة والسادسة (وقال الذين كفروا للذين
آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم) ثم قال (وماهم بحاملين من خطاياهم
من شيء انهم لكاذبون) هذا هو مثالك الآن أنت ومن معك من المبشرين
مع العوام الذين يريدون اضلالهم ولقد قال الله بعد ذلك (وليحملن أثقالهم

صاحب الشأن في ارسال الرسل وإنزال الكتب وتنزيل الآيات ولم يكن
تحت ارادة مريد ولا ينبغي له أن يجيب كل طالب فيما طلب اذ لو فعل ذلك
لكان مأمورا لا آمرا ولكانت الآيات أمورا عادية لا تسمي معجزة ولا آية
والله سبحانه وتعالى ما أنزل الآيات على الرسل الا لضرورة لزومها كما قلنا
قبل وما كان لينزل على محمد آية لا لزوم لها طوعاً لكفار قريش اذ الرسل ما
جاءوا مشخصين للعجائب ولكنهم جاءوا مبشرين ومنذرين وكفى محمدا ما
جاء به من الذكر الحكيم فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فاليكفر وكفى محمدا
انشقاق القمر لدعوته ونزول الملائكة لنصرته وتوالي ظهور جبريل له ولأصحابه
في صورة دحية الكلبي وترادف الوحي عليه بالقرآن وقد كانوا يختبرون
صدق الوحي بأشياء حتى نهاهم الله بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) ولو أن
محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بآية الا اتباع هذه الامة العظمى له بما كانوا
عليه من الاسرار ومظاهر الانوار لكان اكبر آية ولو انه لم يأت بآية الا ظهور دينه
على جميع الاديان واستمرار شريعته الغراء معمولا بها في أقطار الارض بحال
لم يأت به رسول من الرسل لكان ذلك اكبر آية ولو انه لم يكن له اية إلا
احترام اهليه باعظم مما تحترم به الملوك حتى الآن لكان ذلك من اكبر الآيات
لان كل ذي قلب حي يعلم ان مقلب القلوب هو الله سبحانه وتعالى . أعطاه
من مزايا المجد والشرف هو وأهل بيته ما لم يسبقه اليه سابق ولا يلحقه فيه
لاحق وانهم هم ملوك الدنيا والاخره أما في الدنيا فلا ترى قبوراً تهرع الى
زيارتها القلوب الا قبورهم وأما في الاخرة فهم خيار أهل الجنة في الجنة على

تعالى لنبيه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقوله (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) إذاً فكل كلام يكون بعد كلام الله سبحانه وتعالى في هذا الموضوع فهو سفه من المجادل ومكابرة ولغو من المدافع واساءة أدب مع الله والله لا يهدي القوم الظالمين

ولقد قلت فيما سبق أيتها الخاطئة أن موسى وعيسى أتيا بآيات على صدق كتبهم ومحمد لم يأت بشيء من ذلك وقلت أنه كان هو الاولى بأن يأت بآيات أكبر من آياتهم لانه جاء مخالفاً لهم وناسخاً لشرائعهم فكان هو الاحق بأن يبرهن على صدق كتابه ولكنك ما عينت أيتها الخاطئة الايات التي برهنوا بها على كتبهم فما أظنك في هذا القول الا مغرورة بقول الائمة المفسرين بذلك نقلا لما القي اليهم من نقولات كفار قريش والا فذلك قول غير معقول اذ العقل لا يتصور أن الكتب السماوية التي هي أنفع آية وأعظمها تحتاج الى اية تثبتها إذاً الدار الأمر أو تسلسل فهل كانت الايات المخوفة لفرعون مثلا أو المغرقة له ما جائت الا مثبتة للتوراة أنها من عند الله أو أن إحيي عيسى الموتى أو خلاقه الطير ما كان الا اثباتاً لنزول الانجيل عليه حتى كان لقريش أن يقولوا لمحمد برهن لنا على صدق كتابك واذاً لقال لهم ان برهاني على صدق كتابي اخباره بالوقائع المغيبة بالنصر والفتح المبين الذي كان من جملته نزول الملائكة من السماء ولكن الايات ما جاءت الا لتأييد الرسل كما سبق بيانه قبل ولقد كان نوح رسولا مشرعاً ومكث في قومه الف سنة وما ذكرت له في القران اية الا المهلكة التي ما أبقت في قومه من باقية فلو أن الله علم فيهم خيرا لما أهلكهم بل كان ينزل عليهم كتاباً لإرشاد من يهتدي منهم وان كل عاقل ليعلم ان الله هو

آل اليه الأمر بين صاحبة المناد وذلك الرجل حتى نتبين المخطئ من المصيب

فقلت يا هــذا لقد طال بنا المقام وملت الكلام فذرني أذهب حيث أريد فاني اكره الجدل وأهله وما أراكم الا قوماً فاسقين

فقال يا جنيبهي ان المزاح الآن ممقوت اذ لا يضحك في مواطن البكاء الا سفيه فقلت وما يبكيك يا كاهون الآن قال خيبة المسعى وسوء المنقلب فقلت تالله لأزيدنك حزناً على حزنك وأسفاً على أسفك حتى تكون من النادمين إذ الحق وان لم يثمر غرسه في الحال. فلا بد أن يأتي لسامعه بثمرة حالية لدى التذكرة في الاستقبال . فلا ألوي بعون الله عناني عما استرسلت فيه . فان حالي النصائح كل ذي أذن واعية يشتهيه. ثم قلت يا هذا

قالت الخاطئة في الباب الثاني من منارها ان في القرآن لخمسة عشر اية شاهدات على أن محمداً ما أمر باكراه الناس على الدين وما كان قتاله الا ظلما وعدوانا ثم جاءت بملاحظات وتذييل وأحاط الرجل التقي بذلك علما فأنشد قائلا

ألا قاتل الله السفيه ومسه	من الضر ما يرثى له كل شامت
فما الناس الا زائغ ومتابع	ومفتتن لا يرتضي حال قانت
قوابل أضحت في جفاها وكفرها	وخبث الطوايا والعمى في تفاوت
فهذا زمان ضيع الله أهــله	كما قد أضاعوه بزخرف زينة
زمان انقلاب وابتداع وفتنه	وتيــه وإعجاب وزيغ تعنت
فلو أن رسلا أرسلوا بشرائع	لأوذوا ولو جاؤا بأية اية
لحي الله قوماً كلما ازداد علمهم	بدي النقص في اديانهم والمروءة
لان علوم القوم علم طبيعة	وإنشا وجغرافيا وخط وهيئة

رغم انف كل جاحد ولكن الذين كفروا لفي ضلال بعيد

ومنذ ذلك نهض ذلك الشاب الفيلسوف قائماً والعرق يقطر من جبينه خزياً وخجلا وسارع الى الباب خارجاً فقامت الخاطئة وطوت الاوراق ثم أقسمت بما لذلك الشاب عليها من حقوق المحبة والصحبة الا ما نشرت ذلك الكتاب وأجرت طبعه على نفقتها وذيلت كل باب منه بما يؤيد ما فيه انتصاراً لذلك الخليل

وأما ذلك الرجل الصالح فانه استشاط غيظاً وخرج وقلبه يتوقد لهباً وعيناه كانهما زند يوري شرراً وقد بسط يده الى السماء ضارعاً الى ربه ان يبطش بالظالمين وان يشدد وطأته على أهل الزيغ المجادلين وذهب من حيث أتى متربصاً بتلك الخاطئة ان تبرّقسها بنشر ذلك المطبوع فيلحقه برد مخجل وزجر مقنع انتصاراً للدين ومحبة في جناب سيد المرسلين

هذا كله كان حكاية يحكيها أحد الرجلين المتسامرين في تلك القهوة وصاحبها صاغي الاذنين ملهوف الفؤاد على الاحاطة بما يكون من أمر تلك الخاطئة علما فلما سكت ذلك المسامر لم يتمالك الرجل نفسه حتى ترامى عليهما قائلا تالله لا أبرح حتى أعلم ما آل اليه أمر تلك الخاطئة مع ذلك الرجل فواعداه ان يأتياه ينبئها بعد أيام قلائل وكان موعد صدق فتركها وانصرف الى حاجته

فانتهى ذلك الأجل واذا بأحد المتسامرين قد أنجز وعده وجاء لصاحبها في بيته حاملا كتاباً مما نشرته تلك الخاطئة ثم ذهبا به الى ذلك الرجل الذي عاهد ربه على الرد عليها فكان من أمره ما كان

فقام القسيس قائلاً يا جنبيهي وحرمة المسيح اننا لا نتوق الى معرفة ما

الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها والله سميع عليم) نزلت هذه الاية الشريفة لبيان الحقائق لا للنهي عن القتال كما زعمت أيتها المفتونة المجهولة فقد جاءت قبلها في تلك السورة اية الامر بالقتال بقوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) ثم رغبهم في الانفاق على المجاهدين بقوله (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ثم بعد ما ذكر لهم حال نبي من أنبياء بني اسرائيل مع قومه ليكون لهم تذكرة قال (ولولا رفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل عظيم) يريد أن الجهاد فيه اصلاح فساد وصلاح أحوال ثم قال بعد قليل (يا أيها الذين امنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) يريد أن ذلك اليوم لا يجد الظالم شفيعاً ولا صيراً ولا يغني الخليل عن خليله شيئاً ولا يكون هناك أكبر ظالم الا الكافر لانه ظلم نفسه بالطغيان وظلم ربه بالاشراك به ما لم ينزل به سلطاناً ثم جاء بعد ذلك الحق تبارك وتعالى يصف نفسه ببعض شؤون الالوهية فقال (الله لا اله الا هو الحق الحي القيوم) الى ن قال (وهو العلي العظيم) ثم قال بعد ذلك (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) يريد أن الإله الذي له ملك السموات والارض المتصف بتلك الاوصاف الكمالية والجلالية لا يكره عاقل على أن يتقرب اليه بسلوك طريق المعرفة والمحبة لانه من آمن به واتبع هداه فقد استمسك بالعروة الوثقى ثم قال بعد ذلك (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فمن أي طريق يأتي مفهوم النهي عن القتال في هذه

فلو أن فيهم مؤمنون لمـا طغوا ولا فشت الفحشا بأشنع ريبة
فما منهمو الا حليف لسانة وعالم سوء مغرم بالسياسة
ولوأن فيهم من يهاب لما علا لخاطئة صوت بأدهى خطيئة
فيا رب لا تلحق بريئاً بمجرم ومثل بمن قد أيقظوا كل فتنة
وقيض لنصر الدين قوماً تحبهم وصل على المختـار خير البرية

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم تخيل الخاطئة أمامه وقال أيتها الخاطئة إنا سنأتيك مرة من طريق العقل وأخرى من طريق الشرع عسى أن يصدعك طارق الحياء والخجل كما صدع قرينك المفتون فنقول ان القرآن ما أنزله الله الا بلسان الأمة التي نزل عليها وليس بمعقول إن تلك الأمة تجهل معاني ما أنزل بلغتها التي أسس عليها النحويون قواعد النحو وكذلك تأسس عليها علم المنطق والبيان والصرف فهل من قائل إن قوماً من أصحاب محمد قالوا له إن الله أمرك بعدم الاكراه في الدين فلا نقاتل معك إذاً لتنازعوا وفشلوا وتداولت عنهم بذلك ألسنة المفسدين الذي كانوا يتربصون بهم كل مكروه

وهل سمعت اذن من مبدإ الدنيا الى الان برجل اتخذ التحايل والكذب مذهباً في أمة من الامم وتابعه عقلائها وفضلائها وما افتضح حاله في حياته ولا بعد موته أظن ذلك لم يكن بل أنا وأنت وكل عاقل على يقين من أن ذلك ما كان ولا يكون فكيف كان ذلك من هذا النبي الكريم وكيف ظل أمره مبهماً على أفاضل تلك القرون العديدة حتى تفطنت أيتها الخاطئة له وانتصبت لفضيحة حاله أيتها المفضوحة ان ذلك لنوع من أنواع الجنون ثم قال

وأما الشرع فقد قال الله تبـارك وتعالى في الاية الاولى (لا اكراه في

قام يشوقهم اليه فنفروا عنه وفروا فرار الحمر وكان ذا قوة فألجأهم الى العود اليه قهراً فلما أحدقوا به قال لهم ان الذي تهيأتم لتناوله هو طعام مسموم بكذا وكذا من السم وما قدمه لكم الا عدو يريد اهلاككم وأما أنا فقد جئتكم بطعام طيب لا يجهل حسنه لانه مركب من كذا وكذا كما ترون ولكني الان بعد هذا البيان لا أكرهكم على تناول ما لا تشتهونه فان من تناول هذا سلم ومن تناول ذاك هلك ثم قام لقوم اخرين أظهروا عداوته وبارزوه بالأذى والعصيان فجاهدهم حتى تمكن من القاء هذا البيان على آذانهم بعد ما قتل منهم أقواماً جبارين ثم بعد ما بين لهم الحق قال لهم كما قال لمن قبلهم هكذا كان مثل القوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المبارزة بالعصيان والعداوة في قتل وقتال وعند الطاعة وعظ وبيان وهذه هي طريق المصلحين

الاية الثانية قال الله تبارك وتعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) جاءت هذه الاية الشريفة في معرض الحث على الإنفاق بعد ما قال الله تبارك وتعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) يريد الجهاد (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) ثم مثل الانفاق في غير الجهاد بقوله (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فان لم يصبها وابل فطل) وما زالت الايات مسترسلة في هذا الموضوع الى ان قال (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتأتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) ثم قال عقب هذه الاية بغير فاصل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) . فلو ان الضمير في قوله هداهم اعتبرناه عائدا على فقراء الكفار من أولئك القوم

الآية الشريفة الا من طريق السفسطة التي هي دأب المجادلين وحرفة الزائغين وما كان تفسير الائمة مفيداً هذا المعنى ولو أنهم زعموا ذلك لما كان قولهم حجة على الله وعلى نبيه لان العرب كانوا أعلم من الائمة بلغتهم وكانوا مشاهدين لقرائن الاحوال وهم المأمورون بأن يقاتلوا وهم الذين قال الله فيهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ثم قال في تمام الاية (وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والفرقان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فلو أنهم فهموا من الله اشارة للنهي عن القتال في هذه الاية أو غيرها لعلموا أن هذا البيع مفسوخ ولما أطاعوا أمر القتال وخرجوا اليه بأموالهم وأنفسهم متيقنين أن الجنة تحت ظل السيوف اذاً فلا معنى لهذه الاية إلا أن الدين طريق محبوب قويم يهرع اليه كل ذي عقل كامل وقلب سليم وأنه طريق النور والنجاة وسبيل موصل للسعادة الابدية ولأن يكون الانسان في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا يكره العاقل على سلوكه وأداء واجباته متى علم الحق وتبين الرشد من الغي وما تبين الرشد من الغي الا من معنى آية الكرسي التي أثبتت لله سبحانه وتعالى الالوهية ونفتها عن غيره وما أكره النبي صلى الله عليه وسلم الكتابيين ومن أعطوا الجزية على الايمان فما هي المناسبة بين قتال الباغين وبين اكراه من دخل تحت طاعته ولم يؤمن وهل اذا كان الله سبحانه وتعالى أحب أن ينهي نبيه عن القتال فلماذا لم يقل له لا تقاتل فاني لا أحب القتال هل كان عليه من حرج أو ورد ذلك في القران وصار محوه كلا انك اذاً لمن الخاطئين

تالله ما مثل اولئك الكفار في هذه الاية الا كمثل قوم جياع أولي فاقة تهيأوا لتناول طعام مسموم فجاءهم مرشد ينهاهم عن تعاطيه وعنده طعام طيب

ما ذكرناه من أن الاديان متحدة وأنه دين واحد وهو الاسلام أي الانقياد لله تعالى في جميع ما يرضيه قولا وحالا وعملا ثم قال لنبيه (فان حاجوك في الألوهية وادّعوا ألوهية المسيح فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقداهتدوا) يريد فان اعترفوا بأن الله إله واحد فقــد اهتدوا وان تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) يرى المتأمل أن في هذه الآية سر مكتوم وهو أن كثيرًا من أهل الكتاب من كان يكتم ايمانه خوفا من حدوث أمر من الامور الغيبية المؤمنين فيكون ظهاره الايمان مضرًّا بحاله وعلم الله منهم ذلك فقال لنبيه (إنما عليك البلاغ) قم بما وجب عليك وأنا بصير بمن آمن منهم ومن كفر اذ أنت الان لاتخشى نهم غائلة خديعة ولا مكر سيئ وهكذا حال كل عدو ضعيف دخل في حيازة وي لا ينبغي أن يعامل بالقسوة والعنف فما كان محمد صلى الله عليه وسلم عند زول الاية مستعدا للقتال ونهاه الله عما فيها ولا كان في عزمه قتال من هم في وزته من المشركين فما أدري كيف تصورت ذات الإزار الممزق أن في فحواها يشعر بتحريم قتال القوم الطاغين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم القوم الذين دعاهم لان يسمعوا دعوته ما هي وما الذي يدعوا اليه فامكنوه ن ذلك تالله لا يشم المتأمل لشيء من ذلك رائحة في هذه الاية بل وجميع آيات التي أوردتها كما سيأتي بيانه والله على كل شيء وكيل

الاية الرابعة قال الله تبارك وتعالى (وكذب به قومك وهو الحق قـل ت عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون)

هذه الاية دالة على ما كان عليه أهل مكة في مبدإ أمرهم وما كان الله سبحانه وتعالى ليأمر بقتال قوم لا يضر حلمه عليهم بحال نبيه حتى يتحققوا الامر

لما كانت الآية إلا من باب الحث على مكارم الاخلاق لا من باب النهي عن القتال ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم والاهم بالصدقات حتى استغنوا وقاموا لمقاومته لوجب قتلهم إذ اللئيم لا يقابل إلا بما يناسب حاله هـذا اذ قلنا أن القتال وقع على هؤلاء الفقراء المتطوعين أي الذين هم تحت طاعته وان لم يؤمنوا به أما اذا كان القتال لقوم آخرين جبارين كانوا أهل عناد وفساد فلا دخل للآية هنا ولا يكون الاستشهاد بها على تحريم القتال الا من باب الخلط والعبث الذي لا يصغي اليه عاقل والله على كل شيء شهيد

الآية الثالثة قال الله تبارك وتعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) الآن نسأل الخاطئة سوءاً لا حسناً وهو هل محمد صلى الله عليه وسلم قاتل الذين أوتوا الكتاب والاميين من قومه أم لا وان ادعت بلا برهان أنه قاتلهم نقول هل كان قتاله لهم لدواعي وأسباب صدرت منهم أم بلا سبب فان قالت بلا سبب نطالبها بالبرهان اذ القرآن ما ترك واقعة من وقائع كفار قريش الا وذكرها وان قالت لاسباب فلا دخل هنا للدين بل يكون القتال مدافعة وصوناً لدماء المسلمين وما في ذلك من اثم ولا عار ولكن الذين كفروا في شك مريب

هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم) يريد أنكم تدعون أن الاله الذي تعبدونه ثلاثة الأب والابن وروح القدس ولكنه قد شهد لنفسه بأنه لا إله الا هو وشهد له بذلك ملائكته وأولوا العلم من الرسل الذين منهم المسيح ثم قال (ان الدين عند الله الاسلام) وان في ذلك لإشارة الى صحة

وينذرهم بعذاب النار ثم يقول له لا تدخل بيني وبينهم ولا تنهرهم واياك أن تغضبهم أو تغصبهم على الايمان تالله ان كل متخيل يتصور فكره هذا المعنى لفاقد الذوق وأعمى البصيرة اذًا فما كان لخالق النار من حكمة ان كان الله ذا عناية بهؤلاء الانعام الذين يعبدون الاصنام أليس المعنى بظاهر الكل متأمل في الآيتين وهل في الاية التي ذكرتها ما يشير الى تحريم القتال أم يتصور الاغبياء أن معاملة الله للضعفاء الذين تمكن النبي من إلقاء النصائح اليهم حيث لا يخشى منهم ضررا ولا أذى تكون كمعاملته لقوم طاغين يريدون أن يفتكوا برسوله ومن معه ان هذا لهو الضلال المبين

ولقد جاءت هي الخاطئة تزعم ان الجبر على الدين سبب لضياع الاجر وان الله ما خول للانسان حرية الضمير في أعماله ومطالبه الا ليستحق الجزاء عقابًا وثوابًا فما أعجب ما يعمل الجهل بأهله اذ لا ثمرة للجهل بفقد الحياء والخوف الا الغرور فليت شعري متى كان ابن آدم حر الضمير وهو مقيد بالامدادات الالهية باطنًا وظاهر الا ينفك عنها ثانية من دقيقة وان حاله معبر به كما قال القائل

مولاة قلبي من الست الجهات متى   يحظو بتدبير ... مثلك مولاك

والنترك هذا المشرب لاهله رضى الله تعالى عنهم و ... ونقول إنا لو سلمنا ان للانسان ارادة واختيار كما زعم المبطلون لا نسلم انه من شأنه ان لا يكره على ما فيه صلاحه لانا نرى انه لا يربوا الا في ... عند ما يكون جنينًا ثم طفلا الى ما بعد التمييز وما كان للتمييز معنى الا قوة تجربة فمن الناس من تزداد قوة تجاربه واطلاعه حتى يوصف بعالم ومنهم من لم يزل على حاله حتى يموت اذا فما زاد عليه شيء صيره مالكا بعد ما كان مملوكا ... انا نراه محتاجًا الى التأديب والتعليم والاستنارة الى ان يموت مهما وصل ... درجته من المعرفة

على ما هو عليه فيؤمنوا أو ينقرضوا وتؤمن أبناؤهم اذ الناس لا يكونون في الغالب الاعلى دين ملوكهم أو يكون منهم ما يوجب القتال فيصدر الامر بقتالهم وهذا أمر لا ينسخ مفعوله اذ العدل يقضي أن أي أمير استولى على رعية يلزمه أن يبث فيهم النصائح ويلقي اليهم المواعظ بما من القوانين يريد ارتباطهم به حتى اذا استدعت الحال للغلظة عليهم فعل ولا اثم عليه هكذا هو الذي جرت به سنة الله في خلقه فأي طريق اذاً يهتدي بها المتبصر في الاية الى تحريم القتال وقد جاهد محمد صلى الله عليه وسلم أقواماً كثيرة وما صدرت له من الله اية نهي ولو كان الجهاد منهياً عنه لما امتن الله عليه في كثير من الايات بالنصر والفتح المبين فهل كان النصر والفتح الاعن قتال فهلا خجلت تلك الخاطئة من التطويل في التداول بالجهل المهلك ان هذا لهو الضلال البعيد

الاية الخامسة قال الله تبارك وتعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) جاءت هذه الاية بعد ايات وصف الله بها من أشركوا بالجنون وعرف نفسه بأنه خالق كل شيء بقوله (ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) فكان هذا خطاباً عاماً لكفار قريش ولمن ادعى البنوة من أهل الكتاب يريد أن الاله الذي تراه الاعين لا يكون الهاً ثم قال (قد جاءكم بصائر) الاية وبعد قليل قال لنبيه (ولو شاء الله ما أشركوا وما أرسلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل) اذاً فكل ذي ذوق يرى أن هذا الخطاب عناية برسول الله لكيلا يحزن على عدم ايمانهم كما صرح القرآن في كثير من الايات بذلك اذ ما من سليم ذوق ذي عقل وافر يتصور أن الله يرسل رسولاً لقوم عبدوا غيره لينهاهم عن الشرك

فلا النصيحة والارشاد مفيدان لجميع أفراده ولا الاغواء والاضلال موقعان الكل في دركات الجحيم فجاءت الايات القرآنية رحمة لقوم مؤمنين وقال الله لموسى (فلا تأس على القوم الفاسقين) وقال لمحمد (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وما كان ذلك من قبيل الرأفة والرفق ولكنه من قبيل إراحة قلب نبيه من الحرص على ايمان من لا يؤمنوا والاسف عليهم وأما الذين آمنوا فقد قيدهم الله بقيود لا انفكاك لهم عنها حتى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا اذ لو ترك الانسان ونفسه لكان كالبهيمة يرتع كيف يشاء ولا حرج عليه ولكن الامر ليس كذلك اذ لا محك للابتلاء الذي هو بمعنى ظهور أوصاف الانسان الخيرية والشرية له وعليه بما يأتي به من العمل الا الامر والنهي وما كانا إلا كالقيود للنفوس لكيلا تجمح الى ما يضرها وما كانت الغاية التي جاءت الاوامر والنواهي لأجلها الا معرفة الله واغتنام مرضاته وقد نهت الرسل عن البحث في ذات الله لعلمهم ان الانسان جهول لو ترك في تيه ظنونه لأخذت الحيرة بمخنقه الى مسارب الشياطين كما هي مشارب الزائغين الآن فلذلك حجروا على الانسان البحث في ذلك وشرعوا له طريقاً علمها الله لهم توصله الى معرفة الاله وهي الدين الذي ما جاء الا لوجهتين الاولى من جهة الحق وهي معرفة الله تعالى والثانية من جهة الخلق وهي الفوز بعهد الله المشار اليه بقوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) فلو ترك الانسان لأغراضه وشهواته وأهوائه التي تتجاذبه لما تمكن من الوفاء بذلك العهد فان كانت حرية الضمير بمعنى ان الانسان لا يكلف بعمل مخصوص يترتب عليه الإتيان به فلا فرق بينه و بين البهائم وان كان المعنى أنه متى تبين له الطريق القويم من المعوج يكون له الخيار في أي طريق سلك فنقول ان الطريق المعوج لا يتبين لسالكها اعوجاجها الا اذا سلك الطريق القويم اذا فلا بد من جبره

والكمال فمن أين تأتيه الحرية ومن أي طريق سلك مسلك الربوبية بعد ما كان مربوباً اذ الحرية ما صحت الا لمن لا يعجزه شيء ولا يحتاج لشيء لانها الخروج عن ربقة الرق وما زال الانسان ولا يزال رقاً لكل ما يحتاج اليه من الاسباب ان قلنا أنه لا اله قاهر فوق عباده ومتى كان الامر كما ذكرنا كانت دعوى حرية الضمير باطلة وما كانت تلك الاراجيف من تلك الخاطئة الا نتيجة غرور ألجأها الى الاعجاب والزهو بما تنشره بين أنعام من أبناء جلدتها الذين ظنوا ان الله خلق الارض وما فيها وأسلمها للانسان يتصرف فيها كما يشاء وتخلى عنها فكأن الانسان الآن هو اله هذه المخلوقات التي كثيراً ما يؤذيه أضعفها كالبرغوث والناموس اقتداء بالفلاسفة الذين هم الداء العضال لكل دين من الاديان السماوية وانهم لأجهل الناس بما هو الدين وما ذلك إلا لأنهم عباد أهوائهم واسراء ظنونهم وأما عباد الله الاتقياء المقربون فما علموا لحرية الضمير معنى الا اتباع الهوى الذي نهى الله أصفياءه عن اتباعه لعلمهم ان الانسان في دائرة الإرادة الالهية وقبضة القدرة العلية لا ينفك عنها طرفة عين وانه مسخر مسير لما يراد به ومنه في جميع الشؤون كما هي جميع المخلوقات العلوية والسفلية وقد تحققوا ان الله سبحانه وتعالى ما أورد على نبيه في القرآن جميع الآيات المماثلة لقوله (لا اكراه في الدين) كقوله (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وقوله (قل تربصوا انا معكم متربصون) وقوله (ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) وكقوله (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وكذلك الآيات التي أوردتها هذه الخاطئة إلا لما سبق في علمه مع ان النوع الانساني موقع الثواب والعقاب ومورد الفضل والعدل وكان من ما أسسته الحكمة والارادة الازلية ان يكون منه شقي وسعيد

الاية السادسة قال الله تعالى (ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل) والاية السابعة (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) كل عاقل يعلم أن مفهوم الايتين دال على أن الله سبحانه وتعالى ينهي نبيه عن الحرص على ايمان هؤلاء الكفار والحزن عليهم ويعلمه بأن الامر كله بيده اذ لا يؤمن المؤمن الا باذنه وما كفر الكافر الا لأنه حقت عليه كلمة العذاب وما كان هذا القول الا رفقاً بالنبي حتى لا يكون في صدره حرج من كفرهم وكيلا يتوهم أن الله غير راض عنه لتقصيره في تبليغ ما أمر به ولئلا يقيد قلبه بقيود الرأفة بهم والحنان عليهم كما تشير اليه آية قوله تعالى (يا أيها النبيُّ جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) فما كان قوله وأغلظ عليهم الا لعلمه بما انطوى عليه من الرحمة والحنان وذلك بخلاف قوله لموسى وأخيه (فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى) لما يعلمه في حال موسى عليه السلام من الحدة وشدة الغضب ولقد سبق بيان ذلك غير مرة فلا فائدة في التطويل

الاية الثامنة (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيـل) التاسعة (والذين اتخذوا من دون الله أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) العاشرة (فان تولوا فانمـا عليك البلاغ المبين) الحادية عشر (واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) الثانية عشر ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله الثالثة عشر (ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو

عليها حتى يتبين الرشد من الغي ولو لم يلجأ الانسان الى العلم بالخير والى العمل به فلا معنى للحدود الشرعيـة إذًا فدعوى أن الإكراه على الدين يبطل الثواب والعقاب غـير معقول لان الله سبحانه وتعالى جعل الثواب والعقاب موقوفان على الاعمال أي جزاء لها وبين حال المؤمنين والمنافقين وقال ان المنافقين في نار جهنم لا تقبل أعمالهم لانهم ما عملوها الا رِآءً فلادخل للإلجاء إذًا في ضياع الثواب انما الدخل لحال الشخص المكره على الايمان فان صح إيمانه وحسنت أعماله نال ثوابًا وان أخفى كفره وأظهر ايمانه فهو منافق ولا يكون الثواب والعقاب الا بعد بلوغ الدعوة مبلغها من الامم لقول الله سبحانه وتعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولا تبلغ الدعوة مبلغها الامن بعد قتال وجهاد فلو أن نبيًا جاء أهل قرية ونادى فيهم بأنه رسول الله اليهم فطردوه قبل أن يتبينوا حاله وتركهم وانصرف لما قيل أنه قام بأعباء الرسالة ولما كانوا ممن بلغتهم دعوته فلذلك سن الله الجهاد للرسل الذين كلفهم بنشر قوانينه بين القوم الطاغين ليتمكنوا بالجهاد من القاء النصائح اليهم حتى اذا تمكنوا من ذلك لا يكون الرسول ملزمًا بجبرهم على الاستقامة ولا يكون مسؤولا عنهم ولا عن أعمالهم بل لا يكون ملزمًا الا بإقامة الحدود على المتعدي مؤمنًا كان أو كافرًا هذه هي سنة العدل الالهي فجاءت هذه الخاطئة بعـد مضي هـذه الأزمان تنبح نبح الكلاب فما مثلها بين عيسى ومحمد الا كمثل كلب ألجئه الجوع الى حي من أحياء العرب فلما طعم جاء ينبح الوفود وما علم أنهم أهل ذلك الحي جاؤا لإحياء ما اندرس من معالمه بعد ظعن الظاعنين من أسلافهم فلو أن للكلب ادراك لما نبح القوم الذين لو لا أنه نبحهم لما أصبح مطرودًا من حيهم (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)

سفهاء الامم أهل البذائة والسانة ما تطاولت ألسنتهم بدعوى العلم إلا لخلو الديار من أهلها ولو أن أحد أولئك الافاضل أو من يماثلهم في الفضل والتقوى وكال الادب ومحاسن السكينة والوقار موجوداً لما نبح الدين كلب من هؤلاء الكلاب التي علت أصواتها وتزاحمت فلتاتها وغلطاتها

وان كان المقصود تكذيب رسول الله والخوض في آيات الله فما علينا الا أن نطرح الحق والباطل بين أيدي المطالعين ونكل الحكم الى معارفهم فمن كان متنوراً مبصراً عرف الحق وانتصر له وأما من أظلم قلبه وأخذ الافتتان بخنقه الى مصارع الطغيان والغرور فما أنا عليهم بحفيظ

لقد جاءت تلك الخاطئة بما جاءت به من الآيات تدعى أن محمدا ماجاء بآية وماجاءت في ذلك الباب الا بست آيات والمطالع النبيه يعلم أن القرآن جاء بمائة وأربعة عشر سورة وكم من سور تحتوي على مئات من الآيات وكثير منها ما يبين فضل النبي وما جاء به من المعجزات وقد أنكرت ذلك وزعمت أن القرآن ما ذكر لمحمد معجزة قط وقد بينا خطئها فيما سبق فهل كانت تريد هذه الخاطئة أن كل آيات القرآن تذكر معجزات محمد صلى الله عليه وسلم أو توهمت لجهلها بموقع الخطاب أن مفهوم آية يبطل مفهوم الآيات غيرها أو أن الله تبارك وتعالى ملزم باثبات الوهيته لكل جاحد فاما أن يجيب كل طالب فيما طلب من الآيات واما أن يكون ليس باله ويكون الرسول غير صادق فيما جاء به كمحتاج ألجأته الحاجة الى أغنياء وادعى الانتماء اليهم أو سبوق منة له عليهم فطلبوا منه دليلا على دعواه ليكافئوه أو ليهبوا له ما هو محتاج اليه أليس الله غنيا عن العالمين وما أرسل رسله الا لما قدره من مقادير النقم والنعم التي لا نفوذ لاحكام

أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) الرابعة عشر (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) الخامسة عشر (انا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل) هذا آخر ما أوردته الخاطئة من الايات التي زعمت أن الله سبحانه وتعالى نهى بها النبي محمدا صلى الله عليه وسلم عن القتال ثم خالف وقاتل ولقد جاءت تلك الخاطئة بملاحظات على كل آية من الخمسة عشر متناسبة المعنى لا يعقل منها المتأمل الا التحامل على المفسرين لعلمها أنهم قد فقدوا فلا مبين منهم لما قصدوا ولا مدافع بدافع عنهم سهام أغراض من جحدوا ولقد كانوا قوما عقلاء علماء أهل خشية وأدب ما تجاوزوا في تفاسيرهم حدود الاداب بل كانوا يتناولون وقائع الايات من الناقلين و يأتوا بالتفاسير على مقتضاها من طريق الاحتمال اذ الحق سبحانه وتعالى هو أعلم بمراده فنحن الآن نطالب هذه الخاطئة بأمرين أحدهما اما الاعتراف بأن القرآن كله من عند الله وان هذه الايات هى منزلة على رسول الله واما أن تنكر ذلك فان كانت من المنكرين كما هو معلوم منها جاءت به من وقاحة السفسطة فقد بطل الاستشهاد بها بلا نزاع ولا جدل وان اعترفت بأنها من عند الله ونزلت على رسول الله فقد زال الاشكال بما قررناه قبل من أن رسول الله وصحابته أعلم بمعنى ما أنزل الله من كل عالم ومتى ثبتت رسالته استحال عليه الكذب بل وكل ما يستحيل على الرسل والامر الثاني أن تبين ما قصدته بما جاءت به من الملاحظات وجرته من الذيول على قذورات السفه والسفاهة فان كان الغرض من ذلك اهانة المفسرين ليس الا مع العلم بأن القرآن من عند الله وما أوجد فيه العيوب التي ذكرتها الا عدم علم المفسرين بمواقع الخطاب الالهي فلا التفات لذلك لانا وكل مؤمن تقي يعلم علم اليقين أنها هي وكل

يتفطنوا لما تفطنت له تلك الخاطئة وهلا قالت الفصحاء والبلغاء من قريش أو من غيرهم من العرب أن هذه الاوامر متضاربة فلانطيعها فليت شعري من أين اختلقت تلك الخاطئة تلك المعاني التي لا تنطبق عليها ألفاظ الايات ولا قرائن الاحوال التي نزلت لها ان الله لا يحب كل أفاك أثيم

جاءت تلك الخاطئة تجر ذيلها النجس على قذورات القذف والطعن فيمن لم يخلق الله من هو قرينه في العلم والعمل والحال الشريف الذي مدحه الله عليه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) وتالله ماوطئ الثرى قبله ولا بعده من هو أكرم على الله منه وما جاءت أمة من الامم المتدينين بأفضل مما جاءت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة والفوائد المأثورة التي كلها نتائج ما غرسه ذلك النبي الكريم ولا يجهل هذا الا ضائع العقل ساقط المنزلة بين ذوي الفضل سيء الخلق قليل المروءة ضعيف النظر مظلم القلب تالله لو أنصف حكماء أوربا وعلماؤها لنسبوا كل ما دوّنوه في قواعد الكمالات العلمية والادبية الى هذا النبي الكامل الذي ما ظهر في الكون كمالات أدبية الا بعد بعثته كما يشهد بذلك التاريخ ولسنا نقصد بالكمالات الادبية أنموزج التمدن الذي ظهر في الكون الآن لانا نعتقد أنه دستور الغضب ومغناطيس اللهب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

قالت تلك الفاتنة المفتونة ان محمدا كان في مبدإ أمره ذا تواضع ودعة وحلم حتى اذا استفحل أمره صار رجل حرب وقتال وقالت اذا كان القرآن هو معمول به الى يوم القيامة فكيف يكون المخلص من تضارب الآيات وطلبت من ذوي الفضل بيان المخلص من هذا الاشكال كأنها ظنت أنها بسفسطتها أحدثت في عقول العقلاء خبلا وأودعت قلوبهم شكا مريبا فكانت كذعور

الفضل والعدل الا بها ولو أنه أرسل جميع الرسل كما أرسل الغالب منهم بغير آيات لكانت له الحجة البالغة وهلا تفطنت تلك الخاطئة الى أننا لو فرضنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يأت ولا بآية واحدة كما زعمت لكان ذلك له غاية الفخر ونهاية الشرف والفضل اذ الرسول الذي لم يأت للناس بمخوفات ولا بخوارق عادات واتبعه كثير منهم بأحسن متابعة تابعت بها الامم رسلها لابد أن يكون رسولا كريما ذا عمل صالح وحال قويم وقول صادق والا لما اتبعه أحد وان قالت الخاطئة انهم ما اتبعوه الا قهرا بعد قتال شديد قلنا انها لكاذبة لانه صلى الله عليه وسلم تربى يتيما وأرسل للناس وهو فقير لا مال له ولا جنود وقد نشأ في قومه مؤدبا بالادب الذي أشار اليه بقوله أدبني ربي فأحسن تأديبي ولذلك تكاملت في الكون أسراره وتسامت في سماء المجد أنواره ولقد بينا فيما سبق بعض ما أيده الله به من المعجزات وأظهرنا تحامل هذه الخاطئة على هـذا الجناب الرفيع بما تحاملت به من السفه فتحملت من الاوزار ما لا تنجو من شديد عقابه الا اذا نجا فرعون وقومه من أشد العذاب وما الله بغافل عما يعمل الظالمون

ثم جاءت في الباب الثاني بالآيات التي سبق بيانها كلها من سور ما أنزلت الا لتهديد القوم الذين تدعي أن الله نهى عن قتالهم ثم بلعنهم وبإنذارهم بالوعيد والعذاب الشديد مع وصفهم بالجنون وغالب الاوصاف الذميمـة وكم في تلك السور التي جاءت فيها هاتيك الآيات من آيات تأمر بالقتال وتنهى عن مخالطة هؤلاء الـكفار وعن اتخاذهم أولياء فلو قلنا أن القرآن من عند الله وكان مفهوم الايات كما زعمت لكانت هي أعلم من الله بمعنى ما أنزله على عبده وان قلنا أن القرآن من عند محمد لكانت هي أفقه منه ومن جميع أصحابه وأهل عصره وأفاضل القرون بعده الذين نادى فيهم القرآن بأنكم لا تأتون بمثلي فلما ذا لم

فيلزمه العدل والحكمة أن يدعوا الناس بالرفق واللين حتى اذا رأى منهم مبارزة بالعدوان دافع وضارب حتى يكون حزب الله هو الغالب وليس من الحكمة أن الله يأمره بالقتال من قبل أن تظهر الضغائن التي أكنتها صدور الاعداء ولا من قبل أن يقوم لمقاومته المقاومون الذين تعودوا ايصال الاذى الى الرسل كما هي عادة كل كافر خلق لان يكون وقودا لجهنم كما أنه ليس من الحكمة أن يتعدى عليه أهل العدوان الذين يريدون البطش به وبأمته ويودون أن يطفؤوا نور الله ويخفضوا كلمته ثم ينهاه عن قتالهم أما علمت الخاطئة أن الاحجام عن مدافعة العدو يعد جبنا أما سمعت قول القائل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته — وان أنت اكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندا في موضع السيف بالعلى — مضر كوضع السيف في موضع الندا

أظنت تلك الخاطئة ان قوما يجحدون نعم الله ويكفرون برسله ويعبدون الاصنام ثم يبالي بهم الله في أي واد هلكوا تالله لو كان هذا من العدل والرحمة لما أهلك الله الامم الماضية بالطوفان وغيره وفي ذلك أقول

فهل غير حد السيف تبغون شرعة — لمن جحد الرحمن فارا الى الوثن

وهل لأنوف أو رؤوس تكبرت — على الله الا صولة الفتك والمحن

فلولا صقيل السيف ما لان جامد — ولا ذل ذو عز ولا صلح الزمن

وقد عبدوا شمس الضحى بضيائها — كما عابها وقت الهجير أخو الظاعن

ألا هل بين الامر بالقتال عند لزوم القتال وبين الامر بالرفق بمن لا قوة لهم على القتال تضارب مع رضوخهم لاوامر الله ولاحكامه وحدوده بغير نزاع ولا معارضة ألم يجعل الله لهم على المؤمنين حق رعاية الذمة أليست هذه هي شؤون العدل لكل حاكم انه لا يكره من كان تحت رعايته لا على الانقياد

فرّ من طارق أزعجه ليلا فظن ظراط أسته صياح مغتال يتبعه أو كمتوه أغلقت الريح بابه عليه فظن نفسه مسجونا فهل ظنت تلك الخاطئة أن كلما تخيلته من الخزعبلات التي ألقت بها نفسها على أبواب جهنم يتخيله كل ناظر كلا ان الفضلاء لمنزهون عن أن يرون في آيات القرآن اختلافا ولا تضاربا لانهم يعلمون أن نزول القرآن كان بمقتضى الوقائع وقرائن الاحوال وأنه ماجاء الا بيانا للاداب العملية والحالية والقولية التي يحتاج اليها كل راق الى مراقي الكمال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ومماتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم فان وجدت خيرا حمدت الله تعالى وان وجدت شرا استغفرت لكم فكانت كل آية تأتي في موضعها محكمة بحسب الأمر الذي نزلت لبيانه وبيان ما يعمل فيه فما كان القتال الا لاسباب طارئة فإما لمدافعة عدو واما لاطفاء فتنة واما لتبليغ الدعوة لمن لا يمكن الوصول الى تبليغها اليه الا بعد جهاد وقتال ثم كانت الدعوة الى سبيل الله بالحكمة لخواص المؤمنين الذين تنورت قلوبهم وبالموعظة الحسنة لعامة المؤمنين وبالجدال بالتي هي أحسن لأهل الكتاب ومن سالموه من الطوائف الأخر ولو كان القتال ممنوعا لما أمر الله نبيه بالصبر في مبدإ أمره كما سبق بيانه قبل ولما وعده بالنصر والفتح المبين حتى حصل ما حصل وكان ما كان من نزول الملائكة لنصره والقاء الرعب في قلوب أعدائه من مسيرة شهرين وما تجاوز القرآن في أوامره حد الحكمة التي بها تنتظم أحوال الامم وتستقيم قوائم العدل ويصلح فساد العامة وتدفع شرور أهل البغي والعدوان اذ ليس من الحكمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه بالقتال من أول يوم بعثه بلا جنود ولا عدد وما كان ابن ملك ولا ذي سلطان يريد استرداده من مغتصب له بل هو رسول كريم جاء لهداية الناس وارشادهم

الا كراه على الدين هو بمعنى اجبار أهل الطغيان والمفسدين الذين لا تأمن شرورهم ولا يعرفون للعدل طريقاً على الدخول في طاعة الامام العادل والرضا بأحكامه القصاصية وعلى الوضوخ لاوامره العدلية فيكون في طاعة أوامره الكفار والمؤمنون سواء وبذلك تنام الفتن وتعلوا كلمة الحق فلذلك كان القتال والاكراه على الدين واجباً ومن ظن هذا ظلماً أو تعسفاً أو خروجاً عن الحدود الادبية فقد نادى على نفسه بالجهل وعدم المعرفة وطيش الفكر ولذلك أمر النبي بضرب رقاب رؤساء اليهود الماكرين من أهل قريضة لانهم استسلموا له نفاقاً وخدعة عند ما أمر بقطع نخيلهم بأمر الله لعلمه ان المال معادل للروح وان المعاند لا يستسلم الا بسلبه أحدهما وقد كان القوم مصرين على عدم الاستسلام فهددهم الله بقطع النخيل حتى اذا استسلموا خداعاً أمر بقتل المخادعين منهم للبقاء على الباقين فجاءت الخاطئة تعيب هذا العمل لجهلها بعمل الامراء ومسلك العقلاء فيما يماثل هذه الوقائع وأما الا كراه في الدين فهو بمعنى الجبر على أعمال البر واداء الفرائض واداء الشهادتين وغير ذلك مما تستنير به القلوب ويدخل الانسان به ملكوت الرب فلا يجبر اللئيم على الكرامة اذا أباها وقل ان يسلك الشقي مسالك السعداء ولو قطع إرباً فلذلك قال الله سبحانه وتعالى (لا اكراه في الدين) لعلمه ان من القوم شقي وسعيد وليس في قدرة النبي صلى الله عليه وسلم ان يهدي الضال ويسعد الشقي لان ذلك أمر مفروغ منه والناس في جيوب القدرة الالهية وخزائن القدر وقد كان حالهم في عهد النبوة بل وفي كل زمن كما تراه الآن فلو انك أخذت بخنق الشقي الذي يترامى بروحه وماله على مواطن الملاهي وكان معك جملة أعوان وأنصار الى موارد السعد إما تمكنت من ايصاله اليها لا كرها ولا طوعاً بل يفر من المساجد فرار الجريم من السجن ولو انك حاولته

للاوامر التي بها يستتب الأمن وتصلح الرعية وهل بين الحث على تبليغ الدعوة بالصدع بالاوامر و بين الترغيب في التصدق على من لم يؤمن إذا كان محتاجا تضارب وهـل بين النهي عن الحزن على الكفار لعدم ايمانهم وقول الله لنبيه ما عليك الا البلاغ وليس عليك هداهم ولو شاء الله ما أشركوا تطمينا له و بين أمره باطفاء الفتنة بالقتال تضارب كلا والله لا يتخيل ذلك الا من لا ذوق له ولا ادراك أفلا يعلم المتبصر من أولى الالباب ان القرآن ما أنزله الله الا محكم الحـكمة ومعتدل الخطة في وضع الاشياء فى مواضعها ولا يزال العمل بكل ما جاء به واجبا على كل راع في رعيته الى يوم القيامة ولا يزري به ولا يسقط اعتبار آياته كما زعمت الخاطئة عدم عمل الظالمين به لانه ما جاء الا ليكون حجة باهرة للناس وعليهم فكل من جعله منهم في جميع أعماله أمامه قاده الى الجنة ومن استدبره ساقه الى النار ولو ان عدم العمل بآيات الله يسقط اعتبارها كما تدعي الخاطئة لكانت التوراة والانجيل كل منهما مسقوط الاعتبار لعدم العمل بهما لاننا ما سمعنا بمن عمل بهما بل جاء القرآن في عهد رسول الله قائلاً (ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهـم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يريد أنهم بدل ما كانوا يأكلون السحت و يشترون بآيات الله ثمنا قليـلا كان الاولى لهم أن يعملوا بكتاب الله فيبارك لهم في الغيث والنبات فيطعمهم الله من فوقهم ومن تحت أرجلهم يشير الى أن الرزق ليس ببعيد لو توكل الانسان على الله واتبع أوامره ومناهيـه اذاً فلا معنى لقول الخاطئة أن آيات القتال صارت مسقوطة الإعتبار على أن الله سبحانه وتعالى لم يأمر باستمرار القتال على الدوام ولكنه أمر به عند ضرورة وجوبه وأمر بالرفق وعدم الاكراه عند السلم وليس الفرق بين الاكراه على الدين والاكراه فيه خافيا على ذوي البصائر اذ

ومحمد صلى الله عليه وسلم نبئه معلوم وحجته لا تدحضها تمويهات الخصوم وتالله ما شهد عليه شاهد ممن شهدوه أنه قاتل أو خاصم لشهوة أو مال الى غرض دنيوي قط لا في المبدإ ولا في النهاية ولكن ذات المخاض بعد ماخاضت هذا البحر المظلم الذي هو بحر الطغيان واقمها شيطان الغرور فما تولد منها الا افاعي سفه وعقارب قذف صارت في انتظارها في زوايا ذلك القبر المظلم الذي هو حفرة من حفر النار حتى يأتي بها الاجل وما أضرت بمن قذفته شيئاً وهل لباغية انقطع من الرجال أربهـا وعجزها المداعبون الا الخوض في أعراض الادباء وقذف الفضلاء كما تكون الباغيات اذا بلغت من الكبر عتياً وما كان لي أن أكون للخائنات خصيما ولكنما الغيرة تلجأ أحياء القلوب الى ارتكاب كل مكروه

قالت الخاطئة متعجبة كيف يرسل الله رسولا ليكون بشيراً ونذيراً ثم يأمره بالقتال فهل من متعجب يعجب من هذا التعجب أما علمت تلك الخاطئة أن داوود وقد كان جد عيسى عليهما السلام وذكر الانجيل أنه سيجلس على كرسيه كان محارباً وكان بشيراً ونذيراً وكذلك كل الرسل الذين أمروا بالقتال كانوا مبشرين ومنذرين فهل تخيلت تلك الخاطئة أن تبشير الرسل معناه التحايل على الناس بالاماني الكاذبة كما عليه مبشروهم الآن فلا ينبغي لهم أن يقاتلوهم ولو فرضنا وكان الامر كذلك لكان الإنذار في مقابلة التبشير فيكون الرسول له أن يعامل بالرفق وله أن يقابل بالعنف أولم يقل الله سبحانه وتعالى في بعض آياته (فبشرهم بعذاب أليم) فكيف يكون التبشير بالعذاب الأليم اذا لم يكن الرسول صادعاً بما أمر به بكل طريق تمكنه من الغرض المطلوب وهو إعلاء كلمة الله وكيف يتمكن من ذلك اذا كان ضعيفاً بين أقوياء أو قوة ولم يؤمن بمصادمة من قاومه ان هذا لهو الضلال البعيد

إن تأتي بسعيد الى مواطن الملاهي لما أطاعك ولو أنقدته من الذهب قنطاراً ألا ترى ان غالب السفهاء لا تروق لهم إلا مناظر النساء ولا فكاهة لهم الا الروايات الخرافية وأخبار الصحف اليومية ولا ميل لهم الا الى سماع أقوال سفهاء المبشرين من المسيحيين الذين لا دين لهم الا الجدل ولا حظ لهم من الدين الا فتنة العلم وسوء العمل والله على كل شيء قدير

فالآن ما علينا الا ان نبين ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اذ العاقل المتبصر يعلم علم اليقين ان الله سبحانه وتعالى ما أوجد في هذا الوقت ما أوجده من ما يراه الراوون ويسمعه السامعون من هذه الفتن الفلسفية والمسيحية الا لامر يريده بل أراده في سابق علمه من إغواء هؤلاء الشبان الذين كلما طالعوا خزعبلات الصحف وتعلموا من زخرفة الكلام شيئاً ظنوا انهم هم العلماء العقلاء واتبعوا أهواءهم وانقادوا الى كل مزين مزخرف والله على ما يشاء قدير

جاء النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة بلغ رسالة ربه وجاهد في سبيله حتى أصلح البلاد والعباد وبدت أسراره وظهرت أنواره كما نرى ونسمع ولئن كان دينه الآن في مصر لا ناصر له فانه في كثير من الارض معزز مكرم وما على رسول الله من بأس اذا تعاصت عليه الان من مصر بغال أقوياء فقد اطمئن قلبه بآيات ربه اذ ثبته بكثير منها في مثل قوله (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) فلو أن للناس آذاناً واعية وقلوباً متيقظة لازعجهم وعيد هذه الايات التي جاءت الخاطئة تدعى أنها تضمنت نهياً عن القتال لجهلها وجهل من قامت تقلب قلوبهم عن دينهم بمواقع الخطاب وان ربك لبالمرصاد

وبالجملة فان الحق ظاهر والدين ليس بمحتاج لبيان غير ما جاء به القرآن

﴿ الباب الثالث في الناسخ والمنسوخ ﴾

احتوى هـذا الباب على ثلاث آيات من كتاب الله تعالى الاولى قوله تبارك اسمه وتقدست أسمائه (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) الثانية قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) الثالثة قال الله تبارك وتعالى (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) ثم جاءت تلك الخاطئة على هذه الآيات بملاحظات كلها مشاغبات ومحاورات للمفسرين وتحريف للكلم عن مواضعه وظنت أنها بذلك أثبتت أن القرآن ليس بكلام الله وانها لمخطئة من أوجه كثيرة

منها أن المفسرين أعقبوا كل احتمال فسروا به الآيات بأو كما اعترفت به في كلامها ومن المعلوم أن أو هي من أدوات الشك وكل ما دخله الشك والاحتمال لا يسوغ أن يكون حجة على قائله

ومنها أن المفسرين الذين ذكرت أقوالهم لم يكونوا من أهل الاجتهاد الذين هم أرباب المذاهب حتى يقال أن خطأهم في فهم آيات القرآن يحدث خللاً في الدين

ومنها أن محاورتها لمن لا تتوهم أنه صاغ لقولها لا تكون سبباً لقوة حجتها على خرم قانون إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اذ لو كان أحد المفسرين الذين جاؤوا بتلك الاحتمالات في تفاسيرهم صاغياً لها أو كلهم لما استطاعت أن تخوض في آيات الله هذا الخوض الذي أغرقها وراء فرعون وجنوده في بحر الانتقام

الا فاسألوا الخاطئة لماذا أمر موسى بالقتال وقال له قومه ما حكاه الله عنهم بقوله (اذهب أنت وربك فقاتلا اناهاهنا قاعدون) ثم اسألوها هل كان في أنبياء بني اسرائيل من أمرهم الله بالقتال وقاتلوا أم لم يكن تالله لا قدرة لها على انكار وقوع القتال من كثير من الانبياء الا إن اتخــذت السماجة جاهاً والمكابرة وقاية من عوامل الخزي والخجل

وأما قولها أن عيسى كان رحمة وكان يدعوا الناس برفق وحنان فذلك هو الواقع وقد كان الاولى لها بدل أن قالت إن محمداً ما كان رجل آيات وانه لكلام غير معقول كما سبق بيانه أن تقول ان عيسى لم يكن رجل قتال ولا نزال لانه كما قلنا سابقاً لم يوفِ البشرية حقوقها لعــدم كمال استعداد قابليته لاداء واجباتها لان قواعد نظام الوجود الاساسية تستدعي أن أفراد أنواع الحيوانات أو الاشجار مثلاً اذا لم يكن الفرع منها ناشئاً عن أصل متكامل متحد النوع لا يكون له كمال مزايا المتكامل ولا قوته فلذلك لم يكلف الله المسيح عليه السلام بالقتال اذ لم يكن من رجاله ولا يكلف الله نفساً الا وسعها ولذلك آل أمره الى الصلب والقتل إن كان كما زعموا فلو أنه كان رجل قتال لما وقع اليهود في خطيئة قتله ولما ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله بسبب كفرهم به الى يوم القيامة كما أخبر بذلك القرآن المجيد فما كان لتلك الخاطئة أن تتوسع فيما توسعت فيه من المغالطات والزخرفة التي ما وراءها الا العذاب الاليم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) ولقد أجلنا الكلام على ما عابت به رسول الله من أعماله مع زوجاته حتى تغلق أبوابها وتنقطع من الجدل أسبابها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ان قوماً رضوا بها في حماهم في ختام كضاربات الدفوف
ربِّ هوّن عليّ كل عسير ثم ذلل صعاب تلك الأنوف
علهم يبلغوا الرشاد بهديي وأقلني من الزمان المخوف

جاءت تلك الخاطئة تفتن العوام وأغبياء الشبان الذين افتتنوا اذا تمرنوا عليه بمطالعة الصحف من استحسان المحاورات بغير نظر الى ما ترمي اليه اشاراتها ولا الى ما تعمل في القلوب دسائسها قائلة ان المسلم صاحب الفطنة لا تخفى عليه غرابة امر الناسخ والمنسوخ وقالت انه لا ينبغي ان يأخذ دينه قضية مسلمة الى آخر ما جاءت به من النزغات الشيطانية ظانة انها جاءت بسحر مبين وكيد عظيم وتوهمت ان لين قولها يعمل في القلوب الثابتة عملاً يقلقها عن مراكز ثباتها على دين ما اعتنقه المتدينون به في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حاول أولوا النظر والاستدلال منهم اذ ذاك ان يطفئوا أنواره وأبى الله الا ان يتم نوره بما أراهم من الآيات البينات والدلالات الواضحات فهل لمسلم الآن ان يبحث في كيفية ثبوت ألوهية الحق ورسالة رسوله وصحة كتابه من الطريق التي سلكتها هذه الخاطئة إذاً يلزم كل نصراني ويهودي البحث في دينه بهذه الطريق ومتى كان الباحث متلبساً بحال هذه المفتونة لا يهتدي الى طريق قويم لو عاش ألف سنة وتعاقبت المرشدون اليه لانها أنكرت الآيات وجحدت المعجزات فكأنها جاءت الآن مكان كفار قريش تطالب بآيات غير التي بها أمن المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوا الله واشترى منهم أموالهم وأنفسهم بان لهم الجنة فهل من عاقل يبيع ماله ونفسه بشيء غائب نسيئة ما لم يكن عنده وثوق بالبائع وواسطة البيع هذا لا يتوهمه ذو عقل سليم فلا أدري بأي مضيع ضاع وثوق هذه المرأة وذلك الفيلسوف الاحمق بذمة أبي بكر

ومنها أن خاطئة مثل هذه جاءت تكذب الله ورسوله بتمويهات باطلة لعدم قبول قابليتها لفهم خطاب الله سبحانه وتعالى لا يبعد عليها عدم فهم كلام العلماء أو فهم مرادهم من ما تكلموا به أو التقول عليهم ما لم يقولوه

ومنها أنها ما عابت القرآن بمعناه الحقيقي بل عابته بما نقلته عن المفسرين وما طرق المفسرون رضي الله عنهم هــذا الباب أي باب التفسير ولا سلكوا طريقه الا مقيدين بقيود الرهبة والحذر خوف الوقوع في ما يخالف مراد الله سبحانه وتعالى من قوله فما كان غالب استنادهم فيما جاءوا به من التفسير إلا على ما نقلوه من السير والتواريخ لتكون العهدة في الخطإ على غيرهم وهكذا هو شأن الاتقياء الادباء لا يكون لهم اقدام السفهاء الذين يحكمون عقولهم في كل كلام بدون مراعاة مراد قائله منه وما هذا الا نهاية السفه والحماقة وسوء الادب سيما الإقدام على تفسير ما جاء من عند الله فان فيه من رقائق الاشارات ودقائق الرقائق مالا يدركه الا المتنورون بنــور التقوى والهداية وليس لتلك الخاطئة أن تقول ولماذا أنت الآن تجيء بمعان مغايرة لما جاء به المفسرون لاني ما جئت الا مدافعاً لخاطئة تريد إثارة الفتن واضلال العامة وردهم عن دينهم وان الله لعلم مني أني غير جريء ولا مفاخر ولا مجادل والله على ما أقول وكيل واني لاعجب والله من جرأة هذه الخاطئة على اعابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجد ما بقي كبدي أن تنفطر من شدة ما أتخيله من عظيم هول هذه الجرأة إلا ما يمثله حالها لي كلما تخيلته

حال حمقا تجاهرت بفجور فهي تشنوا خصال كل عفوف
يصطفيها أخو الفسوق ويأبى أن يسوم السفاح كل ظريف
فتراها وكلها منكرات قــد أطالت تجهل المعروف

عالم أو متفقه في دينه لا يحتاج بعد ما بينه الله بياناً ولا بعد ما ظهر من الحق تبياناً ولكن سفهاء الفلاسفة في هـذا الزمن صيروا العوام من أمر دينهم في شك مريب فلذلك نقول

لا يقف الباحث في هذا الباب على حقيقة الامر بعد ما ألبست به تلك الخاطئة الحق بالباطل الا بمعرفة ثلاثة أشياء الواحد منها اذا كان العلم تابعاً للمعلومات فهل يكون العلم بها قبل وجودها هو عين العلم بها بعد الوجود أم غيره الثاني هل التردد هو الحيرة أو غيرها الثالث هل ثمرة ارسال الرسل عائدة على الخالق أم الخالف ومتى وقف الباحث على حقيقة هذه الاشياء سهل عليه الوصول الى تمييز الحق من الباطل في هذا الباب الذي هو أحد أبواب جهنم السبعة التي طرقتها هـذه الخاطئة في غياهب غرورها بما سلطه الله عليها من اللسانة وسوء الجدل وما الله بغافل عما يعملون

فأما الوقوف على حقيقة العلم فلا يكون الا بضرب مثل بتعلق علم الانسان بالمعلومات وأما جناب الحق سبحانه وتعالى فلا يصل الى الاحاطة بكيفية تعلق علمه بالمعلومات واصل لأنه جل شأنه وتقدست أسمائه لا يعلم كنه ذاته غيره ومن لا تعرف حقيقة ذاته لا تعلم ماهية أوصافه ولكنا في سبيل المحاورة والجدل نضرب المثل بحال الانسان في علمه عاناً نوقف الخاطئين من أهل النظر والاستدلال الذين زاغت أبصار بصائرهم على خطئهم فنقول ان تعلق علم المخترع بما يخترعه من المصنوعات له قبل صنعها ليس هو عين تعلق علمه بها بعد ما صنعها ولا عين تعلق علمه بها بعد ما جاءت بما صنعت له من الاغراض كعلم المهندس مثلا بما يحدثه من المساكن قبل أن يحدثه فانه وان كان ثابتاً في ذهنه بالتصور وموقناً بوجوده بعد ولكنه اذا أوجده يتجدد له علم به فوق ذلك العلم ثم اذا حصل

وعمر وبأي حال داخلها الريب في شؤون الصحابة والتابعين فما حالها وحال صاحبها الا كحال القوم الذين أشار الله اليهم بقوله (فما لهم عن التذكرة معرضون كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفاً مطهرة) فهل لمسلم عاقل ان ينخدع لامرأة ناقصة عقل ودين بلا تروٍ ولا تبصر مع علمه بانها لو تثبتت دين اخوانها المبشرين من المسيحيين بمثل ما تثبت به دينه من السفسطة الفلسفية والمحاورات الجدلية والتمويهات الهوائية لما أبقت على الارض مسيحياً ألا يفطن المسلم النبيه الى ان دينه ليس كباقي الاديان التي عليها الناس الآن بل هو دين ثابت الاصل والفرع كلما طلبه طالب وجده في الكتب مسطورا وفي قلوب الاتقياء منشورا وأما سواه فلا تجد له أثرا الا في ظواهر عمار الكنائس فلو سألت مبشرا عن دينه لقال لك من آمن بالمسيح وقرأ الانجيل دخل ملكوت الرب ألا يوجه المسلم العاقل نظره الى معرفة الاسباب التي بها ترك المسيحيون أهل دينهم في طغيانهم يعمهون وجاؤوا نساء ورجالا مستعينين بالفلاسفة الذين يميلون الى مساعدتهم المنتصبين لإعابة الدين الاسلامي الذي هو دين موسى وعيسى وداوود وملة ابراهيم ودين كل نبي مرسل وملك مقرب سيما وقد كملت آدابه بكمال آخر نبي جاء به وصار أقوم طريق اهتدى بها المتدينون الى معالم الكمال ومشاهدة الجمال الالهي والجلال من عهد آدم الى يوم القيامه وانه لاقوم في البيان قيلا وأوضح في الرشاد سبيلا ولكن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب

لقد أوردت الخاطئة في ملاحظاتها على هذا الباب عيوباً كثيرة فيمن لم يخلق الله من النوع البشري من هو أكمل منه أحوالا وأعمالا وأقوالا ولا نرى للبحث فيها ثمرة الا ايقاف العوام على حقيقة شرف نبيهم الكريم اذ كل

مقدمة اختيار من متخير قادر على امضاء أحد أمرين أو أمور لا يدافعه عن إمضائها مدافع أو يكون ذا قوة لا قدرة للمدافع على مقاومتها وأما الحيرة فما هي الا نتيجة اهتمام بأمر عجز المهتم به عن إمضائه أو بأمور خشي الذي دهمته عواقبها حيث لا يدري ما هو الصالح منها لحاله ولا يستعمل التردد بمعنى الحيرة الا مجازا اذاً فلا تصح نسبة حقيقته الا لقادر لا يدافعه عن مراده مدافع ولا يكون هكذا الا من له حضرة الاطلاق عن كل تقييد وما صحت تلك الحضرة الا للغني عن العالمين واجب الوجود بذاته الذي يفعل ما يشاء ويختار وأما العاجز فلا يجد في طاقته وسعة للتردد لانه لا يملك الا نفسه بل ربما علم أنه غير مالك لها اذا تحقق الامر على ما هو عليه اذ الممكنات كلها مملوكة لمالك واحد افتقرت اليه جميع الكائنات فان ادعى مدع منها اتصاف نفسه بالتردد فلا يكون ذلك الوصف له الا عارية ادعى تملكها كما يدعي الأثيم الفاجر ملك المستودع كباقي الاوصاف التي تدعيها الغلاصمة من قدرة واختيار وارادة وغير ذلك من العلائق الوجودية التي هي روابط بين الصور وبين السر المالك لها والقيومية القائمة بها التي لا يشعر بها الا الذي رفع الله عنه حجاب بشريته وفتح سمعه وبصره فإن كل من كان قائما بغيره [illegible] الا [illegible] من العجز والافتقار والضعف لا يتم مراده وصفاته [illegible] من الاحوال والقيود [illegible] السبيل

الثالث معرفة ثمرة ارسال الرسل هل هي عائدة على الخلق أم على الخالق

لقد قررنا فيما سبق أن للدين وجهان وجهة لجهة الحق وهي المعرفة التي خلق الانسان لها وثمرتها عائدة على العارف لا على المعروف ووجهة لجهة الخلق وهو وصول العارفين الى الغاية التي لا يصل اليها الا سالك طريق الاخلاص

الغرض المطلوب من ايجاده يزداد ذلك العلم درجة ولكن تلك الزيادة لا تفيد سبوق جهل عند ذلك المخترع بحال ما اخترعه كما ان تجديد زخرفة في البيت مثلا بعد اتمام نظامه وحصول الغرض من ايجاده لا يلزم عليه جهل المهندس بتلك الزخرفة قبل حصولها ثم ان تجديد زخرفة عقب زخرفة كانت قبلها وازالة التي سبقت لا تفيد نقصاً في حال ذلك المهندس ولا عيباً في هندسته لانه ربما جاء بمثل ذلك ليبرهن على سعة معرفته وكمال قدرته على فعل ما يريد فلو أن عاملا ممن أمروا بأداء واجبات تلك الزخرفة قام معترضاً أو منتقداً لما ناله الا المقت والحرمان اذ ربما كان ذلك العمل اختباراً لشؤون العمال لتظهر خبايا ماهم عليه من سيئات الظنون أو تحسيناتها وذلك الاختبار لا ينافي علم ذلك المهندس بأحوالهم بل هو من قبيل اظهار الحقائق وابراز المغيب الى عالم الظهور ليعلم العامل حاله و يزداد علم ذلك المهندس علما بظهور تلك الحقائق وتقوم حجته على من ظهرت أحوالهم اذا ما جحدوا ماهم عليه فلولا ظهوره لما قامت له عليهم حجة هذا ما نعلمه من حال تعلق علم الانسان بالمعلومات وأما تعلق علم الله سبحانه وتعالى بمصنوعاته واحاطته بها فلا يعلم كنهه الا هو ولكن ربما جاز لمن أراد أن يرشد حائراً الى حقيقة غيبية ضل عنها أن يشير اليه بمثل كهذا المثال عساه أن يهتدي الى ما ضل عنه فلذلك جئنا بما مثلنا به لعل من أزاغت تلك الخاطئة قلوبهم بتمويهاتها أن يهتدوا الى الحق وتضمحل في أعينهم ضخامة الباطل الذي شدت أزره هذه المفتونة بجنود الجدل والسفسطة الفلسفية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وأما الثاني وهو معرفة التردد هل هو الحيرة أم غيرها فمن ذلك نقول . ان أرباب البصائر ليعلمون أن التردد غير الحيرة لانه لا يكون الا في

من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) يريد أنهم تجهلوا تبشير الكتاب الذي اوتوه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) الى أن قال (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخرة من خلاق) وكم سبق هذه الاية آيات في حق أهل الكتاب وكم بعدها من ايات من هذا القبيل جاءت تبين أسباب سلب نعمة التشريع عنهم ونسخ الايات التي أنزلت اليهم بآيات غيرها ثم قبل قوله ما ننسخ عرف نبيه والمؤمنين أنهم لا يودون لهم خيرًا بقوله (ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يريد سبحانه وتعالى بالخير والرحمة الاداب القرآنيـة التي نسخ بها ما ضيعه أهل الكتاب مما شرعه لهم ونسوه ثم قال (ما ننسخ من اية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قـدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فكانت هذه تنبيتًا لنبيه لكيلا يكون في نفسه شيء مما يأتون به من السحر بدعوى أنهم أهل كتاب أكرمهم الله بهذا العمل فعرفه أنهم لا يضرون به أحدا إلا بإذني لاني على كل شيء قدير وأنا ملك السموات والارض وأنت تعلم ذلك وقد اختصصتك برحمتي وأنزلت عليك آياتي فمن ذا الذي يعارضني أو ينازعني وأنا مالك السموات والارض ثم بعـد ذلك وجه خطابه الى الكفار تبكيتًا لهم بقوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبـل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) وفي هـذه الاية أيضًا ما يشير الى أسباب

ممتطياً ذلك الجواد الذي ضربنا به المثل سابقاً في بيان اتحاد الاديان السماوية وهذه الغاية هي مجمع السعادة الابدية وما جاءت الرسل الا لارشاد أهلها اليها رحمة من الله بهم اذ الانسان لولا هداية الله له لجميع ما يحتاج اليه لا يهتدي هكذا هو شأن كل حيوان بل حال كل مخلوق اذ الحق سبحانه وتعالى عنده خزائن كل شيء ومع كل شيء ومحيط بكل شيء ولولا هدايته لكل شيء ما اهتدى شيء الى شيء ولا ينكر ذلك الا من هو من الجاهلين الذين حالت الحجب البشرية بينهم وبين أنفسهم ونسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ولنبحث الآن فيما أتت به تلك الخاطئة من الملاحظات على الآيات التي أوردتها في هذا الباب فنقول

أما الآية الاولى فما أوردت من الاحتمالات التفسيرية فيها الا ما يلائم مطامع أنظارها وان المتأمل البصير ليعلم من سياق الخطاب الالهي قبل الآية وبعدها أنها بعدت بملاحظتها عما تشير اليه الآية بعد المشرقين وذلك لان الله سبحانه وتعالى جرت سنته في خلقه بتغيير ما بهم اذا غيروا ما بأنفسهم كما تشير اليه آية (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال) فلما غير أهل الكتاب معالم شريعتهم التي شرعها لهم بما ارتكبوه من أكل السحت واستعمال السحر والكهانة وغير ذلك جاء سبحانه وتعالى ينسخها بشريعة غيرها لان الشرائع من أجل النعم التي اذا لم يحافظ عليها من أهديت اليه سلبت منه فرداً كان أو أمة أو شرذمة قليلة كما سبق نسخ الشرائع من قبل هذا الدين كما بينا سابقاً ولقد جاء الحق سبحانه وتعالى في سورة البقرة قبل قوله (ما ننسخ من آية) يصف حال أهل الكتاب اذ ذاك بقوله (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق

فليت التي غابت من الشمس ضوئها أحست ظلام القلب منها فاعرضت
وليت التي أمضا بها الله سهمه دون أين مرماه بها فتمرضت

أما اشارة قوله تعالى لنبيه ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير فقد بينا مرجعها ومن كان من أهل القرآن لا تخفى عليه أسرار البلاغة في ارتباط الايات بل والسور بعضها ببعض ارتباطاً نسبياً لانه اذا فقدت المناسبات بطل التآلف وما من قائل يقول ان ايات الكتاب الحكيم مفقودة التآلف والتناسب ومن زعم ذلك فهو من الجاهلين

وأما زعمها ان القرآن غير صادق في قوله (أو ننسها) لزعمها ان الايات التي أنسيت ها هي تتلى وتسمع في القران فذلك الزعم من القول الجذاف لانها ما بينت الايات المنسية ولا بينها المفسرون كما ان اليهود الذين قالوا ان محمداً يأمر بأمر في المساء ثم يأمر بضده في الصباح ما بينوا واحدا من الامرين ولا عددوا أمورا ولا بينوا وقائعها فكان هذا الزعم من قبل الظن السيء الذي لا يعول عليه في اقامة البراهين ولا يكون حجة على المفسرين

إذاً فدعواها ان اليهود لهم الحق في الطعن على محمد لان العرب ما تعودوا غير الثبات في القول باطلة ضائعة الدليل والبرهان لانها لم تبين الاقوال التي لم يثبت عليها محمد صلى الله عليه وسلم ولا أتى أحد المفسرين بواحد من أقوال ضائعة الثبات فأصبحت دعواها ساقطة الاركان واهية البنيان لا تستحق النظر وان قلنا انها تشير بتلك الاقوال الى تخفيف عدة المتوفي عنها زوجها وثبات الواحد امام الاثنين في القتال فما هي الا مناوشات نساء يكفرن العشير وينكرن كل نبإ خطير

أما علمت الخاطئة ان من شعار العرب الممدوحة التي هي غاية الكمال ونهاية

سلب نعمة التشريع عنهم لانهم استبدلوا الكفر بالايمان وضلوا عن سواء السبيل فتركت الخاطئة سياق الايات وجاءت تتمسك ببعض احتمالات أقوال المفسرين الذين ذكرنا قبل أن خطئهم لن يضر كتاب الله شيئاً ولا يُجحف بشؤون الرسالة ولا يزري بمقدار الكلام القديم ثم جاءت في ملاحظتها بنكت ثلاث

الاولى أن الداعي لطعن اليهود والمشركين أن العرب اشتهروا بالثبات على القول فلما رأوا محمداً يغير و يبدل حسبوا الاسلام العوبة ومن وجه اخر أن اليهود ما عهدوا في تنزيلهم تغييرا ولا تبديلا فلما رأوا محمداً ينسخ من أحكام التوراة ومما أنزل عليه تبينوا أن ذلك ضربا من ضروب الحيل السياسية

النكتة الثانية ان في النسخ دلالة على ضعف القائل ثم قالت بعد خوض عريض ان تنقيص عدة المرأة التى توفي زوجها من حول الى أربعة أشهر وعشرة أيام وان تنزيل ثبات الواحد في القتال أمام عشرة الى ثباته امام اثنين كل ذلك يفيد جهل القائل بمستقبل من خفف عليه حين ماشدد وقالت اما كان الله عالم بمستقبل القوم وضعفهم واستدلت بذلك على ان الله ليس بمنزل القران ولكنه قول محمد عليه الصلاة والسلام

النكتة الثالثة اطالت الكلام فيها بما لا يتعقل المطالع له معنى ثم قالت في النهاية ان كلمة ننسها تفيد النسيان أي ذهاب تلك الآية من ذهن السامع أو القارئ كانها لم تسمع ولم تقرأ ومع ذلك لم تزل الآيات المنسوخة في القرآن تقرأ وتسمع اذاً فكيف يكون صادقا في قوله أو ننسها ثم قالت ان الآية المزعوم انها جاءت لإفحام المشركين هي التي زادت الطين بلة ثم أبانت عما تخيلته من معنى الآية بقولها ان قوله (ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير) لا معنى له ولا موقع له في هذا المقام وانه ما صدر الا عن ضعف المؤلف

كالذين أشار اليهم بقوله (ذلك بانهم قوم لا يفقهون)

فهل من ذي ذوق يتصور أن هذه الآية آية تشريع جاء فيها تناقض اذًا يقال أنه لو جاء النبي في مائة رجل وجاءه ثلاثمائة رجل من أعدائه لقتاله فانهزم أصحابه لاحرج عليهم لانهم لم يكلفوا الا بقتال مائتين فهل يتصور العاقل ذلك كلا ان هذه المرأة لخاطئة وما أظنها الا أم امرئ القيس التي هجاها بقوله

عجوز قد زنت ستين عاماً وعاشت بعد ذلك أربعينا
وجاءت تشتري تيساً وعنزًا لتنظر لذة المناكحين

جاءت الخاطئة بعد فراغها من مداعبة الغاوين تجادل في آيات الله بغير علم ألا لعنة الله على الظالمين على أننا لو فرضنا وكان المعنى من الآية كما زعمت فهل من عيب على الله اذا خفف على عبيده بعد تشديد أما بين في كثير من الايات أنه يختبر عباده بمثل قوله (لنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) وقوله (ليميز الخبيث من الطيب) وغير ذلك من الايات أولم تكن كل التكاليف موطن ابتلاء وهل في الرأفة على من توفى زوجها والتوصية بأن تمتع من ماله حولا كاملا وفي اجازة زواجها من أربعة أشهر وعشرة أيام تناقض وعيب ألم يكن لله سبحانه وتعالى من طروق الرحمة التي كتبها على نفسه أن يجمع قلوب عباده على نبيه بإبطال عوائد الجاهلية شيئاً فشيئاً اذ كانوا يستقبحون زواج امرأة مات زوجها الا بعد أعوام أو كان الغالب منهم يبغض وجود المرأة التي مات زوجها في بيته ان كان ذلك المتوفي أخاه أو ابنه الى غير ذلك مما كانت عليه الجاهلية من أخلاق الغلظة والتعسف فأخذ الحق سبحانه وتعالى في تهذيب نفوسهم وتجريدهم من تلك الاخلاق السيئة بالتدريج وهل أرسل الله سبحانه وتعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين وهل كان الا أكرم مبعوث

مكارم الاخلاق عندهم إخلاف الوعيد وانجاز الوعد كما قال القائل

واني اذا أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فهل على الله من حرج اذا أمر بأمر فيه تخفيف ثم شدده أو شدد أمرا ثم رجع الى تخفيفه اما تبين سابقا ان حضرة الاطلاق التي هي من واجبات الالوهية تقتضي انه لا حجر عليه في الكون و بينا ان ذلك من صفات الاقتدار لا من العجز والعي على ان الايتين ما فيها ما يشعر بالتناقض الذي زعمته ولو كان هناك تناقض لاحس به ذلك الرجــل السياسي الذي زعمت انه هو الاتي بهذا الكلام الذي ما جاء بمثله مخلوق قبله ولا بعده لانه ان كان في اقواله تناقض فقد بطلت سياسته ان لم يكن ذا شعور بتناقض أقواله فكيف إذًا يتصور العقل متابعة القوم له اما كان لهم من النظر ما يساوي نظر هذه العميا الخابطة ان هذا لهو الضلال البعيد

قال الله تبارك وتعالى (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) يقول الله تعالى لنبيه رغب المؤمنين في القتال واعلمهم باني نصرتهم وهم الواحد تجاه العشرة من أعدائهم والمائة امام الالف وهذه سنتي في المؤمنين لانهم لا يعتمدون الا عليّ واقد كان حقا علينا نصر المؤمنين فكيف لا أنصرهم الآن وهم الواحد تجاه الاثنين والمائة في مقابلة المائتين لما ظهر منهم من ضعف الثبات في وقائع الحروب التي سلفت ثم قيد الغلبة في الآية الأخيرة بقيد وهو قوله (باذن الله) ليعلم المؤمنون ان النصر انمــا هو من عند الله ولا يكونوا

الإله سيما وقد قال في حديثه القدسي ما ترددت في شيء كترددي في قبض نسمة عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته وليس بعجيب أن يتجدد العلم بتجدد المعلوم وان كان ثابت الحصول في العلم قبل حصوله بالحال التي يكون عليها لان الله سبحانه وتعالى من كمال عدله لا ينبغي له أن يدعي شيئاً عليه هو مالم يعلمه المدعى عليه بعد ظهوره منه لانه ان لم يكن كذلك لا تكون الدعوة واضحة الصحة ولا قائمة البرهان ولذلك قال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون) فلو لم يكن التكليف الذي جاء ببيان المعروف للآمر به وبيان المنكر للنهي عنه ولولا ظهوره على أيدي العاملين وتعلق علم الله به بأنه ظهر لما وجد الله شاهداً على شرير شقي بحاله الذي كان يعلمه منه قبل ظهوره على يديه كما سبق بيان ذلك من قبل

إذاً فلا حق للخاطئة في قولها أن في قوله تعالى (علم الله أن فيكم ضعفاً) ما يشعر بسبق الجهل بحال المخاطبين وما كان ذلك منها الا جرئة على الله وجهلا بمقدار نبيه لما سبق لها في علم الله من الشقاء المحتم اذ الايمان والتصديق ليس في قوة الانسان اذا لم يكن مكتوباً في ديوان السعداء وليس كل من يدعي الاسلام بمسلم ولا بمؤمن ولو عقل الانسان شيئاً من شؤون نفسه لشاهد مآله من حاله لان نفسه هي أم كتابه فمن كان الشك ضجيع قلبه والجدل جار قريحته والغرور رفيق فكره والفتون والطيش مالك زمامه وأمره فذلك هو الشقي وان قال أنا من المسلمين وأما من كان التصديق دأبه والخوف صاحبه والعجز والضعف ملازمه والرجوع الى الله في كل حال ديدنه فذلك الى السعادة أقرب منه الى الشقاء وان نشأ في حجر قوم كافرين

وعندنا في فهم الآية الشريفة طريق آخر وهو أننا لو جزمنا بصحة لاحتمال

لخير أمة فما كان للمشركين واليهود من بني اسرائيل أن يقيسوا حالهم بحال هذه الامة في قولهم أنهم ما عملوا في شريعتهم تغييرا ولا تبديلا فهل من الانصاف أن نقاس أمة بايعت نبيها و باعت الى الله أرواحها وأموالها ثم قاتلوا وقتلوا في سبيله في وقائع كثيرة لإعلاء كلمته ونصرة رسوله بأمة عبدوا العجل والرسول بين أظهرهم وسئلوه أن يروا الله جهرة لجهلهم وطلبوا منه عند مارأوا قوما يعكفون على أصنام لهم أن يجعل لهم الهة كما لهم الهة فقال لهم موسى انكم قوم تجهلون ولقد دعاهم الي القتال بأمر ربه فقالوا له إذهب أنت وربك فقاتلا اناهاهنا قاعدون فقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال له ربه فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين وما كان ذلك الا من بعد ما جائهم بتسع ايات ونجاهم من فرعون وقومه فكيف إذا أن يتصور متصور أن الله يساوي بين الامتين في المعاملة ولين الخطاب والرفق في التكليف

أما كان لله سبحانه وتعالى أن يأمر بالتشديد فيما زعمت ثم يخفف أو يأمر بأمر ثم يأتي بضده اذا ثبت ذلك أو يوافق مثل عمر ابن الخطاب في رأيه لإظهار عنايته بهؤلاء القوم الذين لم يخلق الله من النوع البشري اكمل منهم أخلاقا ولا أشرف أعمالا ولا اكبر هما ولا أثبت جاشا ولا أوسع مروءة ولا أسلم قلوبا ولا أقرب تصديقا ولولا عنايته بهم لما بعث لهم جبريل متجسدا يرونه برأيا العين ليعلمهم أمر دينهم ولا خفف عنهم الصلاة ليلة الاسرى حيث كان محمد صلى الله عليه وسلم يتردد بين موسى و بين ربه حتى جعلها خمسا في الفعل وخمسين في الاجر وليس بعيب على الله ان يتردد أو يرجع فيما شدد لاظهار العناية والرأفه وليس التردد الا من شؤون حضرة الاطلاق التي هي من شؤونه

مبلة وآخرون يسمونها معطنة فيضعون الكتاب فيها محزوماً و يضعوا فوقه طيناً ليرثب في قاع تلك المبلة فكلما همّ ذلك المعطون بأن يطيش في مبلته زادوه طيناً ليرثب حتى ينضج و يبدواصلاحه فتزداد المبلة عفونة ورائحة كريهة تفسر بحال المجاورين لها والمارين عليها فاذا رآهم الرائي قد أحدقوا بتلك المبلة ظن انها نضجت وهموا باخراج ما فيها فيستريح من تلك الرائحة فيقول له الآخر انهم زادوا المبلة طيناً هذا هو المعنى الذي يشير اليه المثل فهل من شيء على الاحمق أضر من الجهل وهل من حماقة أشنع من حماقة المفتون بعلمه وهل من سفه أشد من سفه من حارب الله ورسوله وهل من مجادل أجهل ممن جاء يجادل في صحة ما آمن به فضلاء ثلاثة عشر قرناً أعني الفاً وثلاثمائة سنة ان هذا لهو الضلال البعيد

الآية الثانية قال الله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمسلمين) ونقول ان في هذه الآية من الدلالة ما يشير الى صحة ما ذكرناه في الآية الاولى من ان النسخ والانساء كانا لآيات التوراة والانجيل وكلما نسخ الله آية أتى من القرآن بآية مكانها لانا لا نرى لقول اليهود والمشركين ان محمد يأمر قومه بأمر ثم يأمر بضده أو يأتي بآية ثم يأتي بغيرها دليلا واضحاً إذ لو كان كما زعموا لحفظوا عليه اية أو أمراً أو عدة ايات وأوامر متضاربة وكانت تلك الخاطئة تأتي بها لتقيم البرهان بها على صحة ما تدعيه ولو اننا جزمنا بان النسخ والإنساء كانا في ايات جاء بها الوحي لتحققنا انها ايات لم تتلى ولا قرأت ولا حفظها حافظ بل كان ذلك النسخ والانساء هو معنى قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته) لانه

الذي قرره المفسرون مع باقي الاحتمالات وجاءت تلك الخاطئة بملاحظتها عليه وهو أن النسخ والإنساء كانا في بعض آيات من القرآن في مبدإ نزول الوحي مثلا فما هو العيب الذي ينقص قدر النبي صلى الله عليه وسلم أليس للوحي شدة وسكرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يتقطر جبينه لها عرقا في زمن الشتاء والبرد وهل يأتيه الوحي بالآية المطولة الا مرة واحدة وهل كان الا بشرا ألم يعلم الله منه خشية النسيان فقال له في بعض آياته (سنقرئك فلا تنسى الاماشاء الله) وفي آية أخرى (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) ولقد أمره في بعض آياته بقوله (ولا تعجل بالقران من قبل أن يقضي اليك وحيه وقل رب زدني علما) فمال هذه الخاطئة لا تعقل ولا تستحي ولا تخجل حتى أصبحت تلعب بعقول سفهاء شبان هذا الزمن الذين لا يركنون الا الى الزيغ والجدل لما سبق لهم في علم الله وسابق تقديره من الشقاء وكان الله على كل شيء مقتدرا

لنا ملاحظة فكاهية على المثل الذي جاءت به الخاطئة من أمثال العوام تشنيعا على أقوال فضلاء المفسرين ليعلم العاقل أن التي لم تحسن الادراك لمعنى مثل من أمثال العوام لا يسوغ لها النظر في كتاب الله تعالى بحال من الاحوال ولا ينبغي لها مجاراة العلماء العاملين الذين قررنا أنهم ما أقدموا على تفسير ايات الله الا خائفين

قالت تلك الخاطئة ان أحد الاحتمالات التي أتوا بها زاد الطين بلة تشير الى انه زاد الامر ارتباكا على زعمها وليست حقيقة المثل مطابقة لذلك اللفظ لان الطين كلما ازداد بلة ازداد حسنا ولكن حقيقة المثل ان العوام الزارعين للكتان اذا قلعوا أعواده من الارض يحفرون لها حفرا يسمون الواحدة منها

اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) فعميت تلك الخاطئة عن تلك الدلالات وجاءت تزعم ان قوله تعالى (قل نزله روح القدس) لا موقع له في اقامة البرهان وجاءت تقول ان أصحاب محمـد تشككوا في أمره فجاء يثبتهم بذلك القول وزعمت ان العرب لنباهتهم قد وقع عندهم أمره موقع الالتباس فليت شعري أي العرب تعني هذه الخاطئة فان كانت تعني القوم الذين كفروا وقالوا لمحمد (ان كان هذا من عند الله فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) وقاموا يعبدون الحجارة المنحوتة فبئست النباهة وبئس المتنبه وبئس ما صنع المعترف لهم بالنباهة ثم وان كانت تعني المؤمنين من العرب فأهل الايمان الحق ما تشككوا في أمر نبيهم ولا ارتابوا في صدق رسالتـه بل كان بينهم أصدق قائل وأفضل عامل وكان أحب اليهم من الاهل والمال والولد بل وكل محبوب وما كانت تلك المحبة الا سماوية كالمحبة التي القاها الله على موسى إذاً فلا يكون ما جاءت به تلك الخاطئة من التمويهات الا دخان نيران أوقدها الحقد في قلبها فجاءت تنتصر لأسلافها الضالين انتصار حليف الحشيشة لدياب ابن غانم اذ يبيت طاوياً اذا ترك الشاعر دياباً مغلوباً فسحقاً لفاقد العقل والتمييز الجريئ الذي جاء يهـدم بنيان دين أسسه الله على قواعد من الاعمال الصالحة والاقوال الصادقة والاخلاق الكريمة ووعد أن لا يزال قوي القواعد متين البنيان مشيد الاركان حتى تقوم الساعه ألا لعنة الله على الظالمين الذين يحاربون الله ورسوله على ضعف ويجادلون في الحق على جهـل ليردوا ضعفاء القلوب عن دينهم ان استطاعوا

الآية الثالثة قال الله تعالى (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاشهدوا

لو كان في ايات تليت وقرأت لتداولت بها الالسن بين أعداء رسول الله وشنع بها عليه (كفار أهل الكتاب الذين قست قلوبهم واذ كان هذا كله لم يكن فلا يعبأ بما جاءت به تلك الخاطئة من الاضاليل والا كاذيب التي لا ينظر اليها الا ضيق الفكر والنظر الذي لا عقل له ولا اطلاع وأما عن الاية فنقول

جاءت الاية الشريفة بعد قوله تعالى (واذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) يشير إلى انه مسلط على أهل الجحود ليحول بينهم و بين أنوار القران وأسراره بدليل قوله تعالى (واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وما كانت الحجب والأكنة والوقر الا ما يلقيه الشيطان اليهم فامر الله نبيه ان يستعيذ به من شروره ثم عرفه انه لا سبيل له على أمته الاتقياء بقوله (انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون) انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) ثم أتى يبين كيف كان استيلائه عليهم بقوله (واذا بدلنا اية مكان اية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) لجهلهم بأسرار التنزيل وغفلة قلوبهم عن أنواره التي جاءت كالسراج المنير يهتدي بها الضال الى الصراط المستقيم ولذلك قال في اخر الاية (بل اكثرهم لا يعلمون) ومن لا علم عنده لا يعقل من خطاب الله شيئا ولا يفرق بين القول البشرى والكلام القديم ثم جاء بقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا) الذين استنارت قلوبهم وتمرنت على استعمال الاداب القربية التي تدخل الانسان ملكوت الرب (و بشرى للمسلمين) الذين لا تساعدهم قوابلهم على التحقق بما تحقق به العارفون جوابا دافعا لما جاء بعده من قوله (قد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) ثم أعقب قولهم ببرهان التكذيب بقوله (لسان الذي يلحدون

بما تحت ذلك الذيل من الخبائث وعذبهم بنتن ريحها لكانت عذاباً لكل من وصلت الى حاسة شمه تلك المشمومات الكريهة

زعمت المشؤومة أن غالب ايات القران جاءت موافقة لأميال محمد صلى الله عليه وسلم واستدلت بذلك على ان القرآن ليس من الله قائلة ان الله لا تكون ارادته تابعة لإرادة أي انسان فما أجهل هـذه الممقوتة باوصاف الله سبحانه وتعالى وأخلاقه ومعاملته لعبيده وان العقلاء ليخالفونها في ان القرآن من عند غير الله الى انه كلام الله أنزله لتتميم مكارم الاخلاق ولقد علموا أسراره وشاهدوا أنواره في بصائرهم وفي أحوالهم وقال لهم الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ثم هم يوافقونها في ان الله أنزله موافقاً لأميال هذه الامة وأميال نبيها وهكذا كل الكتب السماوية متى أريد بها الرحمة لا تجيء الا موافقة لأميال من أنزلت عليه بخلاف آيات النقم التي ينزلها الله على من أراد بهم سوءًا واني لأعجب من جهل هذه الخاطئة التي تزعم ان الله لا ينزل أحكاماً موافقة لاميال عباده ثم تزعم انه أسلم ابنه لقوم سفهاء ليصلبونه فصلبوه وقتلوه محبة في خلقه فهل من متعجب يتعجب من هذا الجنون الذي فعل بهؤلاء السفهاء مالا يفعله الخمر بالمخمور أما علمت ان الله سبحانه وتعالى ما شرع لعباده الدعاء الا ليعطيهم ما سألوا و يطيعهم فيما أمروا ان كانوا طائعين أما قال ياعبدي كما تكون لي اكون لك وهل كانت تلك الاميال التي زعمتها مخالفة للآداب القانونية التي تصلح بها أحوال الامة كلا والله ما كانت الا أميالاً كمالية موافقة لمراد الله تعالى ولقد قال الله لنبيه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

من ضعف الملكة وفقد الزكاء وقلة الاطلاع أعتقد أن الاية الاولى لا تشير الى حد الزنا ولكنهـا تشير الى فاحشة قوم لوط وهي تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء بدليل قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فلو كان ذلك حداً للزنا لقال الله تعالى والذي يأتها أو والذين في مقابلةواللاتي ولا حرج علي اذا ثبت هذا المعنى في خلدي وما أوردت هذا تخطيئاً للائمة ولا اقتراحاًللاحكام الشرعيةولكن ذلك في مقام الجدل يقوم مقام الدليل على أن اختلاف المفسرين أو خطأهم لا يكون حجة للمشركين على أن القران متضارب لانه من عند غير الله سيما وقد جاءت الاية الثانية بصراحة الحكم وما تم الحديث حد الزناللزاني حتى يقال أنه نسخ الاية الاولى وان الاية الثانية نسخته اذ ما وقعت الاشارة فيه إلا على البكر والثيب وما جاء بما يكون على الزاني من العقاب وعلى كل حال لا وجه لها فيما جاءت به من التشنيعات فان الله سبحانه وتعالى مطلق التصرف في أقواله وأعماله لا حجر عليه ولا ينبغي أن يحجر عليه كما يحجر على ملوك الدنيا الذين زعمت الحاطئة أن أحدهم لا يأتي بمثـل ما أتى به القران من تضارب الاوامر فويل ثم ويل لاهل السفسطة والزيغ فهل من عار أو شنار على ملك خفف على عبيده أمرا ثم شدده عليهم أو شدد أمرا ثم خففه موافقة لما يصدر منهم من الشؤون ليعلموا أنه ما ظلمهم ولكنهم هم الظالمون فيما شدد به وليعلموا أنه ذا عناية بهم اذا ما خفف ولا تزال أوامره في الطالين محفوظة في سجل المنشورات يتداولها المطالعون جيلا بعد جيل ليحيطوا علما بأعمال أسلافهم حتى تكون لهم في ذلك الذكرى والموعظة ألا سحقاً لقوم لا يفقهون

جاءت تلك المجهولة تعيد اية لا إكراه في الدين وتزيدها تذييلا وملاحظة حتى كأن أذيالها لا نهاية لها ولو أن الله سبحانه وتعالى كشف لاهل الارض

عن القتال من سبب إلا أن يتمكن المسلمون من اداء الفريضة وما قام المشركون للمقاومة في تلك الاشهر الا لصد المسلمين عن ادائها فمن ذا الذي يقول ان القتال اذ ذاك لا يكون واجباً على كل مسلم وهل بين قوله تعالى (لا اكراه في الدين في حالة السلم بالمعنى الذي سبق بيانها قبل وبين قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) عند التعدي تناقض ونسخ كما زعمت أليس العمل بالآيتين باق حكمه لمن يعمل به الى يوم القيامه ألا بعداً للقوم الظالمين

قال عمر لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تصل على هذا المنافق وما كان لمشرع أن يطيع أمراً لم ينزل به وحي سماوي فصلى عليه وانتظر أمر ربه فجاءه النهي عن الصلاة على المنافقين والوقوف على مقابرهم فأي عيب أو عار يلحقه في ذلك العمل أليس هذا هو عمل الادباء العلماء بالله ألا لعنة الله على الظالمين

تالله لو أن محمداً تتبع أميال قومه لعلموا ضعف همته وتحققوا خدعته وما تبعوه ولا أسلموا نفوسهم للقتل طوع أوامره ولا خاطبهم الله بقوله (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لفشلتم ولتنازعتم)

جاءت تلك الخاطئة تقول ان محمداً لما أوتي خمس الغنيمة حلل القتال في الاشهر الحرم فليت شعري أين ذهبت كل الغنائم التي غنمها محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن مات هل نقل عنه انه أحرز غنيمة لنفسه أو ادخر مالا فلو أنه كان ذا أميال لما مات فقيراً ولما ربط الحجر على بطنه من الجوع ألا سود الله وجه كل مفتر كذاب

قالت تلك الخاطئة الجهولة ان التوراة ما جاء فيها ما يوافق أميال أحد ، وأما القرآن فجاء فيه آيات كثيرة موافقة لاميال عمر ابن الخطاب ولكنها ما ذكرت أن واحدا من أهل التوراة كان كعمر الذي اشتهر بأنه الفاروق والذى

الله) وان من شروط المحبة اتحاد المرادات والإرادت ولكن الجهلاء لا يعقلون للآداب الكمالية معنى فلذلك خلطوا وكانوا خاطئين

خلق الله الانسان لنفسه وخلق الدنيا والآخرة للانسان وسخر له كل شيء واستخلفه في الارض وقال له عبدي أطعني أطيعك ومتى أطعتك أطاعك كل شيء وأحببني أحبك ومتى أحببتك أحبك كل شيء فلو ان الخاطئة علمت من هو محمد صلى الله عليه وسلم لأحبته محبة تلجئها الى معرفة قدره وحسن الثناء عليه ولكن الشقاء حجبها فعميت عن ما أدركه أهل البصائر فتخيلت انه كان في قديم الزمن رجلا كذابا ذا أميال ورغبات فاسدة اسمه محمد فكرهته وجاءت تكذبه حتى اذا كان يوم القيامة جاء عروس المملكة وامام الحضرة القدسية وخزائن الرحمة العلية قائما تحت ساق العرش رافعا لواء الحمد شافعا في فصل القضاء فيقال اذ ذاك لتلك الخاطئة أين محمد الذي كنت له من المكذبين فلا تجد من تشير اليه فيقال لها اذهبي الى النار وتفقدي غريمك في دركات الخاطين ولا تخرجي منها الا اذا وجدتيه انك كنت من الخاطئين

حرم الله القتال في الاشهر الحرام ليقوم الناس بفريضة الحج فقام المشركون يغتنمون تلك الفرصة ليقتلوا حجاج بيت الله ويصدوهم عن المسجد الحرام كما أخبر الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين فيا أولي الالباب أروني آرائكم في ذلك وما الذي كان لله ان يأمر به نبيه في ذلك الوقت وأي صنع كان يصنعه نبيه اذ ذاك هل كان لمحمد ان يصبر ويكف قومه عن القتال احتراماً للاشهر الحرم حتى يبطش بهم المشركون ويستأصلونهم ثم يقول له الحق سبحانه وتعالى يا محمد ان قاتلوك فلا تقاتلهم ومت أنت ومن معك بين أيديهم حتى تمضي الاشهر الحرم وان صبرتم علي القتل فأنا أجزيكم خيرًا فهل كان للنبي

الله عليه وسلم لا بأمر الله وما ذكرت غرضا من الاغراض التي حملته على ذلك الميل اذ لو كانت رغبته تحول القلوب الى محبته وطاعته لوافق أهل الكتاب في قبلتهم وما هو الفرق بين الكعبة وبين بيت المقدس في الاستقبال لولم يكن ذلك التحويل أمرا الهيا اذ كل عاقل يعلم أن القبلة لم تكن الها كيف كانت حتى يتوجه اليها كل مصل ولكنها موعد بين الله وعباده يجدونه عندها اذا استقبلوها وتحديد الموعد بزمان أو مكان لا يكون الا من ذي وعد يحتاج الموعود به اليه فلما لم يأت الله نبيه بموعد يجده عنده اذا طلبه تشوف لذلك فناداه بقوله (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضا فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)لانه بيت مبارك كما قال الله تبارك وتعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) وان استقباله لفريضة من الفرائض التي لا يكمل الايمان الا بها وما جعلها الله الا لاسباب منها قوله (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) فبرهان صحتها هو برهان الرسالة وقد ثبتت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على رغم أنف كل مجادل كفور فلا معنى لاستدلال الخائنة بتحويل القبلة لأن الذي فرض الصلاة هو الذي شرع القبلة وحولها والذي فرض الصلاة هو الذي فرض الصوم والزكاة والحج وجاء بكل الاوامر والمناهي الدينية وما جاء بهذا كله الا الله كما شهدت بذلك العدول من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين لا تحصى أعدادهم وان الحق ليثبت بشهادة عدلين فهل من عاقل يوقف هذه الخاطئة على خطئها لعلها أن تخجل وتصرف عنان شقائها عن هذا المصرع الوخيم

جاءت هذه المفتونة تعيد وتزيد كما تفعل الخائنات في مسئلة قطع نخيل

أجاب الله به دعوة نبيه اذ قال اللهم انصر الاسلام بأحد العمرين فكان سبق السعادة لابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فما ظنكم أيها العقلاء برجل نصر الله به الاسلام وظهرت أسرار عدله وثمرة ايمانه وفضله أيام خلافته كلا ان الخاطئة لفي ضلال مبين

أفتى الله سبحانه وتعالى نبيه في زوجاته كما أفتى أيوب عليه السلام في زوجته بقوله (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) فقامت تلك الخاطئة على قدم وساق تكذب الفتيا وتدعي أنها مجرد تصنع افتراه النبي صلى الله عليه وسلم ليحلل الحرام وماذكرت سبباً لذلك الا مراعات حقوق الصحبة لعمر ابن الخطاب أبي حفصة ثم جاءت تعيبه بما فعل من التحريم والطلاق وماذلك الا لان النساء لا يعرفن للكمال طريقاً سيما مثل هـذه الخاطئة التي أفنت عمرها في الملاهي فلو أنها ذات كمال وأدب اعلمت ان الذي جاء به الزوجتان غير لائق إذ المرأة التي ينهاها زوجها عن إفشاء ما أسر لها ثم تفشيه لا ينبغي للأديب معاشرتها ولقد جاءت حفصة بذنبين عظيمين تعدت بهما حدود الادب أحدهما مخالفة رسول كريم تجب طاعته على كل مؤمن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله والثاني إذاعة أسرار زوجها بعد ما أرضاها فلو لا أنها تابت توبة نصوحاً . تضرعت الى الله أياماً لماجاء جبريل لمراجعتها بقول الله سبحانه وتعالى (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) فلو لا ان الطلاق كان رجعياً لماجاءت بذلك الآية

وهل هناك مانع يمنع سليم القلب من تحسين ظنه بخير خلق الله فيتحقق أن ذلك كان منه على وجه التشريع أليس ذلك أقرب لمكارم الاخلاق وتحسين الظنون المأمور به شرعاً وعقلا ولكن الذين كفروا في شقاق .

قالت الخاطئة ان استقبال الكعبة وقت الصلاة كان من أميال محمد صلى

أوامر الله وسري بها العمل الى الان فليت شعري ما هو العيب الذي رأته تلك المفتونة فهلا ساوت في قبول التوبة واستحقاق العفو والمغفرة بين من أفضى الى امرأته في رمضان ليلا وهي حل له وبين من عبدوا العجل من قوم موسى وقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً لهم (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) وهل نكاح المرأة ليلا في زمن الصيام أضر من أكل البصل والعدس نهارا يا أهل الكتاب انكم لفي ضلال مبين تالله انكم لتشربون الخمر وأنتم صائمون لانه ليس بذي روح فكان حالكم مع من عبتم صومهم اذا تسائلتم كما قال القائل

قالت لجارتها يوماً تمازحها قرنت زوجك والتقرين يفضحه
قالت أأتركه جماً بلا قرن يجيئ زوجك ذو القرنين ينطحه

فيا أهل الكتاب أما قال لكم المسيح غضوا أبصاركم عن عيوب الناس وابصروا عيوبكم أما قال لكم لا تقابلوا السيئة الا بالحسنة أما قال لكم لا تعاملوا أعدائكم الا بالرفق فلماذا لم تتبعوا وصايا رسولكم ان كنتم به مؤمنين ما بالكم أصبحتم تغتابون قوماً سبقوكم بألف سنة وثلاثمائة بعمل لا يغضب الله ولا يؤذي أحدا من مخلوقاته وقد جئتم تؤذون أمة في نبيهم وفي كتابهم وتغتابون رسولا كريماً وأمة مؤمنة فأي العملين أقبح وأشنع وأسوأ حالا ومآلا أهكذا تعمل العقلاء أهكذا دأب المبشرين الذين زعموا أنهم يدخلون ملكوت الرب أيرضي الرب أن تدخل هذه الخاطئة السبابة السفيهة ذات البذاءة ملكوته ان هذا لشيئ عجاب

جاءت ذات البذاءة والسفه تعجب من أمر الناسخ والمنسوخ ثم تزعم أن في القرآن خلافاً كثيراً وأن الاية التى قال الله فيها (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا) هي أقوى دليل على أنه من عند غير الله لانه

بني قريظة وتدعي أن محمداً جاء بالآية ليزيل ما حاك في صدور قومه من قول اليهود هل أنت مصلح أم مفسد أما علمت الخاطئة أن افساد الثلث في اصلاح الثلثين من القواعد العدلية الاساسية وأن المحاصرة يستدعي طولهــا ايصال الاذى لأرواح كثيرة من الدواب والانعام بل والادميين ولقد كان قطع ذلك النخيل سبباً في فصل المعركة وهلاك الباغين والبقاء على الباقين وما ضر القوم قتل من قتل منهم بل اكتسب الذين آمنوا منهم ومن ذرياتهم أجراً عظيما ولقد صار محمد عندهم بعد الايمان أحب الى المؤمن منهم من ماله وولده وروحه لما علموه من ثمرة قتاله لهم من النجاة من النار والفوز بالجنة ولما نشره من العدل بينهم فلا يضره الآن انطلاق لسان هذه الخاطئة بما جاءت به من فحش القول كما تنطلق على المبطون بطنه فما ذبحت الا بمــديتها وما وحلت الا في أوحال ما خرج من مخارجها والمكر السيء لا يحيق الا بأهله فلو أن محمداً كان كاذباً أو ذا أميال وتبعه الناس قهراً لغلبته عليهم لكرهوه بعد موته ولفرحوا بمفارقته لهم ولكن الامر بضد ذلك فان الله أودع قلوب المؤمنين حبه فما من مؤمن ولا مؤمنة الا ويراه أحب اليه من كل محبوب حتى الان وان محبته ليهتدي بها العاقل الى معرفة نفسه ان كان سعيدا أو شقياً لانها علامــة السعادة اذ لا يحب الله الا من أحبه والله يقول الحق ويهدي السبيل

جاءت الخاطئة تعيب قوماً كانوا على أقرب عهد بالاسلام اختانوا أنفسهم في ليالي الصيام بوقاعهم لازواجهم قبل أن يحدد الله لهم زمن الامساك ثم تاب الله عليهم كما حكى ذلك بقوله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) فاتبعوا

الكاذبين وانها لأشبه شيء بسفهاء الفلاسفة الذين عابوا أئمة الدين في اختلافهم في بعض أحكام العبادات والمعاملات زعمهم ان ذلك هو التنازع الذي يوجب الفشل وقد نهى الله عنه بقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا) وما ذلك الا لجهلهم بمعنى التنازع وبحال الائمة في اختلافهم اذ لو كانوا في وقت واحد ومكان واحد لما اختلفوا في حكم من تلك الاحكام التي لا يضر الاختلاف فيها بالدين الا عند المنتقد الشامت الذي يتصنع الغلط ويختلق العيوب ولكنهم كانوا في أماكن مختلفة وأزمان وان كانت متقاربة لكنها ليست في آن واحد كان فيه اجتهاد كل منهم بل تواردت عليهم الروايات مختلفة في التخفيف والتشديد كما كان يعمل النبي مع أصحابه فاستنبطوا الاحكام كل على حسب ما رأى وما منهم مخطئ بل الكل مصيبون لانه ما من حكم الا ويوافق حال قوم من الامة وما كان الدين الا يسراً فهكذا جاءت الخاطئة تتبع الفلاسفة في إعابة الدين وأهله فكانوا قوادها الى هذا العمل الشيطاني أما علمت الخاطئة أنه لا عيب في النسخ لما ورد في الانجيل الذي بين أيدي أهل الكتاب من قوله اني لأهم بايصال الخير الى قوم مساء فيعملون عملاً سيئاً فأنزل بهم المقت صباحاً واني لأهم بمقت قوم صباحاً فيعملون ما يرضيني فأسوق لهم الخير مساء أما علمت أن ألطاف الحق سبحانه وتعالى لا تزال تصادر أقداره وتطاردها فينزل الشدة ويعقبها بالفرج ويرسل الداء ويتبعها بالصحة الى غير ذلك من التشاجر الذي لا يخلوا الكون منه طرفة عين فما الذي أراب تلك الخاطئة من التخفيف بعد التشديد في الاحكام التي أصدرها الحق سبحانه وتعالى وما مدخل النسخ في الاختلاف الذي جعل الله عدم وجوده برهاناً على أن القرآن ليس الا من عنده أما علمت أن الاختلاف المشار اليه ما هو الا اختلاف النسق في جمع الكلام بين جميع الفوائد والاداب

كثير الاختلاف بسبب الناسخ والمنسوخ وجاءت بتهويلات هائلة وأظهرت دهشاً وانزهالاً كعادة عواهر النساء عند المكابرة والتشاجر

كمبغوضة للزوج يبغي طلاقها   وتبغي الرضا عنها فتبدي تضجرا

ثم جاءت تتعجب من العلماء بقولها كيف أخذوا دينهم قضية مسلمة ورضوا بالناسخ والمنسوخ الى آخر ما زخرفته من الزندقة والزيغ لما توهمته في شبان هذا الزمن من الجهل باس دينهم فظنت أنها بهذه السفسطة والتمويهات الفلسفية تلويهم عن دينهم وما هم بتديثين وأما المؤمنون فلا سبيل لهذه الخاطئة الى اضلالهم لان ظلمة الزيغ والجدل لا تذهب بنور الايمان ومن لا نور له ولا ايمان لا يبالي به الله في أي واد هلك

لقد بينا فيما سبق أنه لا اختلاف في آيات القرآن وفصلنا ما أجملته من ما تشير اليه الايات التي أوردتها شواهد على ما زعمت وقد تبين الحق من الباطل فلا اختلاف في القرآن ولا موافقة أميال ولكنها أحكام صادرة عن حكمة الهية ذات عناية بأمة هي خير الامم كان منها علماء كأنبياء بني اسرائيل ما عرفت الخاطئة فضلهم ولا فضل نبيهم ولقد جهله كثير من شبان هذا الزمن الذين افتتنوا بخزعبلات الفلاسفة الذين ملأوا الافاق زندقة وزيغاً وانتشرت الصحف بسيئات أقوالهم وقبائح أحوالهم فاقتدى بهم كل من لا خلاق لهم وهم الذين فقدوا نصيبهم من الاخرة واستحبوا العمى على الهدى وما كان لهم من دين ولا دين الا تقليد الامم المتمدنة في ارتكاب الكبائر وكثرة اللغط والله لا يهدي القوم الفاسقين

وانا لو سلمنا أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً كما قال بعض العلماء فهل يعد ذلك اختلافاً أو يعد عيوباً لا ينبغي نسبتها الى رتبة الالوهية تالله انها لمن

ولقد جاءت بكل وقاحة وجرئة تنكر الرسالة وتحرف كلام الله عن مواضعه إذاً فلا حق لها في اعتبار الشهرة والتواتر برهاناً على عدم التغيير والتبديل في الكتابين وانه لبرهان أسقطت اعتباره بعباراتها المزخرفة والله يقول الحق ويهدي السبيل

وأما ما جاء به المفسرون من الاحتمالات فلا يثبت لها منها تدعيه شيئاً لان مفاده لا يطابق مرادها بوجه من الوجوه كما يرى المتأمل البصير ولو فرضنا وكان فيه ما يدل على صحة دعواها فلا يعتبر برهاناً لاننا قررنا فيما سبق أن كل كلام يكون على وجه الاحتمال لا ينبغي الاحتجاج به فضلاً عن جعله دليلاً على صحة الدعوى التي يظهر بطلانها بادىء بدىء على أن كل متكلم هو الأمين على مراده فيما تكلم به ولو أن سامعاً ناقش متكلماً في قوله لأبان له عما لم يكن مطابقاً لما فهمه من قبل ولقد وارى الموت أهل تلك الاحتمالات في زوايا أجداثهم وما كانوا رسلا ولا مكلفين باثبات الرسالة بعد ثبوتها بآيات الله ولا مأمورين بأن يأتوا بأقوال تثبت صحة القرآن وسلامته من العيوب وأنه من عند الله حتى يكون للخاطئة الحق في ايراد احتمالات أقوالهم وجعلها دليلاً على تكذيب الله ورسوله ولو أنها علمت أن في القوم متدينين من ذوي البصائر لما جاءت تلعب بعقولهم كما يلعب المشعبذ بعقول الصبيان ولكنها رأت شباناً مفتونين وشيوخاً جهلاء وسفهاء متشدقين ممن تفلسفوا قد ساعدوها على اعابة الدين وأهله فرفعت ذيلها وامتطت جهلها ومرحت في ميادين الضلالة والغرور تعجب بطلاقة اللسان وسوء الافتتان كأنما هي كبش أقرن بين غنم لاقرون لها وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

انه ليجب على الباحث في هذا البحث أن يعلم ثلاثة أشياء الاول أن الآيات التي أوردتها تلك الخاطئة في هذا الباب بأجمعها دالة على حصوله

التي يحتاجها الراقي الى مراقي الكمال فلا تجد فيه كلاماً مسقوط الاعتبار كما زعمت الكاذبة الخاطئة ذات الناصية التي أشار اليها الحق بقوله (كلا لنسفعنّ بالناصية ناصية كاذبة خاطئة)ولقد بينا مصادر الآيات ومواردها لقوم يعقلون فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والله على كل شيء شهيد

﴿ الباب الرابع في بيان عدم التغيير والتبديل في التوراة والانجيل ﴾

جاءت الخاطئة بآيات كثيرة من القرآن سنذكرها ونبين مواقع الخطاب منها ولكنا نقول الآن ان لكل داخل على هذه الخاطئة ليبصر عيوبها من هذا الباب وجهتان وجهة الى الحق ووجهة الى الباطل فمن كان يريد الحق استدبرها واعتنقه لانه هو المواجه لكل متجه إذ الآيات التي أوردتها كلها مثبتة لما أرادت نفيه وما جاءت بها الا مغالطة وسفسطة وريبة للذين ارتابت قلوبهم من شبان هذا الزمن فأصبحوا في ريبهم يترددون بين الكفر والإيمان

وأما من كان الباطل مطمح نظره فذاك الذي لا يسمع دعاء ولا نداء ولو أنه ذا أذنٍ واعية وقلب سليم لسمع خطاب الباطل له هو وصاحبته وهما ينادونه من وراء تلك التمويهات انما نحن فتنة فلا تكفر وتالله ما قرع قارع أو طرق طارق هذا الباب وكان بصيراً إلا ورأى ظلمة الزيغ والفجور خلف مصراعه وما أسست مباني كفرها فيه الا على أساسين أوهن من بيت العنكبوت الاول الشهرة والتواتر بزعمها أنهما ينفيان التغيير والتبديل من التوراة والانجيل الثاني بعض الاحتمالات التي جاء بها المفسرون في فهم معاني الآيات الشريفة

فأما الاساس الاول فقد نقضته بزندقتها لانها ما اعتبرت الشهرة والتواتر في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا في صحة القرآن أنه كتاب الله وما من شهرة ولا تواتر تعادل شهرتهما في صدق الانباء الموثوق بسلامتها من الدخيل

فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ثم بعد قليل قال الله تعالى (أتأمرون النـــاس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) فهل بعد ما وصف الله قوماً بالخيانة لانهم ألبسوا الحق بالباطل وأشار الى جنونهم بقوله (أفلا تعقلون) وأعلمنا أنهم كفار بقوله (ولا تكونوا أول كافر به) وأنهم ليسوا من أهل البر وأنهم اشتروا بآياته ثمناً قليلا يقال أنهم أمناء على كتاب الله وأنهم ما حرفوه ولا بدلوه وهل تكون هذه الاوصاف الا فيمن لا أمان لهم وهل يتصور متصور أنها تكون في قوم أمناء حافظوا على كتابهم وهل يحافظ على كتاب الله تعالى الا من عمل به واتخـــذه مرشداً فانظر الى جرئة هذه الجريئة المجهولة اذ يصف الله تعالى قوماً بأوصاف وتصفهم بضـــد ما وصفهم الله به ثم استدلت على عدم التغيير والتبديل بأنهم كانوا أرباب تشويش كما قال المفسرون لا أهل تغيير وتبديل فلنا الآن أن نطالبها ببرهان واحد يكون به فصـــل القضاء بينها وبين من ادعى التغيير والتبديل فاما أن تكون كاذبة وهو من الصادقين وإما العكس وما ذلك البرهان الا النظر في الكتابين الذين بين أيدينا فان وجدنا فيهما ذكر محمد والتبشير برسالته فقـــد سلما من التغيير والتبديل لان الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن وسمه أهـــل الكتاب مشيرا الى ذلك بمثل قوله(محمد رسول الله والذين معه الى آخر الآية) وما أنكروا ذلك على رسول الله عند نزول القرآن بل كان الاتقياء منهم اذا سمعوا القرآن خروا سجدا ومتى ثبت وجود ذلك في الكتابين وجب عليهـــا الايمان بمحمد ورسالته وان لم نجد فيهما ذكر محمد فقد ثبت التغيير والتبديل ولا جدل ولا ممارات (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المبطلون)

الآية الثانية قال الله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق

الخيانة ونقض العهود وكفران النعم من الذين خوطبوا بها ونزلت في حقهم وما كان الخطاب لهم الا توبيخا وتبكيتا واعلاما بأنهم غير مستوجبي الرحمة وليسوا بأهل لكرامة الايمان

الثاني أن الله سبحانه وتعالى لم يكن ملزما بتوضيح ما حرفوه أو بدلوه لانه لا يريد أن يذكرهم ما أنساه لهم من الرحمة أو ما نسخه بغيره وطالما ذكرهم بنعمه وما أفادهم التذكير شيئا وما كان له أن يقف معهم موقف المخاصمة والدفاع اذا لم يكن قدر في سابق علمه هدايتهم والله لا يهدي القوم الظالمين

الثالث أنه لا حظ للمسلمين في اثبات التغيير والتبديل في الكتابين ولا نفيهما عنهما لان ذلك ليس من الدين في شيء وكفى المسلم السليم القلب أن يعلم أن الله ما أنزل القرآن الا بأمر زائد عن ما في الكتب التي قبله ولو أنه كان مساويا لهما أو أقل منهما فائدة لما كان لله من حكمة في انزاله ولو أن الله يحب من عباده العمل بما في الكتابين الاولين لما أنزل هذا الكتاب الحكيم وجعله ميزانا وصراطا مستقيما وأظهر في الكون أسراره وأتم للناس أنواره وتفرعت عنه أحكام الشريعة التي لو اتبعها الناس ما هلك منهم هالك كما يشهد بذلك كل عاقل

ومن تحقق بفهوم هذه الثلاثة في طريق استرشاده تبين له الحق وزهق الباطل من بين يديه كما يذهب الظلام بالنور

الآية الاولى قال الله تبارك وتعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) هذه الآية مبدئها (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي

أن الله تعالى لم ينزلها الآن ليثبت ذلك ولكنه أنزلها ليعلم نبيه أن هؤلاء القوم قوم منافقون كاذبون خائنون فلا تأمنوهم ولا تركنوا الى ولائهم ولا تطمعوا في ايمانهم فكان التفسير موافقاً لظاهر الآيات فجاءت الجهولة تبطل بذلك التفسير دعوى من ادعى التغيير والتبديل وما أدري كيف كانت المناسبة بين الدعوى وبين الدليل الذي جاءت به على بطلانها اذ مدعي التغيير والتبديل الآن هو في القرن ثلاثة عشر بعد الهجرة بعد نزول القرآن بألف وثلاثمائة سنة وقد مضى على المفسرين مئات من الاعوام ومدعي التبديل الآن معاصر لهذه الخاطئة فلو سلمنا بأنه لم يكن في زمن النبي الا ما كان في أهل الكتاب من المذام التي جاء بها القرآن فلنا أن نقول ان هذه الخصال الذميمة هي التي ألجأتهم هم ومن بعدهم الى إحداث التغيير والتبديل ونحن الان ندعيها فكيف إذاً يسوغ لك أيتها الخاطئة أن تدفعي دعوانا بما كان في ذلك العهد القديم فهات لنا توراة أو انجيلا مبشرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونحن إذاً نوافقك على أنه لا تغيير ولا تبديل والا فأنت من الجاهلين ولا برهان لك في تفسير المفسرين لوجهين أحدهما أننا لم ندع أن القرآن أخبرنا بذلك بل دعوانا أن القرآن أخبرنا بأن محمدا مذكور في الكتابين ولم نجد له ذكرا والثاني أن المفسرين ما فسروا القرآن الا على وجه الاحتمال لعدم وقوف أحد منهم على مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه اذاً فيتحقق المطالع البصير أنها انما تخبط في ظلمات جهلها تخبط العشوا أو تريد أن تروج سلعتها بزخرفة القول وان كان كاذباً والمحترس لا تلدغه عميا العقارب فما على المؤمنين الا أن يتدبروا ما نزل الله اليهم ليهتدوا به وليذكر أولوا الالباب فان الاية الشريفة صريحة بيان والدلالة على وقوع التحريف وان لم يبين الله مواضعه من الكتاب لان

منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) جاءت هذه الاية الشريفة بعد آيات عدد الله فيها بعض نعمه على بني اسرائيل وشيئاً من آياته التي جاء بها موسى وقال لهم من قبيل التبكيت والتوبيخ (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) أي من بعد إفاضة النعم عليكم وإنزال الايات اليكم فهي كالحجارة أو أشد قسوة وبين لهم كيف تكون الصخور ألين من قلوبهم بقوله (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) يريد الله تعالى وأما قلوبكم فلا يرجى لينها لانها جامدة مطبوع عليها وتوعدهم بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) ثم رجع على نبيه ومن معه بقوله (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) الاية ومراده بقوله (من بعد ما عقلوه) الاحتراز من دعوى التحريف عن جهل وبقوله وهم يعلمون الاحتراز من دعوى التحريف عن سهو أو نسيان ثم بعد قليل من الايات المتناسبة في هذا المعنى قال (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) فهل بعد هذا يطالب مدعي التغيير والتبديل بدليل أو برهان الا على سبيل المكابرة أو المغالطة تالله ما اجتمعت هذه الاوصاف التي ذكرها الله في الايات في شخص الا وكان أشقى الاشقياء وما صدرت هذه الاعمال من عامل الا وكان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وما مال مائل الى تصحيح أعماله وتزكيته الا وكان فوقه في الشقاء والعداوة

جاءت تلك الجهولة في ملاحظتها تزعم أن المفسرين اتفقوا على أنه لا تغيير ولا تبديل وانها لمن الكاذبين لان هذا الاتفاق لم يكن وما منعهم عن إثبات وقوع التغيير والتبديل بالادلة والبراهين القوية في تفسير الآيات الا

ذوقيا معنى هذا الخطاب وفحواه فتبين هل هو خطاب تكريم أو عتاب أو توبيخ أو لعن أو غضب أرأيت ان قلت لرجل كنت قد صنعت معه معروفا وأرشدته الى طريق الخير فتركها وسلك سبيل الشر يا موضع المعروف الذي أنا صانعه معك و يا من أرشدتك الى ما فيه صلاحك لم سلكت سبيلا غير ذلك السبيل هل يكون ذلك الخطاب الا من ضروب المقت وأنواع التوبيخ واللعن وقس على ذلك باقي الايات التي سبقت وما فيها من الاوصاف الذميمة التي أذاعها الله عن هؤلاء الكفار كقوله (و يقولون على الله الكذب) وقوله (لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وقوله (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا) وقوله (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) فان قلت ان أهل هذه الاوصاف كانوا أهل كتاب حافظين له عاملين بما فيه أمناء عليه نقول لك فلماذا لعنهم الله ولماذا ذكر خيانتهم وان قلت ان هذا ليس بكلام الله بل هو كلام محمد قلنا لك انك لكاذب لانه لو كان الكلام لمحمد لقام كل من الطائفتين في وجهه يكذبونه بقولهم هذه هي الكتب فأين هو التحريف وأين التلبيس وكيف نبذناها وراء ظهورنا وأكتمنا ما كان منها ذلك فهذا دليل على ان القول قول حق وانه كلام الله

ولقد جاءت تلك الطائفة في ملاحظاتها تعيين العلماء بذكرهم أن طول آدم عليه السلام وتقول هذه هي التوراة فأين هذا الكلام منها فكانت بذلك ذات إعتراف بحصول التغيير لاننا نقول كما فقدنا اسم محمد من التوراة فقد فقدنا مسألة آدم فلولا حصول التغيير والتبديل ما صار محوهما فأتونا بتوراة أوانجيل فيها ذكر رسالة محمد ولم يكن فيها ذكر طول آدم ونحن نكذب القائلين بذلك

من حرف آية فكأنما حرف جميع الكتاب وأضاع الثقة بكل آياته والله لا يهدي القوم الظالمين

الآية الرابعة قال الله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)

الآية الخامسة قال الله تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون)

الاية السادسة قال الله تعالى (وان منهم لفريقا يلقون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

الاية السابعة قال الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً فبئس ما يشترون)

الاية الثامنة قال الله تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وأنظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

أنظر أيها المطالع أو المسلم الذي جعل الله له نورا وقد حكمتك هذه الخاطئة في كل ما جاءت به من التمويهات المضلة وامدُدْ عين بصيرتك الي هذه الايات وما فيها من الاوصاف التي وصف الله بها أهل الكتاب وتبصر في رقيق اشارة قوله تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وأنتم تشهدون) لتفهم فهما

كتبها المشركون بأيديهم وأنبأك الله بذلك في قوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) فلو أنهم كانوا أمناء على كتاب الله كما أنزل لآمنوا برسوله الذي بشر به ذلك الكتاب

تبصر أيها المسلم في خداع هذه المرأة الفتانة التي جاءت تسحر أفئدة العوام بتمويهاتها الباطلة وزخارف أقوالها المضلة التي هي أشبه شيء بسفسطة ذوي الاصلاح الذين زعموا في هذا الزمن أنهم هم المصلحون وقد جاءوا بزخارف أقوال مزينة الظواهر مسودة الوجوه والبواطن مشوهة المعنى لا يدرك دسائسها الزيفية الا أهل الايمان الذين تبينوا دينهم وتحققوا بآدابه ألا لعنة الله على الظالمين الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا

جاءت الجهولة تقطع بتشديد الطاء المكسورة آيات الله المرتبطة بعضها في سورة المائدة قطعا وتأتي على كل آية بملاحظة زيفية ترتكن فيها على أقوال المفسرين رضي الله عنهم الذين كانت سلامة قلوبهم تدعوهم الى عدم الخوض في آيات الله بما لا يتحمله ظاهر القول خوفا من الوقوع في الكذب على الله وما كان لهم حظ في إثبات التغيير والتبديل في الكتابين أو نفيه لعلمهم أنه مع وجود القران الذي حوى جميع الآداب الدينية التي تأدب بها المرسلون لا حاجة لاي مؤمن في مطالعة غيره من الكتب التي لم تكن هي المنزلة من السماء بل هي تراجيم تلك الكتب ولا تكون الترجمة أصلا ولكنها دلالة على الاصل وما جاءنا من ثقة ممن يوثق بصدقهم قائلا لقد راجعت الأصل والترجمة فوجدت أن لا خلل ولا مخالفة فبأي حال أيها المسلم تنخدع وبأي حيلة تغتر الا اذا كنت فاقد العقل والنظر وكيف استماعك لخزعبلات هذه الخاطئة التي جاءت

وان لم تأتونا بذلك فقد ثبت التغيير والتبديل فيا أيها المسلم الذي ظنت هذه الشيطانة أنك تكون كابيك آدم سليم القلب وتكون هي لك كإبليس وتفرست فيك الغباوة الى حدّ لا تعقل فيه معنى خطاب الله تعالى هل ينبغي لك بعد ما سمعت ما وصف الله به أهل الكتاب من تلك الاوصاف الذميمة أن تركن الى خزعبلات هذه الضالة المضلة وتعتقد أنهم كانوا أمناء على كتاب الله تعالى إذًا تكون على حال فوق حال المجنون وان تعجب فعجب ما جاءت به فيما بعد هذه الايات وسنورد لك بيانه فنقول

الاية التاسعة قال الله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) أنظر أيها المسلم الذي طمع في إغوائك وإضلالك كل غويّ زائغ لجهلك بأمر دينك وهجرك النسك الدينية ومسارعتك الى جهنم خلف سفهاء الفلاسفة فما أعجب حالك اذ يقول الله تعالى لعباده المؤمنين (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) وتأبى الا أن تكون جامحًا وراء قوم لا خلاق لهم الى غم مديد وعذاب شديد وهذا هو الذي جعلك ساقطًا من أعين الله ومن سقط العبد من عين ربه سقط من أعين الخلق أجمعين فلذلك ازدرتك الخاطئة

تأمل أيها المسلم ان كنت الذي جعلك الله من خير أمة أخرجت للناس وفتح سمعك وبصرك وآتاك فؤادا تفقه به ما أنزل اليك وتبصر في سفسطة تلك الخاطئة التي جاءت تلويك عن دينك الحق الذي نصب الله أعلامه لك لتصل به اليه فتكون من المقربين وتردك الى طريق الشيطان التي لا نهاية لها الا لظى وقد همت باخراجك من النور المبين الذي تنورت به بصائر أولي الالباب الى الظلمات التي ضل فيها أهل الزيغ والافتتان بتمويهاتها الباطلة وتصرف قلبك وبصرك عما جعله الله شفاء لما في الصدور وهدى وبشرى للمؤمنين الى كتب

هشاشة الاستقبال التي ما ورائها الا الغيبة والسب وما قلدتم الفلاسفة الا في ضعف الايمان وضياع الدين واعابة المتقين وما حفظتم من أقوال رسول الله الا قوله إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وما تعلمتم النطق الا بما ينافي احترام أولياء الله من السلف الصالح الذين ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وتركوكم كالانعام يقودكم الذابح الى المجزرة وأنتم لا تشعرون وقدقوموا لكم ديناً تحصنون به من الفتن فهدمتموه وتركوا لكم حبلاً متيناً تتمسكون به فقطعتموه وأروكم الهدى فهجرتموه تالله لقد أحسنوا اليكم فاسأتموهم وبينوا لكم مساقط الرحمات فلعنتموهم فلعنة الله على الظالمين

ما لنا لا نرى الغالب منكم الا مدعياً علم ما لم يعلم وفهم مالا يفهم وما منكم الا وهو متعلق بأذيال الفلاسفة حتى اذا دعاه تقي لنصحه جمح كما تجمح شاردات الحمر وان ناصحه ناصح غضب وان سمع حديثاً نبوياً نسبه الى الكذب

سمعت ان أحد طلاب العلم قام في محفل يقول اني كنت من قبل في ضلال حتى تفلسفت اهتديت الى الصواب فقيل له لماذا قال لاني سمعت من أحد العلماء المتدينين حديثاً معناه ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بشيء من التنزيل فقال له النبي يا جبريل كيف تتلقى الوحي من الله سبحانه وتعالى فقال له أرى يداً تبرز من يمين العرش فأتلقى منها ما آتيك به من التنزيل فأراه النبي صلى الله عليه وسلم يداً وقال له أهكذا هي قال له نعم منك واليك يا رسول الله فقال له الرجل وما الذي أرابك من هذا الحديث قال ان فيه دعوى الالوهية لمحمد صلى الله عليه وسلم وانها هي الدعوى التي ادعاها النصارى لعيسى فلذلك كذب الفلاسفة الحديث ومن نقلوه فقال له الرجل انكم أنتم الكاذبون وانكم بأسرار الالوهيــة لكافرون أما علمت يا هذا ان الله سبحانه

تستدل بآيات الله التي لعن فيها أهل الكتاب لانهم اشتروا به ثمنا قليلا وكتبوه بأيديهم وزعموا انه من عند الله على صحة الكتابين المطبوعين الان وعلى عدم التغيير والتبديل فيها ألم تعلم أيها المسلم أن بينك وبين الزمن الذي نزل فيه القران الف سنة وثلاثمائة سنة فلو فرضنا وكان التغيير لم يكن موجودا في ذلك العهد فهل من دليل على عدم حدوثه بعد ذلك الزمن ألم يكن هذا الاستدلال من تلك الخاطئة من باب التعمية عليك أيها المسلم الذي أصبحت ألعوبة لاقلام الكاتبين ومضغة في افواه المتشدقين وما ذلك الا لنقض ايمانك وضعف همتك وجهلك بربك وبمقام رسولك فكنت كمعتوه العوام الذي وجد في المسبخة جوهرة فاستامها منه يهودي بثمن قليل لعلمه بجهل ذلك المعتوه بقيمتها فباعها بثمن بخس فلو أنه علم مزاياها لما باعها ولكنه فرح بالمتاع القليل فانظر كيف يكون ندم ذلك البائع الذي ماباع الا سبب سعادته وغناه لو أنه تفطن اوعقل

أيها المسلم ان هذه الخاطئة تخادعك بلين قولها وتناديك ياأيها العزيز ويا أيها الحبيب وتأمرك ان تلاحظ أقوالها وتسرح نظرك في ألفاظها ولكني أناديك نداء الاخ الذي رأى حال أخيه معوجاً ورأى النار تحاول أذياله وهو لاه ووجد الثعبان بين ثيابه وهو غافل فما وسعه الا ان قام يناديه تفطن أيها المجنون تيقظ أيها المفتون وأزعجه بعالي صوته نهرًا وزجرًا حتى زحزحه عن مصارع الهلاك

فيا شبان هذا الزمن لقد توسعتم في مطالعة صحف الجرائد والروايات الملهية التي لا تشغل الا من حاله كحال النساء والصبيان وتبحرتم في الفنون الرياضية وتكالبتم على الدنيا تكالب الكلاب الجائعة على الجيفة وما تعلمتم من الرجولية الا برم الأشناب وحلق الاذقان ولا استحوذتم من مكارم الاخلاق الا على

فيه رعداً يسبح بحمده وان ينشيء السحاب الثقال في ما هو كلمح البصر قادر على كل شيء وهلا كان حال محمد معر به في الوقت الذي أشار اليه بقوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي على الاقل كحال اكبر فيلسوف زعمتم انه ما زال يحاول علم المعلومات ويستعمل أعمال الرياضات حتى وقف في مقابلة ربه فكان هو هو يعمل كما يعمل ويريد كما يريد ألم يقل ذلك سفهاء الفلاسفة منكم فاذا كان حالكم أيها الضالون المكذبون كما زعمتم فكيف يكون حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ربه هل يتصور عاقل ان الحال التي أدركها السفيه منكم بواسطة علم لا عمل معه لا يدركها أفضل عالم عامل انكم اذا لفي ضلال مبين ولو انك ذا ذوق سليم لتحققت أيها المفتون ان الله لا يدله وانه يتجلى بما يشاء على من يشاء أما يجب عليك اذ كنت جاهلا بأسرار الربوبية ان تعطي القوس باريها وتترك السر المصون لاهله تا الله ان جميع العارفين المقربين اذا كوشفوا وفتحت لهم أبواب الفتوحات لا يأمنوا غوائلها الا اذا تجلى عليهم الحق سبحانه وتعالى في صورة محمدية لانها صورة الرحمة والجمال الالهي وما كانت الا رحمة للعالمين والحق سبحانه وتعالى كثيرا ما يتجلى لكثير من عباده في صور حوائجهم كما وقع لموسى عند احتياجه الى القبس عند ما جاء المخاض لزوجته فافهم والا فسلم تسلم ولا تتبع قوما أعماهم الغرور وأزاغهم الافتتان وأخذ الشيطان بمخنقهم الى ظلمات الجهل وقال لهم ان هذا هو الطريق القويم وساعده الشقاء الازلي على إماتة قلوبهم والله على كل شيء قدير .

أيها المسلم جاءتك المغالطة بقوله تعالى (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) في سورة المائدة فأتت بها محرفة ناقصة وتركت ما قبلها وما بعدها خوف الافتضاح وانها لمرتبطة بما قبلها وما بعدها ارتباطاً محكماً كشف الله به عنا كان

وتعالى كلم موسى من الشجرة وأراه نارا وناداه منها انى أنا الله وما كانت اليد التي رآها جبريل في الحالتين الا كالنار التي رآها موسى سوآء بسواء وما أراها له بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم الا لحكمة بالغة اذ من المعلوم الضروري ان اليد التي رآها جبريل ليست هى يد محمد صلى الله عليه وسلم التي من جسده الشريف التي يراها الراؤون ولكنها صورة يد نورانية وماهي الا مظهر من مظاهر التجليات القدسية التي يعرفها أهل الذوق والمشاهـــدة وما كان التجلي الا لجبريل في صورة محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك التجلي إعلاماً لجبريل انه لا فضل له على صاحبه لان الله هو الملقي والمتلقي بالمعنى التي تقع بها الصدقة في يد الرحمن وبها تكون الصدقة من يد الرب سبحانه وتعالى وان جبريل ليعلم ذلك لعلمه بقوله تعالى لنبيه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) ولكنه أدباً مع الله قال لمحمد الامر منك واليك يا رسول الله من طريق الحديث القدسي اذ قال فاذا أحببته كنته وفي رواية أخرى كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها الى آخر ما روى ودعوى ان قول جبريل منك واليك يذعن بألوهية محمد وان هذا هو الضلال الذي ضل به النصارى في أمر المسيح دعوى باطلة لا يدعيها الا من جهل نفسه فجهل ربه ولذلك صح مثل العوام من عرف ربه استراح اذ لو ان النصارى عقلوا معنى قول المسيح عليه السلام أنا في الاب والاب فيّ بالمعنى الذي قال بها أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه سبحاني ما أعظم شاني وقال بها الحلاج ما في الجبة غير الله لما ضلوا وما عليك اذا لم تفهم البقر

فلو عقلت وتفطنت وكان لك عقل تميز به الحق من الباطل لعلمت ان القادر على ان يرسل من الجو صواعق يصيب بها من يشاء من عباده وان يجعل

فكيف بهم الان في هذا الزمن الذي ضل فيه أهل كل دين عن دينهم انك أيهـا المسلم لمسكين تناوشك المناوشون وتناهشك المتناهشون فكأنك قينة بين فساق أو حلوى تقسم في الاسواق ألا أيها النائم فق من نومتك واستيقظ من رقدتك وكفى بك عارا وشنارا أن القوم لا يتفقدونك الا في مواطن اللهو حيث تكون الشياطين فتراهم يترامون عليك بكتبهم في أندية اللاهين ومجامع الفاسقين فلو أنك في مجالس الاتقياء لما وصل اليك من هؤلاء الضلال واصل بسوء ولا طمعوا في استخراجك من دينك الذي هو منهج الفـوز والسعادة أيطمع الزاني الا في المتبهرجة التي خلعت العذار وسلبت الوقار وان كل شاردة لفريسة الذئب المحتال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فما الذي ألجأك أيها المسلم الى هذا الانحطاط الذي صرت به مسلوب العقل والتمييز هلا ترفعت عن مخالطة السفهاء من أهل عصرك الذين تزيوا بزي الفضلاء من الاسافل الذين جعلهم الله فتنة هذا الزمن ليضل بهم من يشاء من عباده وخالطت أتقياء الامة فتطلب الدين من أهله وتبصر شمس السعادة من مطالعها وتسلك سبيل النجاة خلف أهل الخبرة وتسأل عن دائه من جلسائه وتلتمس الخير من صباح الوجوه المستغفرين بالاسحار فلا ينبئك مثل خبير

أيها المسلم المسكين تذكر حال أسلافك الكرام الذين شيدوا لك من الدين حصونا فهجرتها وذهبت مع الشياطين وانظر في ما أنت عليه تجدك لا تمتاز عن العوام بحال من الاحوال ولا فرق بينك وبين اليهود والنصارى الذين امنوا ولا بينك وبين عبدة الاوثان ان بحثنا حالاتك وأعمالك وما زالت بك الغفلة وغرور الافتتان والطيش حتى أصبحت ملوثا بأوزارك مرتكبا كل ما يشين المتدينين

كامناً في صدور أهل الكتاب والمنافقين بقوله تعالى (ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) ثم قال لنبيه (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) ثم قال (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) كما أوصى داوود عليه السلام اذ قال له (يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالقسط ولا تتبع الهوى فأوصى نبيه أن لا يتابع أميالهم ثم عرفه أنهم ماحكموه الا لأغراض يطلبونها ولولاها ما حكموه فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ولقد جاءت الخاطئة بهذه الاية دليلا على أن التوراة لم تبدل فهل عدم تبديل حكم أو حكمين يقضي بعدم تبديل الكل وجاءت تنفي الخيانة عن القوم وقد قال الله تعالى فيهم (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي وفي الاخرة عذاب عظيم) فهل لك أيها المسلم أن تتناول كتاباً تطمع أن ينجيك من أيدي من هذا حالهم انك اذاً لفي ضلال مبين

ثم قال الله بعد ذلك (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون للذين أسلموا والذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وان هذه الاية لواضحة في أن حكم التوراة التي أنزلها الله لا يكون الا من النبيين أو الربانيين الذين أطاعوا الله ورسوله وما عنى الله توراة مكتوبة بل عنى التنزيل الذي أنزله فالقائل يقول وأين هو لأنا لا نعتقد وجوده بين قوم لعنهم الله واذا كانوا ملعونين من عهد رسول الله

كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثلا القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) جاءت الخاطئة في ملاحظتها تدعي أن تشبيه القوم الذين هم أسلافها بالحمار دليل على أنهم ما حرفوا في التوراة وأنهم حملوها كما أنزلت لان الحمار اذا تحمل شيئاً لا يدري ما هو لا ينقص منه شيء ألا هل من ضاحك ألا هل من متعجب ألا هل من ساخط ألا هل من ماقت ألا هل من غيور على العلم والبيان يصفع هذه الغبية بنعل ملوث كأنها ظنت أن الله ضرب المثل على ظاهره وأنهم كانوا يحملون التوراة على ظهورهم كما يحمل الحمار أسفاراً فجاءت تقارن بين الحاملين والمحمولين وما تفطنت الى أن الله سبحانه وتعالى جعل الحمار أشرف منهم حالا بقوله (ثم لم يحملوها) فهل يكون الحمار الحامل لما حمل كالحمار الذي حمل ولم يحمل هـذا اذا قلنا ان المثل على ظاهره أما اذا فهمنا حقيقة خطاب الله كما هي أو بعضاً من مرامي اشاراته نقول ان الله سبحانه وتعالى ماضرب هذا المثل الا لقوم حملوا أمانة فيها منافع للناس لا لهم فما عرفوا مزية هذه المنافع فبددوها كما يبدد الحمار ما يحمله من الاسفار لانه لا فائدة له فيها ولو كانت منها يصلح لطعمته لا كلها ولكنه يتناوشها نهشاً ويلقي بها في الارض مبددة كما تفعل الحمير وهذا هو معنى ما جاء به المفسرون فجاءت تلك المجهولة تستدل بعمل الحمير على عدم التغيير لجهلها بمزايا الخطاب ولك أن تقول أن مراد الله تعالى أن هؤلاء القوم حملوا التوراة التي هي أمانة الله تعالى لان الكتب السماوية هي أمانة الله تعالى التي عرضها على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها اذ هي الآداب التي بها يصح لحاملها أن يكون خليفة الله في أرضه فتركها موسى عليه السلام لهم ليحملوها متحفظين عليها فما حملوها بل ألقوا بها مبددة كما يعمل الحمار الذي لا قائد له ولا سائق بما يحمله من الاسفار التي

متهتكا في حب التمدن والحرية حيث لا تدري ما هو التمدن وما هي الحرية وأمسيت في وجه الدين كالعاهة المشوهة فما في الدين عيب الا ما أنت عليه فإما جهول بأمر دينك ودنياك وإما ماهر في دنياك وغبي في دينك وإما عالم زنديق واما فقيه أبله واما تقي مرائي واما متدين كسول هذا هو حال عامة المسلمين الان فلذلك تطاولت أعناق المنتقدين الى أحوالكم وتطرقت إعابة المعترضين الى أعمالكم حتى قامت تلك الخاطئة تناديكم الى سيرها المعوج وطريقها الذي كله عقبات مهلكة وآفات مفتنة وما كان ذلك الا لعلمها أنك فارغ الجيب مما تنفقه على أي سائل يسئلك عن أمور دينك وعن ثبات يقينك فطمعت فيك طمع الكلب الجائع في شحاذ ما حصل غير لقيمات ولا عكاز له يذود به الكلاب عما حصل معه من الخبز

فكان من سفسطتها أن قالت لك اقرأ التوراة فانك ان طالعتها لا تجد لنبيك فيها ذكرا فما هي بهذا القول الا كسارق سرق شيئا من غني غبي جاء يطالبه بما سرق فما كان جوابه الا أن قال له فتش المكان الذي سرق منه ذلك الشيء فان لم تجده فأنا بريء من تلك التهمة فلو لم يكن الغني غبيا ما واجهه السارق بهذا الخطاب الذي هو في مقام أكبر برهان على خيانته فكذلك حال تلك الخاطئة يقول الله ما معناه إني أنزلت التوراة والانجيل مبشرين برسالة محمد وأنزلت القرآن مصدقا لها وهي تقول ليس القرآن من عند الله وما في التوراة والانجيل ذكر محمد

فيا أيها المسلم قل لهذه الخاطئة انك لأنت هيولا الوقاحة وجرثومة الضلال وروح الفساد وعاهة الارشاد إمض عني الى لعنة الله انك كنت لمن الخاطئين *

الآية الاثنى عشر قال الله تعالى (ومثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها

القضية الثانية أنهم شاهدوا معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به بعد ما عرفوه معرفة أبنائهم فلاحظت عليها بأن الامام متلاعب لان النبي لم يأت بمعجزة قط وأحالت بيان ذلك على النظر في الباب الاول وان هذا لدليل على أنها إما مطموسة أنوار البصيرة أو ذات عناد ومكابرة لانها تعلم علم اليقين أن القرآن ذكر كثيراً من معجزاته صلى الله عليه وسلم كنزول الملائكة لنصرته والقاء الرعب في قلوب أعدائه وانشقاق القمر لاشارته وما من معجزة مما جاءت به الرسل من المعجزات أبقى ولا أكبر ولا أثبت من القرآن لانه نادى وينادى على لسان كل تال الى يوم القيامة بأنه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا واقد تظاهر أعداء النبوة بالعداوة في هذا الزمن وهذه امرأة منهم قد تباهت بسفسطتها فلما ذا لم تجاري سورة من القرآن حتى يعلم المسلمون أن محمداً لم يأت بمعجزة

القضية الثالثة أنهم عرفوا بالمعجزات ان محمداً رسول الله ولاحظت عليها بأنهم ما عرفوا ذلك ثم قالت ان قول القرآن أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم هو من باب الحدس والتخمين وذلك كقولها قبل اذا كان أهل التوراة كالحمير فكيف عرفوا نبوة محمد فانظر الى جهل هذه الجبورة كيف صنع بها ما لا يصنعه الشيطان بغويه أما علمت أن ممن آمنوا بعيسى عليه السلام وعرفوه بما عرفوه به مما رسخ في قلوبهم من الاعتقادات قوم كثيرون لا يعرفون الانجيل ولا يعقلون له معنى وكذلك قوم موسى منهم من لم يعرف التوراة وها هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم اكثرهم لا يقرأون القرآن ولو قرؤوه لا يتعقلون معناه وهل كل رعايا الملوك يفقهون منشوراتهم اذاً فلا يكون كل من عرف نبياً متحققاً بآداب ما جاء به ذلك النبي اذ لا

لا فائدة للحمير فيها ثم استقبح الله حالهم ومثلهم فقال (بئس مثلا القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) فجاءت هـذه الجهولة تدعوا المسلمين لان يكونوا كهؤلاء القوم في حالهم ومثلهم وقامت تخادعهم بأنها تدين للقرآن الذي ساعدها في زعمها على تلك الخدعة كلا ان هذا لمن عمل المجانين والجنون لا يرضي الشيطان أن يتصف به فلو أنها أتقنت الاغواء كما أتقنه الشياطين لما جعلناها مجنونة

الآية الثالثة عشر قال الله تبارك وتعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون)

توهم الامام الرازي رضي الله تعالى عنه اعتراض معترض فأورده وأورد عليه الجواب المقنع فجاءت تلك الجهولة بملاحظة زيغية ومكابرة جدلية وفصلت ما ذكره الامام رضي الله تعالى عنه الى ثلاثة قضايا كما زعمت الاولى أن اليهود والنصارى كانوا أهل نظر واستدلال ولاحظت عليها أن ذلك ينافي ما في الآية المتقدمة من تشبيههم بالحمار فظنت تلك الخاطئة أن مراد الامام بأنهم أهل نظر واستدلال أنهم كانوا من أرباب البصائر النيرة التي بها يفهم المقربون خطاب الله سبحانه وتعالى في آياته وليس كذلك بل المراد من ذلك أنهم أهل سفسطة وجدال فكانوا يرون الحق وينكرونه وليس كل من كان ذا نظر واستدلال يكون مصيباً في نظره واستدلاله ألا ترى أن كل أمة منها كثيرون من أصحاب النظر والاستدلال وما كان الفوز بالسعادة الا لامة واحدة يعلمها الله سبحانه وتعالى وتعلم نفسها إذاً فلا يكون صاحب النظر والاستدلال الذي لا يهتدي الى الرشاد والهدى الا أسوأ حالا من الحمير كما تراه في أحوال سفهاء الفلاسفة من أهل هذا الزمن

وأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
ن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) لايخفى على كل ذي
ذوق نوراني ان صفاء قلوب أولي البصائر من النبيين وأنوار أسرارهم لاتخالطها
ظلمة الكدورات البشرية فلذلك تدهشهم أنباء المخالفات التى تصدر من سفهاء
العبيد ولؤمائهم فلما وردت هذه الاية التي ذكر الله فيها انه أنعم على بني اسرائيل
ورزقهم من الطيبات وأظنه أراد المن والسلوى وأنه لما أنزل عليهم التوراة اختلفوا
وتفرقوا فرقاً وكذلك لما جاءهم الانجيل فكان ذلك النبأ الصادق مدهشاً لمن
لم يعرف طريق الاؤم ولا تعود المخالفة وكان من سنة الحق سبحانه وتعالى
كلما جاء بدعوة في كلامه جاء عليها ببرهان ودليل فجاء بما يثبت ما جاء به من
قوله (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من
قبلك) لانهم على علم بما سلف من أسلافهم الذين قابلوا النعم بالكفران بعد
ما شاهدوا الآيات البينات فلو أن هؤلاء المجرمين كانوا أهل ذوق وأدب
لخجلوا من هذا الخطاب المؤلم الذي ما جاء الا لتبكيتهم ليعلموا انهم دأبوا على
سنة اسلافهم اذ لا تلد الحية الا حية الا من رحم الله ثم أوضح البيان ليعلم ان
المراد بإحالة السؤال عليهم ماهو الا اقامة الحجة على ان حالهم كحال اسلافهم
وان جحودهم ليس عن ارتياب في الامر بل هو مكابرة وتحكم شقاء فقال له
(لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) اى الشاكين في حالهم
وسبوق كلمة العذاب عليهم

ولقد جاءت تلك الخاطئة بعد ما تبين من أحوال هؤلاء القوم الذين
لعنوا على لسان عيسى وفي كتاب محمد صلى الله عليه وسلم تستدل على أنهم أمناء
وتأمرك أيها المسلم أن تقتدي بنبيك فيما زعمت أن الله أمره به فتسأل أهـل

تكون معرفة الشهد مثلا بالنظر أو السماع كادراك مذاقه لمن طعمه فلامنافاة بين الآيتين كما انه لم يكن قول القرآن من باب الحدس والتخمين كما زعمت لأن القوم الذين شاهدوا معجزات موسى وعيسى كانوا يعرفون نبوتهم كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك ما تبعوهم بل كذبوهم ولقد عبد قوم موسى العجل بعد ما ثبتت لهم رسالة موسى وهارون ثم سألوه مرة أخرى ان يجعل لهم إلها من الاصنام ثم عصوه عند ما أمرهم بالقتال وهل صلب عيسى عليه السلام كما زعموا الا بعدما برهن على رسالته فتعالى الله سبحانه وتعالى وتقدس عن ان يأتي بكلام في كتابه العزيز من باب الحدس والتخمين لانه كان بعباده خبيرا بصيرا وماقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الا لعلمه ان الانسان لا يعرف ابنه من بين الصبيان إلا بالصفات التي تميزه من غيره وقد كان لمحمد صلى الله عليه وسلم علامات مذكورة في الكتاب يعلمها الذين أوتوا الكتاب فجحود رسالته مع وجود العلامات التي يعلمونها لا ينافي كونهم كانوا كالحمير اذ من الحمير ما يرى صاحبه فيفر منه جامحا الى حيث لا يدري الى أين يذهب وان في حال تلك المفتونة لاكبر شاهد لصدق القرآن في أنبائه من وجهين الاول انها حملت القرآن وما انتفعت به بل جاءت تمزقه كل ممزق فكانت كالحمار الذي حمل أسفارا الثاني انها عرفت النبي حق المعرفة بما سمعت من آيات القرآن ومن الانباء الصادقة التي لا تحتمل الكذب بوجه من الوجوه لصحة التواتر والشهرة ثم أنكرته وجاءت تثبت التوراة والانجيل بالتواتر والشهرة كما سبق بيانه انها والله لفي ضلال مبين

الآية الرابعة عشر قال الله تعالى لنبيه (فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) جاءت هذه الاية الشريفة بعد قوله تعالى (ولقد

أيها المسلم ان كثيراً من علماء دينك لا يعقلون ماهو الدين ولا يحسون منه الا ما تلمسته أيديهم وأبصارهم من النقوش المنقوشة على صفحات الاوراق ولقد كان الارشاد في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القرون التي تلي قرنه بالمقال وأما الآن فلا يفيد ارشاد المقال شيئاً بل الارشاد لا يكون إلا بالحال والمقال الآن وإلا كان كالاغواء ولذلك قال ابن عطاء الله لا تصحب من لا ينفعك حاله ولا يدلك على الله مقاله فلا تسئل عن دينك الا أتقياء الامة الذين اختبوا في زوايا الخمول ولا تسأل فيلسوفاً فيضلك عن سبيل الله كاضل شبان هذا الزمن في أودية الزيغ الذي نشرته صحف هؤلاء الضلال ومتى تبينت دينك لا تبغي عنه بدلاً فانه الدين القويم والصراط المستقيم ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

﴿ الباب الخامس في ان الكتاب والنبوة في بني اسرائيل ليس إلا ﴾

قال الله تبارك وتعالى مخاطباً لقوم كافرين يذكرهم بنعمه ويهددهم بالوعيد (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون) ثم أخذ يعدد نعمه على أسلافهم وما قابلوها به فقال (واذ نجيناكم من آل فرعون) الى آخرها (واذ فرقنا بكم البحر) الى آخرها (واذ واعدنا موسى) الى آخرها (واذ قال موسى لقومه) الى آخرها (واذ قلتم يا موسى) الى آخرها (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) الى آخرها (واذ استسقى موسى لقومه) الى آخرها (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) الى آخرها (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) الى آخرها (واذ قال

الكتاب عن دينك مع أنها أوردت من ضمن ما أوردته قوله تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) فكانت بطلبها هـذا كأنها تقول لك يا مسلم تعال لتكفر معنا بآيات الله كلا إنها والله لفي ضلال مبين أيها المسلم أما لك ذوق تفهم به حال المخاطب لك فتتعقل ماجاءت به تلك الخاطئة في منارها أليس حالها معك كحال جار مذموم حاسد ضائع الشرف والذمة رأى جاره الكريم المحسن في نعمة كبرى فجـاء يقبح له مواردها ومصادرها ويعيب ما طاب منها ويقبح محاسنها ليكون سبباً في زوالها فيغدوا أول شامت بصاحبه وما كان لتلك الخاطئة فيما جاءت به من مقصد الا أن توقعك أيها المسلم في ورطات أوحال الحماقة والسفه فتخوض في عرض موسى وعيسى كما خاضت في عرض محمد صلى الله عليه وسـلم فتغدروا معها ومن على شاكلتها من الهالـكين ويكون حالك وحالها كما قال الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين من قبلهم تشابهت قلوبهم) فقال الله تعالى بعـد ذلك (قـد بينا الايات لقوم يفقهون) وما القوم الذين فقهوا آيات الله الا أسلافك فلا تتبع أهواء هؤلاء الفلاسفة الذي جاؤوا ليوقعوا الامم في ورطات العناد والمكابرة فتحفظ أيها المسلم من الخوض في عرض واحد من الانبياء ولا تعجل بالدخول في نيران الفتنة التي أيقظها مبشروا القوم الان فلعن الله من أيقظ الفتن وأهاج الشرور وتأمل في ما تحت ذيول هذه الخاطئة تجـد قذراً منتناً وريحاً كريهاً ولقد أبنت لك عنها تحت ذيلها وكشفت الغطاء عن كل مستور لكيلا تغتر بما تبرقعت به هـذه الشوهاء من براقع الزيغ والزندقة عسى أن يهديك الله صراطاً مستقيماً

ورسوله ألا ان حزب الله هم الغالبون قال الله تعالى (وكلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين ومن ذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط ما كانوا يعملون أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقدوكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين) ثم تتابعت الآيات في هذا الشأن الى ان قال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) فالينظر أهل البصائر الى قوله (وكلا فضلنا على العالمين) ليعلموا ان الفضل بالهداية لا بالدعوى كما صرح به قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) هذا هو معنى التفضيل وليعلموا فضل أمة محمد على سائر الامم بقوله (فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين) أي بالنبوة وفي ذلك كفاية لأولي النظر لاننا لا نريد ان نجاري المفتونة في جنونها ما دام الحق بيناً وما جئنا لننكر فضل واحد من الانبياء الكرام ولكننا ندافع عمن ظلمتهم هذه الخاطئة بإنكار نبوتهم

الآية الثالثة (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) [illegible] الآية في نهاية ذكر ما وقع لابراهيم مع آزر وكانت تلك القصة مفتاح ذكر الانبياء الذين ذكروا في تلك السورة ثم بعدها قال الله تبارك وتعالى لنبيه (واذكر في الكتاب موسى) الى نهاية الاية وقال (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) ثم بعد ذكر ادريس قال (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا

موسى لقومه ان الله يأمركم) الى آخرها ثم قال بعدما عدد هاتيك النعم ومارفعه من تلك النقم (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) فجاءت الخاطئة بالآية التي فيها قوله تعالى (واني فضلتكم على العالمين) تستشهد بها على انهم أفضل من محمد لانه وقت تفضيل الله لمن فضله منهم كان محمد في صلب آبائه وسترت ما بعدها من الايات تحت ذيلها خوف الافتضاح وما عقلت للتفضيل معنى لانها ما فقهت انه سبحانه وتعالى لما أدعى هذه الدعوى أعقبها بالبراهين كما هي سنته فبين وجه التفضيل بما عدده من النعم ودفع النقم كما ذكرنا وما فعل مثل ذلك بغيرهم من الامم فأبوا الكرامة فما دخل محمد في عالم ذلك الوقت أو اسماعيل أو ذريته فهل اذا كان لك ولد أو أولاد أو اخوة أو أب أو ندمان كرام أو أصدقاء أعزاء عليك ثم أولمت وليمة تستجلب بها قلوب قوم أجلاف مثلاً أو تكرم بها جاراً لك أو جماعة من رعاياك وفضلتهم في تلك الوليمة عن من ذكرنا قبل وأكرمتهم اكراماً فوق العادة فهل لعاقل ان يتصور ان هؤلاء القوم أفضل وأكرم عليك ممن لم تطعمهم من عشيرتك سيما اذا ظهر من من اكرمتهم ما به علمت انهم لئام مجرمون أظن ذلك لا يتعقله من له أدنى شعور ذوقي فما كانت ملاحظة تلك الخاطئة الا كتحكك العجوز الزانية فيمن يرض لرؤيتها انها الى ضلال كبير

الآية الثانية قال الله تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا) جاءت الخاطئة تعيب الامام الرازي فيما جاء به من التفسير وتقول انه كرجل حول دائرة يحاول الخروج منها فاخذ يقفد قفذا فلذلك جئناها خافه سائرين الهوينا وما علينا الا ان نذكر الآية وما بعدها ونحكم أرباب البصائر بينها وبين الله

وقامت تسب ذلك العامل وتكذب ذلك الرجل في بيانه وتدعي أن البيان كذب المنشور والمنشور كذب البيان وتقول إنهم كانوا قوماً كذابين وأخذت ترفع صوتها بالسب والشتم حنقاً وغيظاً حتى تفطر كبدها وزهقت روحها وقيل للائكة العذاب امضوا بروح هذه الخاطئة الى النار

فيا أيها المسلم البصير تأمل ان كنت خبيراً بكيد النساء فيما ألقته على مسامعك تلك الخاطئة من الاراجيف في ملاحظتها على هذه الآية الشريفة لتعلم أن الطيش قد أخذ بمخنقها الى مشارب الطغيان ومسارب الفنون فظنت أن الله سبحانه وتعالى ما جاء بالقرآن الا على سنة الشعراء الذين ديدنهم مدح قوم وذم آخرين وما علمت أنه سبحانه وتعالى ما جاء بذلك القصص في كتابه العزيز الا تبصرة لأُولي الالباب وتذكرة لذوي البصائر النيرة وتبكيتاً لبني اسرائيل الذين ما أعطوا النعم حقها من الشكر والطاعة وما أراد بذكر قصة ابراهيم مع قومه وباقي القصص الا تثبيت نبيه عليه الصلاة والسلام وتعليما للامة ليعلموا أن الخير كله في طاعة الله وطاعة رسله وان الشر كله في مخالفته ومخالفة رسله ولو أن الله قصد بذكر قصص الانبياء تفكهاً أو مدحاً لجاء بمدح كل نبي بما كان عليه من الخصال وما جاء به من الاعمال الحسنة ولمدّد عائلة كل منهم بأسمائهم ولكنه سبحانه وتعالى لم يكن ذلك العبث مراده من انزال كتابه الحكيم فما كان هذا الخلط الذي جاءت به الخاطئة الا من لغو الحديث الذي تعودته الغواني الفاجرات

قامت الخاطئة على قدم وساق تندد على أقوال ذلك الامام وتسخر منه إذ قال ان الله قسم الفضل بين ولدي ابراهيم قسمين فقضى على اسحاق وبنيه الصالحين زمن طويل في عبادة الله ثم لما انقضت أوقاتهم جاء ولد اسماعيل

الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب) وما رفعت الخاطئة ذيلها ولا جاءت بملاحظة عليها فما أدري لاي الاسباب جاءت بها مع اعترافنا بفضل ابراهيم واسحاق و يعقوب

الآية الرابعة (ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) من ملاحظة تلك الخاطئة يعلم المطلع البصير أنها ما جاءت الا لتعيب العلماء إرضاء لصاحبها الفيلسوف الذي خرج من بيتها خائفاً يترقب لان أهل هذه الطائفة هم أعداء العلماء لعلمهم أنهم هم الذين شيدوا قواعد الدين بعد رسول الله وحفظه الله بهم من الضياع والفلاسفة يودون أن لا دين لميلهم الى عدم احترام الفرائض الدينية لانهم لا يعتقدون وسيلة للقرب من المؤثر الذي تصوروه إلهاً الا العلم فلا يزال على زعمهم العالم يتفقد المعلومات حتى يعثر بذلك الاله ولا دين لهم الا طلب الدنيا بالحضارة والتمدن والتنافس فيها ويسمونه تقدماً فلذلك كانوا هم والعلماء العارفون بالله على طرفي نقيض هؤلاء دينهم العلم والعمل وأولئك علموا وما عملوا فلهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

جاءت الخاطئة تهزأ بآيات الله فما وجدت لها ألعوبة تتلاعب بها الا الامام الرازي الذي حاذي ركابه عدة ملوك أكرموه إجلالاً لعلمه فكان حالها معه ومع رسول الله حال سفيهة شوهاً تدعي الخبرة بشؤون الملوك وأحدق بها نسوة كن على جانب من الجهل عظيم وقيل لها ان في عهد آبائك الاقدمين أتاهم رجل من جنود الملك يقول ان الملك يبغض كل عجوز جاهلة تدعي العلم ومعه منشور أرسله الملك الى عامل من عماله لينشره في مملكته وكان ذلك الرجل مكلفاً ببيان ما انطوى عليه ذلك المنشور لمن لا يفهم من الرعايا معنى خطاب الملوك وهذه هي صورة المنشور وصورة البيان فتناولت العجوز الشهواء المنشور وما معه

منه وقعوا على أقدامه حتى وان كان مشعبذاً كالذين يعصرون الحصى فيأتي
بشبيه العسل وهذا الاعتقاد يخالف اعتقاد أولي البصائر فانهم يقولون ان الكرامة
هي حسن الاستقامة وما قصدنا بما ذكرنا تنقيص حال الرسولين الكريمين (لا)
والله معاذ الله أن نذكر أصفياء الله وأحبائه بسوء ولكنا في مقام الجدل جئنا
على الخاطئة أن كل ما جاء به الرسل من الآيات ما هي الا ضروريات
تستدعيها قرائن أحوال الأمم ويستوجبها احتياج الرسل اليها للنصر والتأييد
أو إقامة الحجة على الكافرين أو إهلاك من أراد الله اهلاكهم كالذين قال
لهم من بني اسرائيل (كونوا قردة خاسئين) وقد أوضحنا ذلك في كتابنا
المسمى بتصحيح الترجيح بين محمد والمسيح فلما كان عيسى وموسى في احتياج الى
ما أتيا به كان ما كان من أمرهم وأمر أممهم مما هو معلوم بالشهرة والتواتر
وأما هذا النبي الكريم فقد بعث لأمة ادخرها الله له وادخره لها فكانت خير
الامم علما وعملا وحالا فما احتاجوا الا الى النصر والفتح المبين وقد كان في
ذلك النصر من المعجزات ما يعلن بالشرف العالي والمجد الرفيع من نزول الملائكة
والرعب من مسيرة شهرين ورمي الحصى وغير ذلك مما هو مسطر في السير ومذكور
في القرآن وما كلمه ربه فوق جبل ولكنه دعاه الى حضرة أنسه حيث تأخر
جبريل وتقدم المخطوب المحبوب مستأنساً بصوت أبي بكر يقول له قف ان
ربك يصلي ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أوأدنى حيث لا خلا ولا ملا
ما زاغ البصر عن المشاهدة وما طغى الي طلب الاحاطة ولذلك لما سئل صلى
الله عليه وسلم هل رأيت ربك فأجاب جواب الأدباء العلماء بقوله نور أنى
أراه فأثبت الروية ونفى الإحاطة والله على ما يشاء قدير

واعجبا لأشرار هؤلاء السفهاء الذين لا يستعملون عقولهم الا في السيئات

المبارك بآل بيته فكان أمدهم الى يوم القيامة فاستبعدت الخاطئة لجهلها صدق هذا التقسيم وقالت من أين جاء به وإن العلماء ليعلمون أن الامام رضي الله عنه ما تعدى بما جاء به نصوص القرآن المجيد ولا مفهوم الاحاديث النبوية فان من طبق معنى قوله عليه الصلاة والسلام علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل على ما جاء في سورة الواقعة من قوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ وظل ممدودٍ) الى أن قال (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وما أراد بالاولين الا من جاؤا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وبالآخرين من تابعوه من أمته المؤمنين الى يوم القيامة وقد قال فيما قبل هذه الآية (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين) وهم الانبياء من عهد آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون معهم ثم قال (وقليل من الآخرين) وهم المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كانبياء بني اسرائيـــل فجاءت الخاطئة لجهلها بمواقع الاسرار الربانية ومواضع رقائق الاشارات القرآنية تهزأ بذلك الامام الفاضل الذي تنزه مجده الرفيع عن أن تصل الى معالمه الغانيات متخذات الاخدان أو أن تتخطى وراء خطوه الخاطئات والله لا يحب المعتدين

ثم قالت كيف ساغ له أن يتصور تلك القسمة مع أن محمداً لا يساوي شيئاً في جانب بنى اسرائيل الذين منهم عيسى وموسى فقد جاء كل منهما بآيات بينات وكلم الله أحدهما على الطور وجهاً لوجه كمازعمت وجاء للثاني عياناً على جبل حوريب وقد كان عيسى ذا دعة وحلم يبرئ الأكمه والابرص ويخلق الطير من الطين الى آخر ما قالت فكان مثلها كمثل العوام الذين لا يعتقدون صلاح رجل الا اذا جاءهم بخارقة من خوارق العادات حتى اذا رأوا ذلك

وأنى له هذه المشابهة فكان الاولى له أن يستحضر أدلته قبل أن يدعي دعواه كما تفعل الحكماء اذا أرادوا المحاربة اتخذوا أهبتهم وأعدوا لها عددًا الى آخر ما قالت وما كان لها من شبه في هذه المباهات والمفاخرة الا مثل العوام الذي قالوا قرعة تتباهى بشعر بنت ابن خالتها فماذا لأهل الكتاب اذا كان المسيح أفضل من محمد وماذا عليهم اذا كان محمداً أكرم الرسل أما أحست تلك المفتونة بلعنة الله أما لأهل الكتاب من شعور يتبينون به حالهم وما لهم أمالهم من عقل يفقهون به الزمن الذي انتسخت فيه شريعتهم أفيهم الآن من يدعي أنه سلك مسلك عيسى فآتاه الله رحمة من عنده يشفي بها مريضاً أو يبرئ به أكمها أو أبرصاً وهل فيهم من يقوم قائلاً هذه شريعة كتابنا معمول بها الآن ولها روابط وحدود معلومة كشريعة محمد صلى الله عليه وسلم هل فيهم من يأتي ذاكرًا أفاضل أمته الذين نشروا دين المسيح بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وينادي ها هي آثارهم فتلوها لا والله كل ذلك ما كان وان يكون ولكننا لا نرى الا أنهما تعلموا ضروبا من الجدل والمحاورة وتحريف الكلم عن مواضعه كما كانت أسلافهم وما كان ذلك العلم الا تمرينًا كما تمرن القرود على ألعابها المعلومة عند الاطفال

أيها المسلم الذي طمعت الخاطئة في إغوائه وإضلاله إعلم أن الفضل الذي تتميز به الافاضل وتتفاضل به الاماجد ما هو الإتيان بخوارق العادات لان ذلك أمر كما قلنا يجريه الله على أيدي الرسل لا لفضيلتهم ولكن لاستدعاء الحاجة له فلو أن خوارق العادات تثبت للآتي بها شرفا لما علم الله السحر للكفرة الفجرة ولما أعطي المسيخ الدجال قوة الإيجاد التي بها يقول للسماء امطري فتمطر وللارض ابتي فتنبت وجعل له جنة ونارًا وكلما دعا شيئا تبعه وما ذلك إلا فتنة للناس حتى يرى عيسى عليه السلام فيذوب كما يذوب الملح في الماء

من الظنون والاعمال أليس من الضروريات المعلومة عقلا أن الملك من الملوك مثلا اذا أرسل رسولا لأمة من رعاياه مالت عن طريق طاعته ليقوم اعوجاجها وكان ذا همة وحكمة ولم يحتج لمخوفات ولا عدد وجاء بالمطلوب منه كان عند ذلك الملك أوسع جاهاً وأرفع منزلة ممن أرسله وعضده بمخوفات ومرغبات ولم يعمل عمل ذلك الحكيم وهل كان حال الرسل الثلاثة صلوات الله عليهم الا هكذا فلما ذا لم تتعقل الخاطئة للصواب باباً ولا تؤم له محراباً بل جاءت تدعي أن أمة عيسى وأمة موسى أكثر أعدادا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءت تباهي أمة هي خير الامم بأمم لعنهم الله في كل كتاب منزل وظنت تلك الخاطئة أن مجرد الانتماء للدين يجعل المنتمي معدوداً من الذين أنعم الله عليهم ولقد ضحكت طويلا من قولها يا أيها المسلم اقرأ سورة الفاتحة وتأملها تجد الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم ولا يكون الا الكتاب الذي هو عند أهل الكتاب الآن فتوهمت أن الحروف المسطرة متى وجدت في قوم صاروا هم الذين أنعم الله عليهم وأنساها الشيطان آية (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار) واستحوذ عليها اللعين حتى صرف قلبها عن معرفة الصراط المستقيم ما هو وهل هو الا الآداب الكمالية التي ذكرناها قبل في بيان اتحاد الاديان وما جاء محمد صلى الله عليه وسلم الا لتتميمها فالعجب المتعجبون من الجهل كيف يعمل بالجهلاء وكيف تحيط الخطايا بأهلها وكيف يصنع القدر بأهل الشقاء إنا لله وإنا اليه راجعون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

ثم قامت الخاطئة تردح ردحاً بالمعنى المتعارف عند العامة قائلة أن الامام ظن أن أهل الكتاب لا يقدرون على دحض أقواله فجاء يشابه محمداً بعيسى

ولا أنكروا الا نعم الله ولا جحدوا الا رسالة الله وما عابوا الا حبيب الله فحاق بهم سيئات ما مكروا وقد أخذهم الله من حيث لا يشعرون

فان شئت فاسئل الخاطئة عن الاسباب التي دعتها لانكار رسالة اسماعيل بعد تصريح القرآن بها في مواطن كثيرة وقد كان على ملة أبيه ابراهيم التي أنت عليها الآن وأثنى الله عليها بقوله (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) ثم بعد قليل قال (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له مسلمون) فهل كان عيسى هو ذلك الاله الذي عبده اسحاق ويعقوب ثم بعد قليل قال الله تعالى لمحمد واصحابه (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فلو أن اسماعيل لم يكن رسولا لما قدمه في الذكر على اسحاق وأردف أباه به ثم قال الله تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتـــدوا وان تولوا فإنما هم في شقاق) ثم قال لنبيه (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقد كان وسوف يكون فان الله يملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته

قالت الخاطئة ان اسماعيل كان ابن جارية لنبيه فهل جاء نص من كتاب منزل ان ابن الجارية لا ينسب لأبيه أو انه لا يكون رسولا ان هذا لهوس لا تصغى اليـــه آذان العقلاء أوليس هو الذي قال الله فيه (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب

هكذا روي وإن أنكر أهل الكتاب ذلك لعدم وقوعه في الزمن الماضي فكم جاء بخوارق العادات أناس كثيرون ولكن الفضل بين الافاضل سيما الرسل ما هو الا بمكارم الاخلاق وإعلاء كلمة الله وتشريع الشرائع وتبليغ الرسالة واستكمال الآداب الكمالية والتخلق بالوقار والسكينة هـذا هو الفضل الذي به يتصف الفضلاء وما لمحمد في ذلك من شبيه وأما المنزلة عند الله فلا يعلمها إلا هو ولكن العقلاء يعلمون أن قرائن الاحوال التي كان عليها الرسل تشهد برفعة مجد هذا النبي الكريم الذي ما تعدى في عمله أعمال ذوي الهمم العالية من الرجال وما صلب ولا قتل ولا عبد قومه من بعده عجلا ولا صنما ولا ارتاب المؤمنون به في رسالته بل صدقوه تصديق الانسان باحساس حواسه وما من نبي ولا رسول ولا سلطان من السلاطين أكرمه الله وأكرم أهل بيته بعد الموت كما أكرم هذه الشجرة الطيبة ولكن الذين كفروا في شقاق بعيد

أيها المسلم ان الله ما كلفك بأن نتخذ الجدل والمحاورة سبيلا الى تفضيل الرسل بعضهم على بعض ولا بأن تعلم أن اسحاق أفضل أو اسماعيل ولا جاءك نبأ من عند ربك يخبرك بأنه من علم من هو الافضل منهم نجا وان كان فاسقا ولكنه كلفك بحفظ أحوال نفسك والتبصر في عيوبها لتهجر منها الرذائل وتدأب على الفضائل وما من رذيلة خلقها الله تعالى وقبحها أقبح من الخوض في أعراض النبيين فتأمل ان كنت ذا عقل كيف كان سلوك الذين أنعم الله عليهم واسلك سبيلهم وما لهم من طريق الا الطريق التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بتعليم الله تبارك وتعالى له على لسان جبريل وحيا وتعليما ولقد علم أهل الكتاب بما أنزل الله عليه من الكتاب الحكيم وما زال حالهم راسخا في أخلاق ذرياتهم الى الآن كما تشاهده من الجدل بغير حق وما جادلوا الا الله

قالت انه غير صحيح وأنه من محمد كما زعمت فلا حاجة لجدالها أما أنت فان أطمتها فارم بنفسك في أي تل من تلول جهنم فاني أراك من الضالين أرباب الملاهي والشهوات وما علينا من بأس إن سجدت لفرج تلك الخاطئة أو عبدت حمارًا من حمير الفلاسفة وأما ان كنت ممن هداهم الله فها هي أنوار القرآن وأسراره تهدي كل ضال وترشد كل حائر ترك الجدل وجاء مسترشدًا ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ثم جاءت بعد ذلك بقوله تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة) الى آخرها وجاءت بالتفسير والملاحظة لتظهر خطأ الأئمة وما لنا في ذكر ذلك من حاجة اقتداء بقول القائل

يخاطبني السفيه بكل عيب ... وأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلمًا ... كعود زاده الاحراق طيبا

ثم جاءت بقوله تعالى (وقال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) ثم ذكر قصة الفداء وقال (كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيًا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم مبين) ثم جاءت بالتفاسير واختلاف الرواة في من هو الذبيح وكم زمجرت وكم تعجبت ولكننا لا ننظر الى ما تفعله الخاطئات ولكننا نعلم علم اليقين أن كل أمر اختلف فيه يعرض على كتاب الله تعالى وسنة رسوله اذًا فلا نحكم في مسألة الذبيح الا هذه الآية التي نحن في ساحتها الآن وأما السنة فان مناسك الحج تشهد لإسماعيل عليه السلام وأما تحكير البشري على اسحاق فغير معقول لأن المبشرات المنامية للأنبياء في مقام الوحي وما بشر ابراهيم باسحاق الا على أيدي الرسل من

الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) وقد قال قبل ذلك في تلك السورة التي هي سورة البقرة (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقد ذكر فيما سبق قوله تعالى (انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وكثيرا ما جاء القرآن بذكره مع الرسل فجاءت الخاطئة تنكر ذلك وتستشهد على فضل بني اسرائيل بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب) لجهلها بمواقع الخطاب ومواضع الكلم فلو انها عقلت المعنى لأخجلها ذكر هذه الاية ان كانت من بني اسرائيل فانها ما جاءت الا بعد ذكر أهـــل النار وتخاصم الضعفاء منهم مع المتكبرين فيها وسؤالهم لخزنة النار التخفيف عنهم ثم قال (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) ثم قال (ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب) يعني فما اهتدوا ولا تذكروا لانهم لا عقول لهم اذ لو كانوا أولوا الالباب لقال الله هدى وذكرى لهم ولقد بين حالهم في سورة الجاثية بقوله (وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ثم قال لنبيه (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)

فما ظنك أيها المسلم بخاطئة لا تريك الا ما يريبك لظنها أنك بهيمة مذللة يقودها الصبيان والنساء ألا فاسألها عن القرآن ان كان صحيحا ومن عند الله فكل ما فيه صحيح ثم اتل عليها نبأ بني اسرائيل بالحق لتعلم عاقبة أمرهم وان

لم يدعيها لنفسه ولا لامه وانه ابرئ من تلك الدعوى وممن يدعيها وان أول شاهد الآن لصحة ما قررناه سابقاً وما دوناه في كتاب تصحيح الترجيح بين محمد والمسيح هو الآية التي أوردتها في هذا الباب وهي قوله تعالى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) فقوله ومن المقربين ومن الصالحين أكبر دليل على انه عبـد مقرب صالح وفي ذلك كفاية وأما كونه كلمة من الله فقـد بينا من قبل أن كل ما في الكون كلمات الله وما خصص المسيح في الذكر بأنه كلمة الله الا دفعاً لما توهمه اليهود من أنه من أولاد الزنا صلوات الله وسلامه عليه ثم ما نسبه الى أمه الا دفعاً لمـا تقوله القوم الخاطئون أنه ابن الله وما جاء القرآن الا لقوم يعقلون

وأما الاية الثانية فقد ذكر الله فيها نعمه على المسيح بقوله (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) الى آخر الاية وانها لاكبر دليل على ما ذكرناه قبل وفي تصحيح الترجيح من أن الله ما أجرى على يديه الايات الا تبرئة له ولأمه من تلك التهمة الوخيمة بدليل قوله (عليك وعلى أمك) ثم بين في آخرها ما لبني اسرائيل من الفضل وشكر النعم بقوله (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) ألا لعنة الله على من يخوض في آيات الله بغير علم ان هذا لهو الضلال المبين (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

الاية الثالثة يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) الى آخر الاية تركت الخاطئة موضوع الاية سدا وسترته تحت ذيلهـا خوف الافتضاح وجاءت تفتخر بنسبة أسلافها الفاسقين الى الكتاب حيث لم تشعر

الملائكة وأما بشراه باسماعيل فكانت منامية كما تدل عليه الاية الشريفة اذ لو كان المبشر به واحداً لما قال أول الاية (و بشرناه بغلام حليم) و بعد ما ذكر القصة قال (و بشرناه باسحاق) فسياق الاية دال على ان ابراهيم بشر باسماعيل مناماً وكان ما كان من قصة الفدا و بناء الكعبة ثم سافر الى حيث بشر باسحاق بعد الكبر من امرأته التي كانت عاقرا وعجوزا وعلى كلا الحالين فلا نقص فيمن لم يكن ذبيحاً عن من أمر بذبحه ولا يفرق بين الاخوين الا الفاتن النمام الذي لا عقل له ولا دين وليس الذبح شرطاً في النبوة ولا في صحة الحج فقد أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام بقوله (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) الى ان قال (و يطوفوا بالبيت العتيق) وانه هو الذي سن جميع المناسك فلا رفث أيتها الخاطئة ولا فسوق ولا جدال في الحج وان الحكم بينك و بين اسماعيل هو رب اسماعيل فانك ما كذبتي غير الله وما علينا اذا لم يكن اسماعيل نبياً فقد جاء ابراهيم خليل الله من رجل قال له (يا أبت لا تعبد الشيطان) (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) وما أجابه الا بقوله ما حكي الله عنه (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك وأهجرني مليا) وما اشترط الله في نبيٍّ أن يكون ابن نبي ولو كان كذلك لكان المسيح أول مشطوب الإسم من دفاتر الرسل وان في ذلك البيان لكفاية لمن أراد ان يتدبر القرآن ليقف على حقيقة ما جاءت به هذه الخاطئة وأقرانها من الجهل المهلك والله يحكم بيننا بالعدل وهو أحكم الحاكمين

﴿ الباب السادس في الآيات الدالة على ألوهية المسيح ﴾

لقد قررنا فيما سبق حال المسيح وأثبتنا حرمانه من دعوى الالوهية التي

المسيح الا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يؤمن به فقد عصى المسيح وخالف ربه والله لا يهدي القوم الظالمين

ولقد أرشدناك أيها المسلم بل والمسيحي الذي يحب ان يكون ممن لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم القيامة الى معالم الرشد والهداية لتصل اليها من مصادرها النورانية وما هي الا مؤلفات أهل التحقيق الذين هم أهل الذكر فانهم مصابيح الهدى ونجوم الاقتدى فان أحببت لنفسك الخير فاطلب أهل الطريق واسأل عما دونوه ترى الانوار وتهتدي للأسرار

واياك ان تشتغل بهذه الخرافات التي جاء بها هؤلاء الضلال فان المشتغل بتلك المباحث مثله كمثل صانع كلف بان يصنع سفينة مثلاً لتحمله اذا جاء الطوفان وعلموه كيف يصنع فتلهى عما كلف به بالبحث عن مزايا فضائل من صنعوا السفن قبله ثم قاومه المجادلون فما برح يلهو بتفضيل كل صانع عن قرينه و يبحث فيما يفضل به البعض عن البعض حتى أزفت الآزفة وجاءت الراجفة تتبعها الرادفة وأحاطت به دوائر المقت السرمدى فاصبح ينادى وهو في النار هل الى خروج من سبيل

أيها المسلم جاءتك كريمة الشيطان وقوادة جنوده تناديك يا أيها العزيز ويا أيها الحبيب وتصفك بالنباهة والزكاء كأنك غلام تريد ان تسبل عليه ذيلها لكيلا يجد فرجة الا ما أعدته له من أبواب جهنم السبعة التي جعلت لها نارًا يراه كل من سلك سبيل الجحيم ثم قالت لك أيها الحبيب ردد طرفك واستعمل فكرك في سورة الفاتحة لتعلم ما هو الصراط المستقيم أليس هو الكتاب الذى عند اليهود والنصارى الى آخر ما دونته من الكلمات التي هي عنوان هبلها وعلامة فتونها كأنها توهمت ان كل مسلم يكون مفتونًا أو ان الناس أصبحوا جهلاء

أنها نسبة توبيخ وتبكيت كما تقول لشائب يلهو ويمزح مثلا لا تلعب أيها الشائب لانه أضاع حرمة شيبه كذلك كان كلام الله وخطابه للقوم الضالين وأما دعواها أنه كان الاولى بمحمد أن يبحث في الانجيل كما زعمت فذلك هو أقوى حجة على تغيير الانجيل لانه لو كان في ذلك الوقت انجيل غير مبدل وفيه أن المسيح اله أو ابن اله لحكموه قومها فيما بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم وكثيراً ما دعاهم الله في أحكام ليحكموا فيها التوراة ولم يأتوا بها كقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) إذا فلا داعي للتطويل الممل

وأما المنافات التي تصورتها بين قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وبين قوله (يا عيسى اني متوفيك) فانها ما جاءت الا عن فساد التصور اذ الفرق بين قتل بني اسرائيل المسيح وصلبه وبين توفي الله له بنفسه ظاهر وأما اختلاف الائمة في موته قبل ان يرفع أو رفعه قبل ان يموت فلا يعيبهم لانهم كما بينا فيما سبق لا يأتون الا باحتمالات لا جزم فيها خوف الخطأ والخوض في آيات الله بغير علم وكلا الاحتمالين لا يضر اعتقاد صحته بالدين وانه لرسول كريم سواء قتل أو صلب أو مات أو رفع حياً

وأما دعواها الالوهية والنبوة ومقارنتها بين آيات القرآن التي ما دعته الا بابن مريم وبين آيات الكتاب الذي أشار الله اليه بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) فانها دعوى باطلة وانها لمن أقوى قرائن الاحوال الدالة على فساد حالها وحال من تبعها في هـذا الاعتقاد ومن تبعته من عهد المسيح الى ان تقوم الساعة ولقد قررنا سابقاً انه لا يكون من أمة

سهي عن الدعوة اليه بما نادوا به المسلم بقولهم هذا هوالصراط المستقيم المذكور في الفاتحة فكيف لا تهتدى يا مسلم اليه قالآن يجب عليك أيها الراوى بيان ما أهمله ذلك الرجل مع بيان السبب في ان الله لم يقل على آدم انه كلمة الله وقال ان عيسى كلمة الله وروح منه

فاخذني العجب من جهل ذلك الشاب بدينه وارتيابه فيما لا ريبة فيه بسبب تمويهات أهل الضلال الذين يعلم علم اليقين انهم ماتركوا أشقياء أمتهم يتقلبون في نار الشهوات ثم تتبعوا جهلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بين الامم إلا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق

ثم قلت يا هذا انك ان أرابتك تمويهات هؤلاء الضلال وأورثتك أوهاما وشكوكا انك اذا لمن الجاهلين وما يكون مثلك الا كمثل غبي طوى إحدى رجليه ساهياً حتى اذا ناوشه مناوش وهم بمدافعته لم يجد رجله أمامه فعجز عن القيام الى ان يجد رجله أو كاحد العوام ألبسته امرأته ثوبها ليلا لتسخر به فلما أصبح ظن نفسه نائما فأمر أحد أصدقائه بعض أذنه ليتحقق نفسه أنائم هو أم يقظان

يا هذا أفق من سكرتك واستيقظ من رقدتك لتعلم أنك ان كنت مؤمنا تقيا مشغولا بنفسك مهتما بمعاشك مهموماً بما يكون بعد الموت من أمر معادك لما جمعتك مع هؤلاء الضلال جامعة ولا وجدت من ذوقك ما يقبل ما ألقوه عليك من هـذه الخزعبلات الخرافية والسفسطة الفلسفية ألم تعلم أن الله هو أصدق القائلين وما أنزل هاتين الآيتين بل وبقية الآيات الواردة في القرآن في هذا المعرض الا لأمرين الاول تبرئة المسيح وأمه مما نسبه اليهود اليهما والثاني تكذيب النصارى فيما ادعوه من أنه ابن الله وأسلمه للصلب والقتل لتخليص الانسان من الخطية ومن علم ذلك لا يعبأ بكل ما تقوله سفهاء فلاسفة

لا علم لهم بشيء من معلوتها الفلسفية وانهم لا يميزون بين الخطإ والصواب ولا يدرون ما هو الكتاب فليت شعري ماهو الصراط المستقيم الذى دأب عليه اليهود والنصارى مع أنهما على طرفي نقيض في الاعتقاد بما جاءت به كتبهم فأما النصارى فزعموا ان المسيح ابن الله أو انه هو الله وادعوا ان الانجيل يشهد بذلك واليهود يقولون انه من أولاد الزنا وهم يتلون الكتاب فأى فريق تتبع أيها المسلم المفتون فان اتبعت النصارى فلست من أهل التوراة وان اتبعت اليهود فلست من أهل الانجيل وان اتبعتهما معاً فلا قدرة لك على بطلان أحد الاعتقادين من إحدى الطائفتين فتأمل كيف ساغ لتلك الخاطئة ان تسالم قوماً صلبوا إلهها انها لخاطئة غادرة ماكرة فاجرة

جاءت المهبولة تزاحم الفضلاء وتزدرى العقلاء وتندد باقوال العلماء وتخوض في أعراض الانبياء كانها ضجيعة البامارستان وقد أشرفت من احدى المنافذ ليلا بلا شعور فخالت النجوم رجالاً يلاعبونها فأخذت في سب فريق ومدح فريق حيث لا ذوق لها ولا ادراك وما ضر ما جاءت به بالنجوم شيئاً ولكنها أهاجت المرض بفؤادها فأهلكها وتلك عاقبة المفسدين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً

وكان هذا آخر ما جاء به الرجل رداً على صاحبة المنار ونقله عنه المتسامران فقام شاب من شبان المسلمين وأظنه من طلبة العلم الشريف ممن شهدوا مشاهد تلك الحفلة قائلاً أيها الراوى ان الرجل قد أغفل أمرين فإما عن سهو وإما عن عجز عن الاجابة فقلت وما هما قال مسئلة الصلب والرفع الى السماء وما فيها من الاشكالات

والاخرى دعوى ان الصراط المستقيم هو كتاب اليهود والنصارى ثم

ينبغي وقوعه من الحكمة الإلهية لما فيه من التدليس والتلبيس لان ذلك قول مجادل جاهل بأعمال الحكمة العلية فان سنة الله سبحانه وتعالى في أعماله ماهي الامقابلة الشيء بما يناسبه فلما علم الله تجهلهم حال عيسى مع شدة ظهوره والباسهم الحق بالباطل قابلهم بما يناسب علمهم وليس في ذلك ما ينافي اعتدال الحكمة فيما جاءت به والعاقل اللبيب لا يكذب القرآن ويصدق مادونه من الاباطيل والاراجيف الموهومة ولقد جاءت تلك الخاطئة تقول ان التوراة جاءت مبشرة بعيسى عليه السلام لانه سيأتي ويموت عن خطايا شعبه وان في ذلك لذكرى للذاكرين أولاً أنها صرحت بالموت وما قالت يقتل أو يصلب وهذا هو نص القرآن ثانياً أن هذا دليل على أن التوراة لا عمل بها لانها صارت محل توجه الظنون بالشك اليها لانا لو قلنا أن التوراة صرحت بذلك يقول القائل لماذا لم تؤمن اليهود الذين هم أهل الكتاب بعيسى الى الآن ان كان ذلك في كتابهم إذاً يكونوا كفاراً خائنين ثم ان لم يكن عيسى مذكورا في التوراة كنتم أنتم الكاذبون وان قال قائل اذا كانت هذه التعمية كانت من الله لاقامة الحجة على اليهود ولمقابلة العمل بمثله فما بال قوم عيسى لم يتبينوا الامر على حقيقته نقول ان الله سبحانه وتعالى ما جعل ذلك مبهوماً الا فتنة لبني اسرائيل الذين كفروا نعمه وأبوا كرامته وما راعوا حقوق تفضيله لهم على الامم قبلهم فأبهم الامر عليهم ليفتتنوا بقولهم أن الله أسلم ولده للصلب والقتل كما فتنهم بالعجل أيام موسى (ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) ولا يكون الابتلاء الا هكذا فانظر الى هــذه الخاطئة كيف غابت عن شعورها واستدلت بالتوراة مع علمها بأن أهلها لم يؤمنوا بعيسى وما رمى أمه بالبهتان العظيم الا هم ومع ذلك تقول أنهم أهل نظر واستدلال وأهل كتاب أمناء عليه

المسيحيين في هذا الموضوع وقد جئنا بما فيه الكفاية لكل باحث مسترشد في كتاب (تصحيح الترجيح بين محمد والمسيح) وتقدم منا الكلام أيضاً على دعوى بنوته في هذا الكتاب ولكننا سنزيدك بياناً لتعلم أن الرجل البصير العاقل لا تخدعه تهويلات النساء ولا تمويهاتهم ألا ترى أن الخاطئة ما تركت من التهويل والتمويه شرك مكيدة الا وجاءت به قائلة يا عزيزي يا حبيبي أيليق بك كذا ألا تفطن لكذا أما فعل المسيح كذا أما قال القرآن كذا وما كان كل ذلك الا بناء على ما جاء به المفسرون من الاحتمالات وقد قدمنا قبل أن كل كلام داخله الاحتمال لا يكون حجة ولا يسوغ لمدع أن يتخذه برهاناً ولا لوم على المفسرين في تقصيرهم واحالتهم على ما يعلمه الله من مراده من آياته لعلمهم أن الخوض في آيات الله بغير حق لا جزاء له الا النار فكانوا قوماً متحفظين على أنفسهم ليسوا بأهل فتون ولا غرور ولا فلسفة ولا طغيان

يا هذا إن لك في فهم قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وجهان لا خطأ فيهما ولا حرج عليك في أيهما تعتقد أحدهما ان تقول إن القتل والصلب هما المشتبهان على أبصار الناظرين أي أنه شبه لهم أنه مصلوب ومقتول أي مثل لهم ذلك تصوراً وصرف الله أبصارهم وبصائرهم عن حقيقة الأمر فظنوه مقتولاً ومصلوباً ولم يكن كذلك وهذا أمر وقوعه من القدرة الإلهية غير بعيد والثاني أن تقول أنه ألقى شبهه على غيره كما قال بعض المفسرين ولا يكون ذلك قادحاً في التواتر كما زعموا لان كل ما جاء على وجه الإعجاز لا يقاس بغيره من الأعمال سيما اذا أراد الله إقامة الحجة على قوم باغين هموا بقتل نبي كريم وما فعل الله ذلك الا ليكون اليهود شهداء على أنفسهم في ارتكاب ما انعقدت عليه نواياهم ولا حق لمن زعم أن ذلك لا

عن دينك غير عالم بحقيقته ولا متحقق بأحواله ولا متخلق بآدابه فلذلك دعتك الى طريقها المعوج والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

يا هذا لا تسيء الظن بأسلافك وراء هؤلاء الانعام فتهلك كما هلكوا ولا تختلفن بك الأهواء والمسارب فلا يبالي بك الله في أي واد هلكت ولا تترك القرآن الذي جمع أطراف الآداب واكنافها التي هي الصراط المستقيم الى كتب كتبها الكافرون بأيديهم ثم لو فرضنا وكانت غير مبدلة فقد نسخت أحكامها ولا حاجة لك بها وان أحببت أن تنظر اليها فكن بصيراً لترى الحق جلياً عند الموازنة بينها وبين السراج المنير الذي شهدت له الافاضل من جميع الامم

ياهذا ان أردت الاهتدى الى كل خير وصراط مستقيم فعليك بالذكر الحكيم والتقوى وقل رب زدني علماً فقد قال الله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وفي هذا القدر كفاية لمن شاء أن يذكر أو أراد شكورا وأما قولها لماذا لم يقل الله على آدم أنه كلمته كما قال في عيسى فما هو الا كمحاورة احدى الغواني لمطلقها الباغض لحالها أما علمت المخاطبة أن الله قال للملائكه (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فهل كان النفخ غير الكلمة ولو فرضنا وكانت الكلمة غير النفخ فما معنى وجود عيسى من روح وكلمة فليتدبر ذلك أولوا الالباب وعلى أي حال فقد قلنا أن الله ما خص عيسى بالذكر دون جميع المخلوقات التي كلها كلمات الله الا لدفع التهمة عن أمه وأما آدم فما نقول عليه الشيطان أنه غير مخلوق لله وكفى به شرفاً سجود الملائكة له ولقد قال الله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن) فجاءت الخاطئة تقول ان آدم خلق من طين وأما عيسى فقد جاءت بما يفيد أنه قطعة من أبيه الذي زعموه ألا لعنة الله على الظالمين اقتداء بالقرآن في ما أمر الله به نبيه اذ قال له

إذًا يلزمنا أن نصدقهم فيما جاؤا به من البهتان فنكون نحن وهم في تكذيب المسيح سواء نعوذ بالله من ذلك فهل لعاقل أن يتصور أن لهذه المرأة عقل أو إدراك أو أدنى احساس ذوقي وهل ما عليه اليهود من القدح في عيسى وأمه هو الصراط المستقيم الذي تدعوا الناس اليه انه لأسوأ صراط وأعوج طريق وأهلك مصرع

ولو أن الصراط المستقيم كان هو الذي عليه النصارى واليهود الذي زعمت أن الله أمر محمدًا أن يسئل عنه منهم لما اختلف أهل الكتابين في عقائدهم في المسيح كما سبق بيانه ولما قال الله لاهل الكتاب (يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جائكم بشير ونذير) فهل يتصور عاقل أن الله يرسله ليبين لهم ثم يأمره أن يسلك سبيلهم الذي لا نهاية له الا جهنم ان هذا لهو الضلال البعيد

ولقد حصرت النبوة في ولد اسحاق مع أن الله كذبها في مواضع كثيرة من كتابه كما ذكرنا وقد قال أيضًا لنبيه (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب و يونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) ولقد جاءت تقول ان عيسى عليه السلام كان ذاتًا موجودة قبل مريم وقد تكلمنا على هذه الدعوى الباطلة في تصحيح الترجيح فاليراجع لانه لو كان قديمًا لامتنع حلوله في الحوادث ولكان الهًا آخر وهذا ممنوع عقلا وشرعًا وزعمت أنه جوهر الهي حل بمريم والعقلاء يعلمون امتناع ذلك من طريقي العقل والشرع وماجاءت تلك الخاطئة تسائلك أيها المسلم عن ما أوردته عليك من الشبه الزيغية الا لعلمها أنك لا م

قامت قوائم الحجج وتقوت الدعاوي واستيقظ الحكم بفتح الكاف ونام مدعي الجدل والزور في مهاد الخزي والخجل فلا تسد أبواب السداد ولا تيأس من إفادة الرشاد والارشاد فما كان مني الا الركون الى هذا القول الحق فأنشدته قائلا

أراني وقد فكرت لا شيء عند ما | أرى لجج الاقدار بي تتموج
وأن زمامي ليس إلا بقبضة | تساوي لديها مستقيم وأعوج
تدير شؤون الكائنات كأنها | تشخص ما يزهو به المتفرج
ألا قل لأهل الزيغ حطوا رحالكم | فأنتم لأرباب الهداية أحوج
وناموا بداجي الغيّ في ظلمة العما | وان جاءكم نجم الرشاد فأدلجوا
فما ثم إلا ظلمة الكون دونها | سراج لأرباب البصائر مسرج
فمن كان واعي الاذن والقلب مبصرا | رأى ما به من لا يرى يتحرج
يرى كل لهو باطل في خلاله | شؤون بدون الحق لا تتوالج
فيلهوا بها أهل الملاهي جهالة | ونيران أرباب الهدى تتأجج
يساق لما منه يراد أخوا العنا | وآخر في حان الصفا يتبهرج
وينحط من أوج المعالي أخوا الندى | وترق بمن لم يمتطيها المعارج
ويشقى بما أوعى من العلم عالم | ويسعد ذو جهل جفاه المعالج
وكم من غبي أحرز المال والغنى | وذي حكمة ضاقت عليه المناهج
ويحرم منا يشتهيه مسابق | ويحظوا بأنواع اللذاذات أعرج
هي الحكمة العلياء يعلوا مرادها | وما الكل إلا ملجم ثم مسرج

(انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا هذا ان الناس أحداث لأجداث وأفراخ لأفخاخ والمواقب عند الله مكتوبة والاعمال على عمالها محسوبة وكل ميسر لما خلق

له (قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين) فلو أنهم أجابوا هـذا الطلب لفعل الله بهم ما فعل بأسلافهم اذ قال لهم كونوا قردة خاسئين ولقـد قال لليهود (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فما تمنوه ولو تمنوه لماتوا عن آخرهم وها نحن ندعوهم لذلك بدعوة رسول الله فان أحبوا فليجعلوا لذلك موعدا غير مخلوف مناولا منهم فنخرج معهم في الصحراء ونضع الكتب أمامنا ونبتهل الى منزلها أن يحكم بيننا بالحق فيجعل لعنته على الظالم منا ولا نريد أن نأخذ الأبناء ولا النساء ولكن ندعوا عشرة من أحبار اليهود وعشرة من القسيسين وأنا وحدي الى المكان الذي يريدون ويدعوا كل منا بما يتيقن به الاجابة فان أرادوا ذلك فليعلنوا اليوم الذي يجمعنا على ألسنة الجرائد والمكان الذي يحبون الاجتماع فيه ليكون ذلك على رؤوس الاشهاد من كل أمة (ويحق الله الحق بكلمـاته ولو كره المبطلون) فما أتممت القول الا ورأيت من الشهداء تصفيقاً وتهليلا وتكبيرا ورأيت الخزي قد وقع بأولئك القسس فقام رئيسهم قائلا

يا جنبيهي هل عندك من حكم نرتضيه اذا جعلناك حكما بين ذلك الرجل وصاحبته فيما أسمعته لنا من أقوالهما

وما الذي تقوله أنت أيها الراوي ان ارتضيناك حكما بين هذين الخصمين وقد علمت أنه ان سقط أحدهما سقط معه دينه وأمته وكان أخوا الصدق مع من معه على دين قويم وشرف مؤبد

فقلت يا هذا ان المجال حرج والفتن متزاحمة والنصح عند المكابرة لا يفيد وان اقناع المعاندين لبعيد فقال يا جنبيهي اذا تبين الحق خفيت معالم الباطل والتوت أعناق المكابرة وانزوى الجدل في مكامن الحياء وكلما قويت البراهين

لستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) وانه لصراط الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين فمن سلكه نجا وان كان من ولد النمروذ وأما من هجره وسلك سبيل المنكرات فما سلك الا سبيل الشيطان وانه لمن الهالكين وان كان من ابناء الخليل عليه السلام (قال اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) وما من ظالم أظلم من بني اسرائيل الذين بدلوا نعمة الله كفرا وصلبوا المسيح كما زعموا وكذبوا الرسل وقتلوا كثيراً من الانبياء وما زالت شرورهم تتسابق الى الخيار من خلق الله حتى الآن ألا لعنة الله على الظالمين

فرقص لذلك القول أقوام من شهداء تلك الحفلة طربا لما علموه من صدق قال ومطابقة الاحوال وقال كبيرهم بحق دينك عليك وحرمة نبيك لديك ما بينت لنا ما هي الحقوق أو بعضها

فقلت يا هذا أما حقوق النفس فأعظمها إلجائها الى ملازمة أوصافها الاربع التي هي شؤون كل ممكن الا وهي الذل والعجز والضعف والافتقار فمن ألزم نفسه ذلك تمكن من آداء حقوق الربوبية وتجمل بمحاسن وصف العبودية ومن غلبته نفسه الى ضد تلك الاوصاف فقد هلك من حيث لا يشعر وما ترك دونها شيئاً من الظلم وأظلم الناس من ظلم نفسه

أما حقوق الحق سبحانه وتعالى فهي كثيرة والجامع لها المعرفة فمن عرف ربه تمكن من آداء حقوقه ومن لم يعرفه لا يستطيع القيام له بحق من الحقوق ولا يعرف ربه الا من عرف نفسه وان معرفتها لتتوقف على ملازمة تلك الاوصاف فافهم ان كنت رشيداً والا فأنت من الضالين

وأما حقوق الخلق فانها على قسمين معاملات عملية ومعاملات أدبية أما العملية فهي المعاومة عند الفقهاء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون

يا هذا أما الدنيا فكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولت مدبرة وأما الآخرة فقد أسرعت مقبلة وأما الناس فسائرون الى منازلهم على مطايا أعمالهم وما من منزل الا وله مطية معلومة وعلامة على جبين من تهيأ لسكناه مرقومة (ففريق في الجنة وفريق في السعير) ومنهم شقي وسعيد وتلك العلامات بينها الله سبحانه وتعالى في كل كتاب أنزله على عباده وما أنزلت الكتب الا لبيان تلك العلامات وما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا للترغيب في موارد ما يسرُّ من تلك العلامات والترهيب مما يسيئ منها وما كان الامر والنهي من حكمة الا بيان السبيل لكيلا يدعي المجادل انه ما علم ولو علم لأطاع وليعلم أهل الكرامة كرامتهم فيدأبوا على الشكر وان كل علامة لظاهرة على جبين صاحبها لكل مطلع من أرباب البصائر ولكن الحق سبحانه وتعالى أخفى عن كل سائر ماآله وجعل الحزن والخوف ملازمان لاهل السعادة وجعل الفرح والطيش من شعائر أهل الشقاء ليكون السعيد مسجونا حتى يفرح بالفرج ويكون الشقي مطلوق السراح حتى يحزن للضيق وليس الشأن في هذه الدار الا التعمية لانها من تمام النظام اذ لولا الخوف والحياء لما دأب أهل المعروف على معروفهم وهم الذين أشار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ولولا الابتهاج والطيش لما مرح الاشقياء في ميدان الافتتان والغرور (حكمة بالغة فما تغني النذر) وان المعروف لينحصر في ثلاثة أشياء وما هي الا القيام باداء حقوق النفس وحقوق الخالق وحقوق خلقه والمنكر ينحصر أيضا في ثلاث التفريط في أداء الحقوق والإفراط في ضياعها والظلم وهذه هي علامات السعادة والشقاء فمن من الناس سلك سبيل المعروف فهو الذي هدي الى صراط مستقيم وهو المذكور في سورة الفاتحة بقوله تعالى (اهدنا الصراط

، خير الامم وقد دأب خيارها على خير دين حتى الآن فقبحت لهم دينهم
كأنهم كانوا على الباطل منذ ألف وثلاثمائة سنة فهل من جنون فوق هذا
نون وهل من شقاء فوق هذا الشقاء الذي لا يرتضيه ابليس لنفسه فمن لم
نتبط الحكم بين هذين الخصمين منا قررناه فهو جهول فوق كل جهول

يا هذا ليس ذلك الرجل هو خصم هذه الخاطئة وحده ولكننا أهـل
نيك القرون كلهم أخصامها وان محمداً صلى الله عليه وسلم لخصمها وان جبريل
ي نزل بالوحي فكذبته لخصمها وان القرآن بين يدي الله لخصمها وان اسماعيل
ابراهيم لخصمها وان الله جل شأنه وتقدست أسمائه لخصمها وغريمها الاكبر
، ظنك يا هذا بمن كان الكل أخصامه انه والله لاشد أهل النار عذاباً وسيعجل له
ت في الدنيا وما ربك بغافل عما يعملون انظر الى هذه الخاطئة كيف قطعت نسباً
له الله اذ قال لنبيه (ملة أبيكم ابراهيم) وتقول ليس اسماعيل من ولد ابراهيم

يا هذا ليس الشأن ان تغضب مولاك بانكار نعمه على عباده الاخيار
الشأن ان تستجلب رضاه بتجنب مناهج الاشرار ليس الشأن ان تدعي الفضل
لك وأنت من ثمرة الفضل محروم إنما الشأن ان تكون أنت الذي هو بمزايا
رف والفضل مشهور ومعلوم * والا فما يغني عنك شرف آبائك ان كنت
نيع * وهل ينال الحظوة لدى الملوك الا كل أديب مطيع * يا هـذا ما
ي تناله اذا أمسى الكل من بني اسرائيل وهم أنبياء ومرسلون * وكنت
ن في دركات جهنم بسيئات أعمالك مرهون ومسجون * أيخرجك يا هذا
اق من النار لانك فضلته على أخيه اسماعيل أو يسابقه اليك المسيح لانك
ت انه ابن الاله الجليل كلا والله انهم عليكم لساخطون وانكم عن ربكم
القيامة لمحجوبون

المؤمن متفقهاً في دينه الا اذ علم أحكام العبادات والمعاملات وماجاءت أمة من الامم من عهد آدم الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بمثل ما جاء به علماء هذه الأمة العظمى من تفاصيل أحكام العبادات والمعاملات كما هو معلوم لكل عالم وكان ذلك مصداق قوله تعالى (وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وما هو الا دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ونوح والنبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين ولكن الذين كفروا في شقاق وأما المعاملات الأدبية فيجمعها أمران أحدهما أن لا يرى الانسان نفسه فوق مخلوق وان بلغ من الدناءة ما بلغ لانه لا يدري حاله عند ربه الا أن يكون زوجته اوولده أومن ولي أمره بالطريق التي شرعها الله تعالى في أحكام المعاملات العملية الثاني أن ينزل الناس منازلهم بالميزان الشرعي ولا يتمكن من ذلك الا من أوتي الحكمة التي بها يضع الاشياء مواضعها ولا أريد إلا الحكمة التي أشار الله اليها بقوله (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) لا حكمة الفلاسفة التي قوامها الجدل وقاعدتها الزيغ ونتيجتها الغرور والافتتان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ومن كان غير عالم بمواضع الاشياء التي وضعها الله لها فاليعرض عن التعرض لذلك فان من تعرض لذلك بلا علم فقد أورد نفسه موارد التهلكة من حيث لا يشعر

يا هذا انظر الى صاحبة المنار هل أنزلت الناس منازلهم أم لا ثم انظر المنازل التي وضعت نفسها فيها هل هي لها أهل أم لا فقد جعلت نفسها حكما بين أمم مضوا وانقرضوا وادعت أنها من أهل الكتاب وانهم هم الذين أنعم الله عليهم وهم أصحاب المستقيم وقامت تصف خاتم الانبياء بأوصاف من كانت فيه فهو من أهل النار وجاءت تهزأ بالقرآن الحكيم وتسخر بالمفسرين ورجعت الى أئمة

(وكيف اعتقدتم بأن الاله * يموت ويدفن تحت التراب)
(ويطلب من خلقه شربة * ليطفئ عن قلبه الالتهاب)
(فجاء له واحد منهم و * بمر وخل وبئس الشراب)
(فألقاه في الارض بغضاً له * ومات حليف الظما ذا اكتئاب)
(ويوضع لاذ على رأسه * من الشوك تاج يشيب الغراب)
(أسال دماه على خده * وصارت على وجهه كالخضاب)
(ويركب جحشاً به يتقي * عناء مسير له قد أصاب)
(وتدعون فارس جداً له * ونطفته من زنى وارتكاب)
(ولا يدخل الرب من جاء من * زنى في جماعته الثواب)
(ومن بعد هذا تعدونه * الهاً ولم تستحوا من عتاب)
(وما هو الا كأمثاله * عبيد لخالقه ذو اقتراب)
(كما قال ذلك عن نفسه * بنص صريح أتى في الكتاب)
(ولو كان رباً كما تزعمون * فمن كان يرجو لكشف العذاب)
(ومن ذا الذي رد روحاً له * وقد فارقت جسمه بالذهاب)
(ومن كان من بعده حافظاً * نظام الوجود لوقت الاياب)
(أرب سواه بتدبيره * تكفل أم فاته للخراب)
(وهل صلبه كان عن زلة * وإلا علام استحق العذاب)
(وهل أحسن القوم في صلبه * لتخليص أشياخكم والشباب)
(وإلا أساؤا بجلب الخلاص * لكم ان هذا لشيء عجاب)
(فان قلتموا انهم أحسنوا * ولم يفعلوا غير عين الصواب)
(أقول علام تعادونهم * ومن يصنع الخير يجز الثواب)

يا هذا ليس الشأن ان تبشر الناس بالجنة وأنت من نعيمها في حالة الإفلاس منكون لمقدم يدعو أصحابه الى تناول الطعام والكاس انما الشأن ان تحذر نفسك عواقب التبشير فما أنت أيها المفتون والله ببشير ولا نذير أبوحي أيها المفتون أنزله الله عليك أم هو بلاء ونقمة ساقها القدر اليك (قتل الانسان ما أكفره) أمن الأدب ان تحل موطناً تتمتع فيه بطعام مرغوب وماء مسكوب حتى اذا قويت شوكتك أعلنت ساكنيه وقائع الحروب أمن الادب ان تؤذي قوماً ما وصل منهم اليك الا خيرهم العام فجئت بما أنت عليه من الغي تفسد أحوال العوام فهل يقابل الاحسان بالاساءة الا كل لئيم وهل ينطح من لا يؤذي يا هذا إلا شر بهيم فتعساً لامة تركتكم تؤذون الامم وسحقاً لقوم جعلوا لكم في هذا القطر قدم ما أشئمه من قدم ولكني أقول لصحبي صبرا صبرا (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ ولتمام نفع اولي الالباب . قد ذيلنا هذا الكتاب المستطاب بالسؤال العجيب . في الرد على اهل الصليب . لناظمه الذي اتقن فني البحث والمناظرة . حتى ادحض بحججه مفتريات أهل المكابرة . من غيرته لدينه عن قوة ايمانه تنبي . جناب الفاضل الشيخ «أحمد علي المليجي» الكتبي . و حوا من البراهين القوية . الدامغة لكثير من المعتقدات الوهمية . وهذا نص السؤال المذكور . ضاعف الله لناظمه الأجور

(اعباد عيسى انا عندكم	*	سؤال عجيب فهل من جواب)
(اذا كان عيسى على زعمكم	*	الهاً قديرا عزيزا يهاب)
(فكيف اعتقدتم بأن اليهود	*	أذاقوه بالصلب مر العذاب)

(وان قلتموا انهم أجرموا * بصلب الاله وبئس المصاب)
(أقول وكيف ولولا هما * تخلصتمو من وخيم المآب)
(وهل رضي الصلب أم مكره * عليه فما هو فصل الخطاب)
(فان قلتمو صلبه عن رضي * لتكفير ذنب امرئٍ منه تاب)
(وأعني به آدم الفضل من * لمولاه مما جنى قد أناب)
(وسامحه الله من فضله * وذا بعد توفيقه للمتاب)
(فأنتم كذبتم على ربكم * لما صح من فعله في الكتاب)
(فقد كان يهرب من صلبه * ويبكي على نفسه بانتحاب)
(ويدعو أجرني اله السما * بفضلك من ذي الامور الصعاب)
(وإيليَ إيليَ نادى بها * لِمَ اليوم تتركني للعذاب)
(اذا كان يمكن يا خالقي * خلاصيَ فافعله يا خير آب)
(فهذا دليل على أنه * لمولاه عبد بغير ارتياب)
(وهذا دليل على أنكم * كذبتم وقلتم خلاف الصواب)
(وان قلتمو الصلب قهرًا جرى * فيا عجز رب قوي الجناب)
(بتعليقه فوق عود الصليب * لقد جاءه اللعن من كل باب)
(كما هو نص أناجيلكم * وتوراتكم فاتكفوا العتاب)
(أجيبوا سؤالي ولا تهملوا * فان السكوت عليكم يه...)
(وها قد نصحت وما أرتجي * بنصحي لكم غير حسن الثواب)
(وموتي على دين خير الورى * وان لا أرى هول يوم ...)
(فان تقبلوه فهذا مقصدي * وفيه سروري ولي به...)
(والا فأنتم على دينكم * وقد بان ما كان خلف الحجاب)